

القـــدس

سيرة مدينة ..عبقرية المكان

د. خالد محمد غازي

الكتاب: القدس سيرة مدينة.. عبقرية المكان

الكاتب : د.خالد محمد غازي

الطبعة الثانية : ٢٠١٦



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

غازي، محمد، خالد

القدس سيرة مدينة .. عبقرية المكان – الجيزة –

وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٦.

تدمك : ٤ – ٢٠٥ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

٠٠ ص ، ٠٠ سم .

١– دارسة وشهادات

أ. العنوان **رقم الإيداع / ٤٧٥٠ – ٢٠١٦**

القدس

سيرة مدينة ..عبقرية المكان



اهداء خاص جدا:

إلي جدي "عوض"

سيأتيك الحرف وما فيه .. وكل شئ ظهر فهو فيه
وسيأتيك منه أسمى ما بقى من الإنسان ذكرى وتاريخ
وسيأتيك منه العلم .. وفي العلم عهودك ووصاياك
ويأتيك منه السر وفي السر محادثتي إليك وإيماني ..

المؤلف

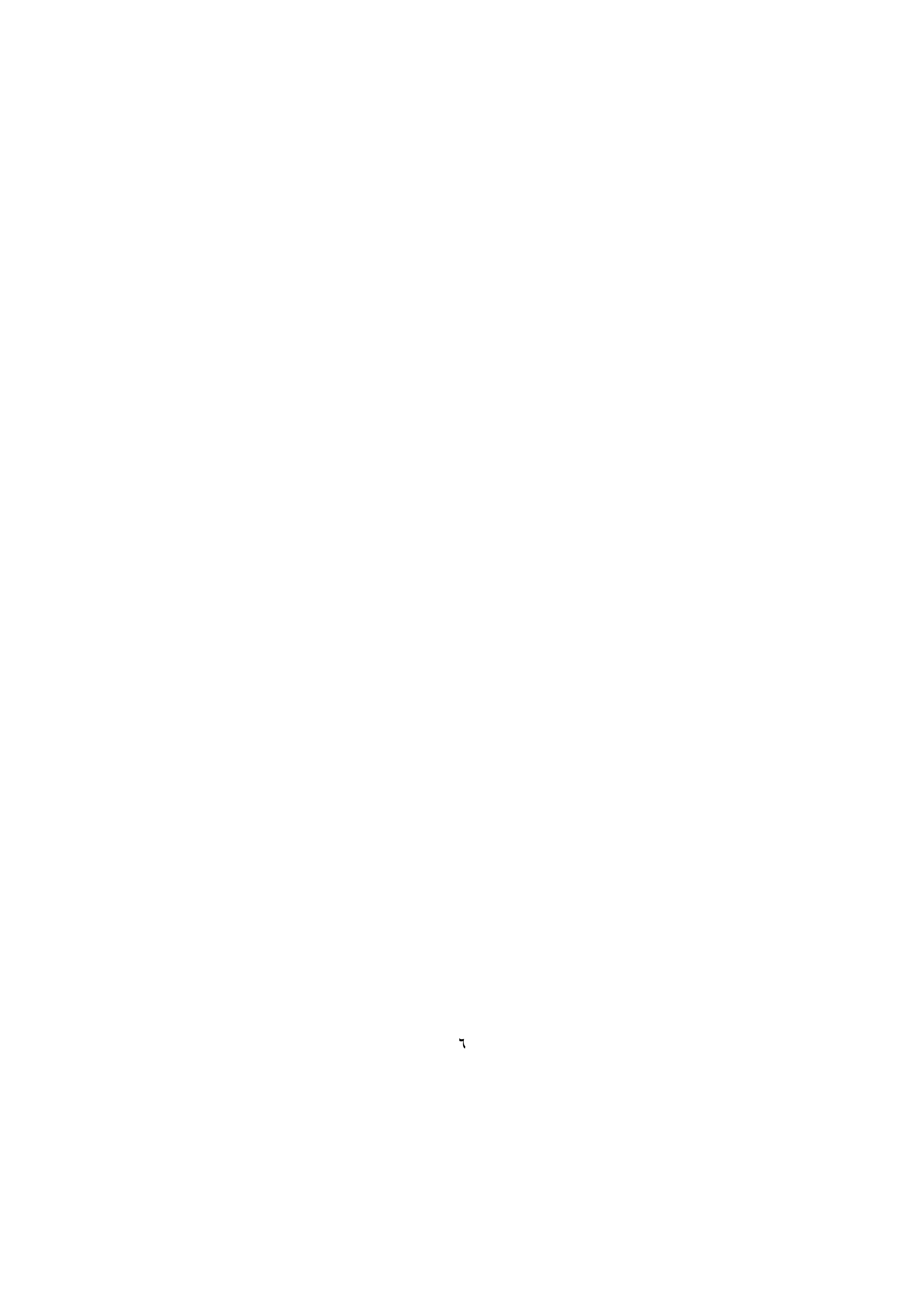
إلى جدي "عوض"

تلك المدينة لم يبق منها غير رياح عصفت بها ..
أتأمل لوحة العبقري الـ جريكو " ، " عاصفة على توليدو "
وأستعير من حفيده " نيكوس كازانتزاكيس" ما كتب إلى جده الـ جريكو في مذكراته .. ففي توليدو أرى وجه القدس ، وفي خطاب نيكوس تتجلى مشاعري :

"تطلعت إلى توليدو التي رسمتها، ملفعة بغيوم سوداء ومهدمة بالصواعق،وأبراجها وكنائسها وقصورها التي تحررت من أجسادها لتظهر من وسط السواد مثل أشباح ملفعة ببهاء مقلق.وبعد التأمل لحظة في صمت هتفت: أي شيطان في داخلي؟من أضرم توليدو؟ إنني فعلاً أستنشق ريحاً مليئة بالجنون والموت،مليئة بالحرية ..

إن روحي ياجدي تشبه توليدو– طليطلة – في العاصفة الملفعة بالصواعق الصفراء والغيوم السوداء الكثيفة والمكافحة بيأس في معركة لا تراجع فيها ضد كل من الضوء والظلمة ".

المؤلف



مقدمة :

أي مدينة هى ... ؟!

حملت على كاهلها تاريخا طويلا، يضرب بجذوره عبر العصور إلى ما قبل الديانات السماوية ..

زهرة المدائن.. مدينة السلام والحرب .. مدينة الرسالات والأنبياء .. ولتعرف الأجيال .. كل الأجيال عربية كانت أو غير عربية، أن القدس بالنسبة لليهود ليست مجرد شعار.. بل هى حلم قديم ومرجع لابد منه، لأن الهوية اليهودية الإسرائيلية تحتل شقين .. أحدهما يتعلق بالكيان ذاته، بينما يتعلق الشق الثاني بالقدس، فبدون القدس ليس هناك كيان..و القدس يتبعها الكيان تلقائيا طالما تحتل جوهره .. هكذا إسرائيل قد انطلقت من القدس بمجرد احتلالها عام ١٩٦٧ لتعد هذه الانطلاقة .. وكأنها تجديد للنشأة الأولي باعتبار أن القدس في قاموس الطموحات اليهودية هى إسرائيل .. وإسرائيل هى القدس .

ومن أجل إيضاح جوانب عديدة لعمليات التزوير والتعتيم ،وإبراز الحقيقة التاريخية كان لابد لنا أن نقلب أوراق التاريخ .. رغبة في كشف

الحقائق ووضعها في موضعها الذي يجب أن تكون عليه في ظل تضحيات فلسطينية عربية تبذل ودماء تراق.. وسلام يشبه السراب .. لعلنا نلمسه من مقولة الحاخام الاسرائيلي "جونا ثان بلاس " : " إن السلام يعني الكثير لكن القدس شيء أثمن من السلام ؟ " فهل تصبح القدس بالنسبة للعرب أرخص من السلام الإسرائيلي ؟

وبعيدا عن المؤامرات والدسائس والمزايدات .. و أبواق الدعاية لندع الحقائق تجيب: من هو صاحب الأرض ؟ ومن هو صاحب الحق في السيادة عليها ؟

وإذا كذب اليهود الحقائق ، ورضي العرب بما هو كائن .. علينا إذن أن نتساءل: لماذا يقبل العرب بعد أكثر من ١٤٠٠ عاما من عروبة القدس تهويد المدينة راضين بالصلاة تحت الحراب الإسرائيلية في الأقصى الأسير .. وتحت حصار الكنائس ويشترون بما يتوهمونه سلاما .. مصيرا مشكوكا فيه، ومستقبلاً يكتنفه الغموض.

غير أن التساؤل الذي يفرض نفسه هنا – أيضا – هو: هل يمكن لإسرائيل أن تتنازل عن القدس، خاصة في ظل مايعانيه العرب .. وما تتمتع به إسرائيل إلى اليوم؟!

لعل بن جوريون – أول رئيس وزراء لإسرائيل – أجاب عن هذا التساؤل حين قال: مسألة القدس ليست مسألة ترتيبات في أساسها، ولاحتى مسألة قدرة عسكرية، رغم أننا لانستطيع حل كل مشاكل القدس

بالقوة العسكرية وحدها، لكنها المرحلة الأولى لاحتلال القدس تعقبها بعد ذلـك عـدة مراحـل، تتعلـق بالجانـب الاقتصـادي والاجتمـاعي وأيضـا الديموغرافي..

إن ما أردت أن أقوله ونقبت عنه هو الحقيقة .. نعم الحقيقة لا أقل.

وطرحت آراء وتساؤلات وتصورات حول القدس لنخبة من المفكرين والمثقفين والسياسيين من مختلف الانتماءات والتيارات والأجيال .. رأيت من واجبي جمع شهاداتهم لقضية ساخنة، متفجرة .. قضية الأمس واليوم و المستقبل .. والقضية الحقيقية للصراع العربي – الإسرائيلي في الشرق الأوسط.

ولأنني في الكتابة عن القدس أكون وفيا، للرحيل في حنايا وانعطافات التاريخ العربي والدخول في عوالم تلك المدينة الآسرة، والاستمتاع بروعة مساجدها وكنائسها ومعابدها ومبانيها وأزقتها وحواريها ، التي يوما ما ستستعيد حريتها – فما من مدينة في مخيلتي أسرني عشقها إلا تلك المدينة– يتملكني ولع شديد لا خلاص منه للكتابة .. ثم الكتابة، علني أفرغ ما في روحي القلقة .. وفاء للعشق لابد أن أكتب عمن أعشق، لذا قدمت كتابي هذا، يقينا مني أنه إذا كانت تلك المدينة بالنسبة لليهود قضية الهوية المفقودة، فإنها للعرب الكيان المغتصب.

المؤلف



المدينة والتاريخ



القدس: يعود ميلادها كمدينة إلى أكثر من ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد .. ويذكر علماء الآثار والتاريخ أنه قد شيدتها إحدى القبائل الكنعانية – العمورية – التي نزحت من شبه الجزيرة العربية .. ومنذ نشأة المدينة تبدلت عليها القبائل والأجناس والحضارات واللغات وتبدلت عليها كذلك الأسماء، فيذكر أن مدينة "القدس" كانت تحمل إسم "أورشليم" وكان هذا الاسم عموريا – حيث ذكر في الكتاب المقدس – وهى الصيغة العربية لإسم "أوروسالم" الآرامي .. الذي ورد في بعض رسائل تل العمارنه في القرن ١٤ ق . م .. وكلمة "أوروسالم" تتكون من مقطعين :

المقطع الأول "أور" بمعنى موضع أومدينة، والمقطع الثاني "سالم" بمعنى السلام ومجمل مقطعي الكلمة يعني مدينة السلام. ونشير إلى ما ورد في العهد القديم "هكذا قال الرب لأورشليم: مخرجك ومولدك أرض كنعان، أبوك أموري وأمك حثية" (حزقيال ١٦ : ٢-٣) .. وأطلق عليها في بعض النصوص المصرية التي تعود إلى القرن ١٨ ، ١٩ ق.م اسم "روشاليم" .. وسميت كذلك "يبوس"

نسبة إلى اليبوسيين، وهم فرع من الكنعانيين نسبة إلى أولاد كنعان – وظل إسم "يبوس" علماً على المدينة، حتى إستولى عليها داود، وصار إسمها بعد ذلك "مدينة داود".

وقد وجد اليهود صعوبة في نطق وكتابة "أوروسالم" باللغة العبرية فوردت في أسفار العهد القديم بإسم "يروشاليم" ولكنها وردت بدون ياء .

ونجد إسم القدس ورد في بعض النقوش التي تعود إلى عهد الإسكندر الأكبر .. وقد سماها إلى ونان "هيروسوليما" ثم صار إسمها "ايليا كابيتولينا" في عصر الإمبراطور الروماني "ايليوس هدريان" بعد أن قضى على الكيان الديني اليهودي .وفي أعقاب ذلك أصدر مرسوماً يتضمن أمراً بقتل كل من يدخل القدس من اليهود .. وعرفت بإسم "ايليا" في أوائل الفتح الاسلامي، وسميت كذلك في العهدة العمرية .

قال الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته ۞ وقصر بأعلى إيلياء مشرف

وقيل أن من أسمائها: ايليا، إليا، إيلياء و(بيت ايل)ومعناه بيت الرب.

ومن أسمائها (القرية)، وإلى ذلك تشير الآية :{ ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حيث شئتم رغداً، وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم }، ومنها { الأرض المباركة } وإلى ذلك تشير الآية : {ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين} .

ومنها (الساهرة)، جاء في الآية : {فإذا هم بالساهرة} .

ومن أسمائها: (بيت المقدس) و (البيت المقدس) و (الأرض المقدسة)

روى أن مروان بن الحكم قال يوما للفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة إنها محذورة والحق بمكة أو بيبت المقدس

وذكر ابن حجر العسقلاني البيت المقدس في شعره فقال :

إلي البيت المقدس جئت أرجو جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقاباً ومابعد العقاب سوى النعيم

ومن أسمائها: (المسجد الأقصى) وفي ذلك نزلت الآية الكريمة :{سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}، ومنها : (الزيتون) وفي ذلك نزلت الآية { والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين }. قال ابن عساكر نقلا عن ابن عباس: "إن التين بلاد الشام، والزيتون بلاد القدس، وطور سينين الجبل الذي كلم الله موسى عليه، وهذا البلد الأمين مكة" .

ومن أسمائها: (القدس)، قال الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف في الجزء الثاني من مجلة المقتبس مايلي: "ولعل أقدم من ذكرها بهذا الإسم المطران سليمان الغزي أسقف غزة والشام حوالي القرن الرابع عشر للميلاد إذ قال: أيدعوك للقدس الخيال الذي يسري فهل لك في ترك الزيارة من عذر .

إن المؤلفين العرب ذكروا (القدس) في مؤلفاتهم قبل ذلك التاريخ بزمن طويل، فقد ذكرها أبو العلاء المعري في شعره (٤٩٥هـ ١٠٥٧م).

ياشاكي النوب انهض طالباً حلبا نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعاً كفعل موسى كليم الله في القدس

وللعماد الأصفهاني كتاب اسمه (الفتح القسي في الفتح القدسي) ١٢٠٠م، ولأبي الفرج التميمي المعروف بإبن الجوزي كتاب اسمه (فضائل القدس) ١٢٠٠م، وللقاضي أمين الدين هبة الله الشافعي كتابه (الأنس في فضائل القدس) ١٢٠٦م، ولشهاب الدين بن سرور المقدسي كتاب (مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) ١٣٦٣م . ولمحمد بن إسحق القدسي كتاب اسمه (تاريخ القدس) ١٣٧٤ م .. هذه وغيرها من الكتب تدلنا على أن اسم القدس كان معروفاً منذ أوائل الحكم الإسلامي في هذه البلاد. وقد احتفظ الأتراك في باديء الأمر باسم (القدس)، ثم أضافوا إليها وصف الشرف فراحت تعرف باسم (القدس الشريف)، وعرفت بذلك طيلة وجودهم في البلاد (١٥١٧ – ١٩١٧م).

وقد سميت أيضاً باسم مدينة داود، صهيون، مدينة الله ومن أسمائها أيضاً "قدتيس" التي ذكرها المؤرخ اليوناني "هيرودت" ت ٤٢٥ ق . م وأطلق عليها إسم "بيت المقدس"بدءاً من العصر الإسلامي، لقدسيتها في الأديان السماوية. ولعل أجمل وصف يليق باسمها ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي:

بلد على أرض الهدي وسمائه   المجد حائطه ورأس بنائه
بلد بنوه الأكرمون قبورهم   وقصورهم وقف على نزلائه

طبوغرافية القدس

تقع مدينة "القدس" على هضبة غير مستوية يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ – ٢٤٦٩قدماً .. ومتوسط إرتفاعها فوق سطح البحر المتوسط من اتجاه الغرب ٢٥٠٠ قدم وترتفع تجاه الشرق من سطح البحر الميت ٣٨٠٠ قدم، وتبعد ٣٢

ميلاً عن البحر المتوسط غرباً .. وحوالي ١٨ميلاً عن البحر الميت شرقاً و١٩ ميلاً عن الخليل "حبرون" جنوباً و ٣٠ميلاً عن السامق شمالاً .. وطقس المدينة قاري، صحراوي، فهى تقع على خط عرض ١٣٣١/ ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ١٣٣٥/ ٢٥ شرق جرينتش.

وتحيط بالهضبة التي تقع عليها القدس أودية عميقة أهمها وادي قدرون الذي يعرف باسم الوادي الشرقي ووادي "سلوان" أو "هنم" في الغرب ويلتقي الوديان جنوباً كذلك يمتد من الشمال الغربي للهضبة إلى جنوبها الشرقي وادي الجبانة ويمتد إلى وادي سلوان الذي يصل بدوره بوادي قدرون.

أما أهم جبال القدس فهو جبل الزيتون : الذي يسميه العرب "جبل الطور" وتقع أسوار الحرم في مواجهة الجبل من الجهة الشرقية وعرف عند اليهود باسم "جبل المسح" أي جبل التتويج، لأنهم كانوا يستخلصون من زيتونه الزيت المقدس المستخدم في تتويج ملوكهم .

كذلك يعتبر **جبل بطن الهوا**إمتداداً لجبل الزيتون من الجنوب الشرقي للقدس، واشتهر عند اليهود بالجبل الفاضح ويزعمون أن المعابد الوثنية لنساء سليمان الأجنبيات قد أقيمت عليه ..أيضاً جبل رأي المشارف الذي عرف عند اليهود بجبل المراقبين هو امتداد طبيعي لجبل الزيتون من الشمال الشرقي وحتى الشمال .

أما جبل صهيون فيقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقدس، وكانت توجد عليه القلعة المسماه "مدينة داود " .

أما جبل بيت المقدس فعرف عند اليهود باسم جبل "الموريا"وهو قريب جداً من المسجد الأقصى .. وقيل عنه أنه أطلق عليه "جبل الحرم ".

ونظراً لموقع مدينة "القدس" المتميز فمنذ القدم – قبل الميلاد – وحتى الآن تربطها بمدن فلسطين وما يحيط بها من بلدان شبكة جيدة من الطرق .. وإن كان حدث الكثير من التغيرات نتيجة سياسة اليهود لتشويه المعالم التاريخية للمدينة وإضفاء طابع المدينة الحديثة عليها بالإلغاء والتحديث. وأبرز الطرق الرئيسية للقدس الطريق الساحلي الذي يبدأ من مصر ويمتد على ساحل البحر المتوسط ويستمر حتى صور وصيدا ماراً بخان يونس وغزة ويافا وعكا .. أما الطريق الأوسط فيمتد من بئر سبع حتى القدس التي كانت محطة مواصلات دولية في الشرق القديم ..بمعني أن هناك طرقاً كانت تؤدي إليها وأخري تخرج منها، وإذا كان للقدس عدة طرق مرصوفة تربطها ببقية الضفة الغربية، إلا أن هناك عدة طرق اخرى لكنها غير مشهورة أو مألوفة .. كما أن للمدينة مطاراً على بعد ١٠ ك . م في طريق رام الله في الشمال .. وكان بها قبل حرب فلسطين عام ١٩٤٨ نحو ٥٢٣شركة صناعية وزراعية، و١٦بنكاً حكومياً وأجنبياً .

أسوار القدس القديمة

أول من أحاط المدينة بسورٍ هم اليبوسيون العرب سكان القدس (نحو ٢٥٠٠ق .م) وقام داود وسليمان بترميمه بعد استيلائهما على المدينة وفي عهدهما كان يمتد هذا السور اليبوسي من الأحياء الغربية في البلدة القديمة حتى التلال الواقعة شرقي الحرم الشريف، وكان عليه آنذاك ٦٠ برجاً وبعد ذلك خرب يوآش ملك إسرائيل جزءاً منه يوم أن تغلب على أمصيا ملك يهوذا (٧٩٠ ق . م) وبنى الملك منسي السور الثاني أثناء الاحتلال الأشوري لفلسطين (٦٤٤ ق

. م) ثم دخل السور أحياء جديدة هى التي تقع عليها اليوم حارة النصارى وكان عليه ١٤ برجاً وقد هدمه الملك نبوخذ نصر (٥٨٦ ق م) فأعاد نحميا النبي ترميمه في عهد الفرس (٤٤٠ ق.م)وكان يقوم بالبناء ليلا خوفاً من بطش جيرانه الحورانيين والعمونيين العربوفي عهد بطليموس الأول هدم جزءاً منه (٣٢٠ ق.م)ودك أنطونيوس أبيفانوس جنباً منه (١٦٨ ق.م) وأتى بومبي الروماني على ما تبقي منه (٦٣ ق.م)وقيل أن جزءاً من سور نحميا ظل حتى استخدمه الملك هيرودس في تحصين قصره، الذي كان يقع فوق دير مار يعقوب وكنيسة المسيح في جنوب غربي المدينة القديمة. وفي عهده بدأ في إنشاء السور الثالث (٣٧ ق.م) وتوسعت المدينة فضمت مناطق الباب الجديد وقبور السلاطين وباب الساهرة في الشمال الغربي وكان لهذا السور ٩٠ برجاً، وقد دمر تيطس الروماني جانباً منه (٧٠م) وكذلك فعل أدريانس (١٣٥م) ومن بقاياه الحالية جزء من مدرسة المطران على طريق نابلس والباب ذو القوس المدفون عند باب العمودوبعد ذلك شيدت الملكة أفدوكسيا الرومانية سوراً جديداً (٤٣٨م) وقد أدخلت في حدود القدس قرية سلوام ولكن هدمه الفرس (٦١٤م) وعندما أعيد بناؤه في عهد هرقل كان على أساس ما كان عليه في عهد أدريانوس. وقام الصليبيون ثم صلاح الدين الأيوبي بإصلاحه وحفر الأخير حوله خندقاً وقد إستخدم في ذلك أسرى الفرنجة وتهدم معظمه في عهد الملك عيسى (١٢١٩م) ورممه العادل زين الدين (١٢٢٥م) ثم قلاوون (١٢٣٠م).

أما السور الحالي فقد جدده السلطان العثماني سليمان واستغرق ذلك خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠م) وله ٣٤ برجاً وطوله ٤ ك.م وطوله من

الشمال ٢٩٣٠قدماً ومن الشرق ٢٧٥٥ قدماً، ٢٠٨٦قدماً في الغرب، و٣٢٤٥ جنوباً وبه ٧ أبواب في الشرق : باب الدهرية (الجميل)، باب ستي مريم (أوأسطفانوس) وسمي قديماً بباب الضأن وفي الغرب باب الخليل (أو يافا) وفي الشمال باب العمود (ويسمى أيضاً باب دمشق أو باب النصر وباب الساهرة (باب هيرودس) الباب الجديدوجنوباً باب داود (أو صهيون) وباب المغاربة وارتفاع السور الحالي ٤٠ قدماً وينغمس أساسه نحو ٣٥ قدماً اخرى في الأساس، وحجارته ضخمة، وأبوابه مشيد عليها أبراج عالية لحمايتها، وظلت هذه الأبواب حتى سنة ١٨٥٨م تغلق عند كل غروب وتفتح عند الفجر ولكن بعد تشييد المباني الجديدة خارج الأسوار كانت تفتح الأبواب ليلا وتمتاز المباني القديمة بالقدس بأنها من الصخور الصلدة وتغطى المنازل بقباب (جمالونات) لتقيها من تجمع الأمطار والسيول الشتوية التي تنساب إلى الآبار والخزانات المنزلية التي توجد في كل منزل .

أما عن مساحة القدس القديمة فيذكر أنها كانت (داخل الأسوار) تبلغ ٨٦٨ دونما (أي ٨٦٨,٠٠٠ متر مربع) والقدس الجديدة (خارج الأسوار) ١٩٢٣١ دونما وكان العرب قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ يملكون ٨٨,٥% من المساحة الكلية للمدينة واليهود ١١,٥% فقط في القدس القديمة وفي المدينة الجديدة كان للعرب ٥٣,٨% من المساحة ولليهود ٢٦,١% وللحكومة ٢,٩% و١٧,١٠% طرق وميادين عامة وسكك حديدية وكان بالقدس سنة ١٩٤٧(بالقطاع العربي الأردني) ٢٠٥ مدرسة (منها ٣٧ مدرسة مسيحية خاصة)، كما ضمت المدينة ٤٩ مكتبة كبيرة، وأنشئ بها متحف حكومي للآثار

سنة ١٩٣٨، ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية للسور أما المتحف الاسلامي فقد شيد سنة ١٩٢٣م بداخل أبنية الحرم الشريف وأدخلت التليفونات سنة ١٩١٨

صخور وينابيع مقدسة

تتكون تربة القدس من صخور جيرية .. يذكر الجيولوجيون أن صخورها تحللت من الزمن الثالث ما عدا تل جبل الزيتون وغيره من التلال المجاورة له .. إلا أن هذه التربة الصخرية لاتصلح لتكون زراعية بستانية لأن الأمطار عندما تهطل تغسلها وتدفعها نحو شقوق الصخر .. ولكن في بعض المناطق – نتج عن تفكك الصخور – تربة رغوية غنية. ويستخدم الحجر الطباشيري في عمليات البناء والتشييد حيث يمتاز بعدم تشققه وميله إلى البياض، ويتصلب بتعرضه للعوامل الجوية .. ومن صخور تربة القدس، نوع من الصخور لا ينكسر ولا يتأثر بالنار.

وقد زرعت مساحات محدودة – وغالباً على التلال – بأشجار الفاكهة كالتين والزيتون والكروم معتمدة على المياه الجوفية في الري إلا أن أشجار الزيتون تكثر في شرق القدس على التل المسمى باسمها (جبل الزيتون) .

ومازال القمح والشعير يسودان السهول المنخفضة التي تعتمد على مياه الأمطار.

وقد تعرضت التربة لزلازل أرضية كثيرة، فقد تعرضت للهزات الأرضية الكبيرة أكثر من ٥٠ مرة، وكان أعنفها ما حدث عام ٧٨٠ ق.م، وقد وصفه يوسيفوس بأنه شق الجبل، فهبطت الطرق وسقطت الأبنية .. وقضي زلزال عام ٣١ ق . م على نحو ٢٠,٠٠٠ نسمة في عهد هيرودس .. وفي عام ٧١٢م

استمرت الهزات المدمرة أربعين يوماً في كل بلاد الشام .. ويذكر المؤرخون أن زلزالي ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ هدما الكثير من المنازل وتوفى الكثير من السكان .. ويكثر هطول الأمطار على المدينة ما بين شهري أكتوبر ومايو .. ويندر مابين شهري سبتمبر ويونيه .. ومتوسطه السنوي الحالي ٢٥,٥ بوصة ويتساقط الجليد من ديسمبر حتى مارس ويندر في إبريل، ويتكون بكثرة في يناير – في الليل ويذوب أثناء النهار – ومتوسط درجة الحرارة(صيفاً–٧ ف)و(شتاءً– ٣ ف) .. وفي فصلي الربيع والخريف تهب رياح السيروكو التي تنفذ للمدينة من الفتحة الجنوبية الشرقية آتيه من صحراء موآب في الجنوب .. وتسود الرياح الشمالية الغربية الجافة، لكن نسيم البحر المتوسط يجلب معه الرطوبة إليها .

وتعتمد "القدس" على مصدرين للمياه في الزراعة والحياة البشرية هما مياه الآبار الجوفية والينابيع ومياه الأمطار الموسمية، ويلاحظ أن صرف مياه الأمطار جوفي وعند سقوط المطر بغزارة – في بعض الظروف أو عندما تذوب الثلوج فجأة على المرتفعات يتكون المستنقع الضحل في أحد الوديان وصرف المياه – كما هو معروف–يسير طبقاً لتضاريس السطح أي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وبينما نجد أن خط المطر يرتفع إلى ٢٦٧٥ قدماً فإن واديي قدرون وهنوم يرتفعا ٢٠٦٥ قدماً فوق سطح البحر المتوسط، وعلى ذلك فليست هناك مياه راكدة في البرك التي تفيض خلال موسم المطر .

وقد ورد في أسفار العهد القديم (التوراة) ذكر لثلاثة ينابيع هى جيحون عين روجل (حالياً عين أم الدرج) دراجون وما ورد من نصوص في العهد القديم ينطبق على النبع الموجود في وادي قدرون قرب القدس القديمة ويغذي بركة سلوام

ويسمى حالياً بعين العذراء (أو عين الخطوات بسبب الهبوط اليه عن طريق سلم حجري) ويغطيه قوس حجري لحمايته من الأتربة إذ أنه يوجد في فجوة تنخفض ٧٥ قدماً أسفل أكوام الأتربة المحيطة به وفي الشتاء ترتفع مياهه ثلاث أو أربع مرات يومياً وفي الصيف مرة أو مرتين وفي الخريف مرة واحدة فقط. وسبب ذلك أن للنبع مصدرين أحدهما دائم والآخر متغير، وهو يتغذى من المياه الجوفية ويذكر أن مياهه حلوة ولكنها حالياً تميل إلى الملوحة وقد سمى نبع عين ورجل (يشوع ١٥ : ٧ ، ١٨ : ١٦) وهو يوجد في وسط الحدائق الواقعة جنوب شرقي القدس عند إتحاد وادي هنوم بقدرون .. ويوجد بئر آخر يسميه العرب بئر يعقوب وعمقه ١٢٢ قدماً وله حوائط صخرية ويمتليء في موسم المطر وتخرج منه المياه وعلي بعد ثلث ميل إلى الجنوب منه يوجد نبع آخر يسمى بئر دراجون ويسميه نحميا .. باسم نبع التين ومن الجدير بالإشارة في هذا المجال أنه منذ عهد داود كانت المدينة تحصل على المياه من البرك وبحفر الآبار أو المدنية بإنشاء أحواض صناعية لتجميع المطر ومازالت لها آثار حالياً، ويذكر أنه كانت بأورشليم (كما ورد في العهد القديم "نحميا النبي ٣ : ١٦) بركة صناعية كبيرة بجوار البرك الطبيعية الموجودة مثل البركة العليا، ويبدو أنها كانت شمال غرب المدينة القديمة، أما بركة "شيلا" فقد قرر الكثير من علماء الآثار أنها بركة "سلوام" جنوبي الأسوار الحالية .. كما كانت هناك قناة تمر في أسفل التل الشرقي بالقرب من بوابة المياه كشفها شارل وارين سنة ١٨٦٨ م وكانت مياهها تدخل القدس من نبع جيحون عبر تل صخري، كما كان هناك نفق اكتشفه الأثري الألماني كونراد فون شيك سنة ١٨٩٠ واتضح أن جزءاً منه كان مغطى،

أما المصدر الثالث لمياه المدينة القديمة فهو نفق سلوام، وكان محفوراً في نفق ملتوي حتى بركة الملك .

وهناك الكثير من المخطوطات القديمة يشير إلى قيام عدة محاولات في عهد الملك داود وبعده لتوصيل المياه من مسافات بعيدة من جنوب القدس عن طريق قنوات طويلة تصب في نهايتها في أحواض حجرية، وليست هناك آبار أو موارد مياه اخرى معروفة الآن غير ذلك .

القدس قبل وجود اليهود بها

يذكر علماء الآثار أن أول من سكن القدس كانت قبائل بدائية في العصر الحجري القديم .. وقد عثر العلماء على أدوات حجرية من العصر الباليولوثي الأدنى والعصر الموستيري الذي تمثله جمجمة وجدت في مغارة الزيتية عام ١٩٢٥م ، موجودة حالياً بمتحف القدس .. ويذكر كذلك أنه منذ عام ٤٠٠٠ ق.م اتخذت الهجرات إلى القدس صورة منتظمة أولها الأموريون إلى الشام وفلسطين الذين استطاعوا أن يقفوا في وجه العبرانيين فيما بعد.. ويذكر المؤرخون أن الكنعانيين والأموريين تحركوا في هجرة واحدة نحو غرب الأردن وسيطروا على سواحل البحر المتوسط، ثم امتدوا نحو الشام شرقاً ، ويرى البعض أنهم جاءوا مباشرة من الجزيرة العربية بينما يرى البعض الآخر أنهم هاجروا من فارس، وتشير التوراة التي تعتبر من أهم الوثائق التاريخية في هذا المجال إلى مدي التقدم الذي وصل إليه الكنعانيون، فقد شيدوا القصور والمباني الفخمة .. وأسسوا المدن والحكومات المستقلة، وبلغوا درجة كبيرة من الرقي في الزراعة والصناعة حيث

ينسب إليهم إختراع الزجاج كما كانوا من أكبر التجار في حوض البحر المتوسط في تلك العصور .. وقد كشف علماء الآثار والحفريات عن مدن كنعانية تدل على حضارة هذا الشعب، لكنهم فشلوا في نظمهم السياسية حيث لم يستطعوا توحيد دولتهم تحت قيادة حاكم واحد وإقامة دولة كنعانية قوية، مما سهل على العبرانيين – فيما بعد – الإستيلاء على أجزاء كبيرة من أرضهم، وإحتلال مدينة بعد اخرى في عهد القائد اليهودي يشوع بن نون – كما تصف التوراة – إلا أنه رغم ذلك لم يتمكن الإسرائيليون من بسط سلطانهم بصفة دائمة على كل الضفة الغربية للأردن لأن جزءاً كبيراً ظل تحت سيطرة الكنعانيين، وظلوا في صراع دائم معهم نحو مائتي عام .

وقد قام الأراميون في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد بهجرة إلى بلاد الشام عرفت باسم الهجرة الكبيرة، وظلوا بعد غزو العبرانيين في عداء مستمر معهم فدست إسرائيل لدى أشور فتم القضاء على الأراميين سنة ٧٣٠ ق . م ،لكن إسرائيل جنت نفس المصير جزاء خيانتها فأزالتها آشور من الوجود بعد ذلك، ولكن ظلت اللغة الأرامية سائدة في الشام ألف عام أخرى، أما الفلسطينيون (ويعني إسمهم سكان المناطق المنخفضة) فقد جاءوا في الموجة الرابعة من جزيرة كريت التي تسمى في التوارة بكفتور (تث ٢ : ٣٢ ، أرم ٤٧ : ٧) من هجرة سامية مرتدة – ربما بسبب ضغط الهلينيين (الإغريق) الذين احتلوا كريت فسكن الفلسطينيون بين يافا وغزة، ثم توغلوا إلى الداخل حتى جبل يهوذا وعاشت بقايا الكنعانيين بينهم وبين بني إسرائيل فيما بعد، وإتخذ الكنعانيون اللغة الكنعانية ومارسوا عاداتهم وكان يحكم كل مدينة من مدنهم أمير

يشغل – في نفس الوقت – منصب قائد الجيش وقد أثبتوا كفاءتهم في الحرب ضد الإسرائيليين فأخضعوهم لهم عدة مرات . وظلوا في حروب مستمرة معهم نحو ٣٠٠ عام، جاءت أخبارها بالتفصيل في التوراة في سفر القضاة .. أما الهجرة الأخيرة فقد قام بها العبرانيون وهم قبائل بدوية سامية عاشت في شمال بلاد العرب وعلي أطراف سوريا الجنوبية الشرقية، وقد جاءوا إلى فلسطين إبان فترة الفراغ التي تلت إنهيار الدولة الحديثة في مصر، وقد توقفت هذه القبائل الإسرائيلية شرقي الأردن لتسمين العجول التي نهبوها من أرض بشان، التي كانت تحت سيطرة الملوك الأموريين، وهزمهم العبرانيون في معركة أذرعي Edrei عام ١٩٤٥ ق . م .. يذكر المؤرخون أن اليبوسيين رحلوا إلى أرض القدس وأسسوا المدينة التي عرفت باسم "يبوس" قبل الميلاد بـ ٣٠٠٠ سنة، واتخذوها عاصمة لهم ويرجع بعض المؤرخين أنهم كانوا بطناً من بطون العرب الأوائل الذين تعود نشأتهم إلى الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية في الألف الثالثة قبل الميلاد، ومن أشهر ملوك اليبوسيين "ملكي صادق" وكان أول من خطط لبناء مدينة "يبوس" وقام بتحصينها ..ويقال أنه كان معاصراً لسيدنا إبراهيم عليه السلام ..ومن ملوكهم أيضاً "سالم اليبوسي" الذي بني قلعة على جبل يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للدفاع عن "يبوس"، ويذكر أن هذا الجبل الذي بنيت عليه القلعة هو الجبل الذي عرف منذ عهد داود باسم جبل صهيون .. وكانت مدينة "يبوس" تحتل موقعاً متميزاً على طريقين للتجارة .. الطريق الأول يربطها بالبحر المتوسط والثاني يربط حبرون (الخليل) ببيت آيل (بتين) ومن بيت آيل كان الطريق يتفرع إلى إتجاهين واحد نحو (نابلس) والآخر إلى أريحا ووادي

الأردن ..وفي عام ١٤٧٩ ق .م إتخذت المدينة إسم "أورسالم" وخضعت لمصر في عهده .

ويؤكد الباحثون على أن أقدم النقوش التي ذكر فيها اسم القدس هى تلك النقوش الموجودة في مجموعة اللوحات المسمارية المكتوبة باللغة الأكادية والتي تتخللها تفسيرات قليلة بالكتابة الأوحاريتية الكنعانية المبسطة .. وتلك النقوش عرفت (لوحات تل العمارنة) وهى وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد فرعون مصر أمينوفيس الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥ ق.م) وإبنه إخناتون (١٣٧٥ - ١٣٥٠ ق.م)، وذلك عندما إستنجد حاكمها عبد يخيبا -وكان حاكماً من قبل فرعون مصر بأمينوفيس الثالث لصد غارات الحابيرو .. وهى مجموعة من القبائل البدوية التي هاجرت من الجزيرة العربية قبل موسى عليه السلام .. وقد خضعت القدس لحكم إخناتون عام ١٣٧٥ ق. م - وكانت في عهده أهم ممتلكات مصر، ثم توت عنخ آمون عام ١٣٥١ ق. م، ثم سيتي الأول عام ١٣١٤ ق.م وقيل أنها خضعت بعد هؤلاء لمنفتاح ويدل على ذلك لوحة إكتشفها العالم الأثري سير فلندز بتري سنة ١٨٦٦م (وترجع لنحو ١٢٩٩ ق.م) ومكتوب عليها بالهيروغليفية "لقد غلب الملوك وقالوا سلاما وخربت تحينو وهدئت أرض الحيثيين فإنتهت كنعان وحل بها كل الشرور وخربت إسرائيل ولم يعد لأبنائها وجود وأضحت فلسطين أرملة لمصر وصمتت كل البلاد وهدأت وكل من كان ثئراً قيده الملك منفتاح" .

وكان الفراعنة يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها بشرط أن يدفعوا الجزية ولم يكونوا يتعرضون لمعتقداتهم الدينية أو عاداتهم المحلية ولم يصيبوهم

بسوء. ولما أغار الحيثيون من الشمال على الشام وفلسطين كان على فراعنة الأسرة التاسعة عشر أن يطردوا الحيثيين منها واتفق رمسيس الثاني مع ملك الحيثيين حتسيب الثاني Hattusib على أن تكون فلسطين كلها من نصيب مصر (وكان ذلك نحو ١٢٧٩ ق.م) لكن المتاعب بدأت ثانية بظهور الإسرائيليين الذين يحتاجون منا إلى أن نرجع معهم إلى الوراء قليلا إلى أول هجرة لهم، مع هجرات الهكسوس والحوريين (بين٢١٠٠ – ٢٠٠٠ ق.م) وقام بها الآباء الأولون لليهود وعلي رأسهم إبراهيم الخليل الذي تقول التوراة أنه جاء غريبا لأرض كنعان (فلسطين) مع ابن أخيه لوط وعائلتيهما، ويرجح بعض المؤرخين أن ذلك كان في عصر الأسرة الثانية عشرة المصرية (وفرعونها سنوسرت) ويحتمل أن يكون قد عاش في عهد الملك حمورابي المشرع البابلي المشهور، الذي تسميه التوراة أمرافيل (تك ١٤ : أ). وعاش هؤلاء العبرانيون الغرباء وسط الكنعانيين والحيثيين (الذين يرجح أنهم من سلالة كنعانية عربية) واتخذوا لغة أهل البلاد الكنعانية وسمى سيدنا إبراهيم بالعبراني لعبوره نهر الأردن في طريقه لفلسطين، أو نسبة لجده عابر بن سام بن نوح (تك ١٠) .

وفي القرن ١٧ ق.م هاجر العبرانيون من فلسطين لمصر (رحلة سيدنا يعقوب والأسباط بناء على دعوة ابنه يوسف الوزير في البلاط المصري) فاستقروا في أرض جاسان (بمحافظة الشرقية) وكانوا في مجموعهم سبعين فردا فقط، وتم خروجهم من مصر عبر البحر الأحمر بقيادة موسى النبي عليه السلام .. بعد أن بقوا في مصر ٤٣٠ عاما كاملة. وقيل أن سيدنا موسى تربي في بلاط الملكة حتشبسوت (نحو ١٥٢٧ ق م) طبقا لحفريات جلاستنج .. عضو بعثة جامعة

ليفربول – في مقابر مدينة أريحا، ويؤكد كل المؤرخين بأن الخروج من مصر يمثل البداية الحقيقية لتاريخ اليهود في الأرض المقدسة، ويذكر الكاتب " يوجين هود " أنه لما تراخت قبضة مصر على فلسطين سمح ذلك للعبرانيين أن ينفذوا ببطء إليها تدريجياً (نحو ١٤٠٠ ق.م) حتى تم التهام أكبر مساحة منها في عهد داود (نحو ١٠٠٠ ق.م) وكان يابان JAPAN الملك الكنعاني (وقائده سيسرا) قد سيطر عليهم من عام ١٢٢١ – ١٢٠١ ق م ثم أخضعهم المديانيون العرب سبع سنوات ثم ساد نفوذ الفلسطينيين عليهم بعد هزيمة قائدهم المشهور شمشون (نحو ١١٠٠ ق م)، والجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا أكثر تقدما في أسلحة الحرب فكانوا يستعملون عربات حربية ثقيلة تجرها الثيران (كما تشير التوارة .. والنصوص المصرية القديمة) .

وكانت إسرائيل قد بدأت تظهر طموحها وتستهدف الاستقرار ولكن الفلسطينيين إستطاعوا أن يؤكدوا وجودهم ضدها لأنها لم تكن قد عرفت الوحدة السياسية والإدارية على أن ضغط الفلسطينيين عليها كان من أهم العوامل في تجميع قواها وإنشاء أول مملكة لها– كان ملكها الأول شاول بن قيس ولكن الفلسطينيين استطاعوا أن يقضوا عليه ثم تولى الحكم بعده داود النبي، الذي عاش طوال حياته في حروب مستمرة مع جيرانه العرب واقتبس الإسرائيليون الحضارة الكنعانية فتركوا – الإسرائيليون – معيشة الخيام وسكنوا بيوتا مثل الكنعانيين، وتعلموا منهم التجارة وبعض الصناعات اليدوية وخلعوا ثياب الجلد ولبسوا بدلا منها ثيابا منسوجة من الصوف كثياب الكنعانيين .

يذكر أنه خلال غزو بني إسرائيل لفلسطين كلها تحت قيادة القائد اليهودي يشوع بن نون، اتحد ملك اليبوسيين "أدوني صادق" مع أربعة من الملوك المجاورين (ملك حبرون – ملك يرموت – ملك لخيش – ملك محكون) وتصدوا ليشوع بن نون إلا أنهم وقعوا في الأسر، فأعدمهم، لكن سكان "يبوس" أو القدس قد تحصنوا بالتلال الجبلية المحيطة بالقدس بعد محاولة الملك يشوع تدميرهم ، إلا أن أهل المدينة قاوموا وكان لسور مدينتهم العظيم الفضل في صد هجمات بني إسرائيل، فانهزم الإسرائيليون وتشتت شملهم .. وأعاد اليبوسيون بناء مدينتهم من جديد، إلا أنه بعد مرور أعوام أعاد الإسرائيليون الهجوم على المدينة وحاصروها وقاموا بتدميرها وكان ذلك بعد وفاة يشوع .. لكنهم لم يستطعوا الإستيلاء على قلعة اليبوسيين – والتي عرفت بإسم حصن صهيون فيما بعد – وبقيت تحت سيطرتهم مدة عهد القضاة وفترة حكم الملك شاءول أول ملوك بني اسرائيل .

وقبل وفاة يشوع قسم فلسطين إلى أنصبة قبلية بين أسباط بني إسرائيل الاثني عشر محددا مكان كل سبط .. وأصبحت "يبوس" في قطاع سبطي ويهوذا، ورغم ذلك التقسيم إلا أن يبوس ظلت مدينة تنتمي لسكانها الأصليين حتى عصر داود "عليه السلام" .. وقد ورد هذا صراحة في سفر يشوع (الأصحاح ١٥ – الفقرة ٦٣) .. "أما إلى بوسيون الساكنون في أورشليم "القدس" فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن إلى بوسيون مع بني يهوذا في أورشليم (القدس) إلى هذا اليوم .. وقد ظلت المدينة المقدسة إلى عهد داود مدينة لليبوسيين وعاصمة لهم أكثر من ٢٠٠٠ عام قبل عهد موسى .

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود عاشوا أقلية وسط اليبوسيين في المدينة منذ غزوة فلسطين بقيادة "يشوع" واليبوسيون معظمهم من الأدوميين والكنعانيين والموآبيين .. وغيرهم وهم عرب .. أي أن العرب كانوا السكان الأصليين للمدينة، إلا أن اليهود يغالطون في التاريخ ويدَّعون أن حرب "يشوع" لغزو فلسطين كانت حربا مقدسة متذرعين بالوعد الإلهي الوارد في سفر التكوين (١٥ : ١٨) في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقا قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" .

ولا يوجد خارج التوراة أى إشارة أو وثيقة تعود إلى هذه القصة القديمة عن إسرائيل .. وقد أثبت الباحثون والمؤرخون أن الجزء الأول من العهد القديم وهو المعروف بالتوراة–توراة موسى– لم يكن على هذه الحال التي نراها عليه اليوم إذ يذهب الباحثون إلى أن الشطر الأكبر منه قد تم تدوينه فيما بين عذرا (٤٢١ ق.م) والفتح الروماني(٦٣ق م) ويعتمد العلماء على أدلة كثيرة منها نصوص من التوراة نفسها "فمات هناك موسى .. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم"(تثنيه ٢٤: ٥ – ٦) ولا يمكن أن يصدر هذا القول عن موسى عليه السلام، وهذا يقطع أن التوراة في وضعها المعروف لنا حاليا ما لا يمكن نسبه إلى موسى .

ولعله من المناسب إيراد بعض أقوال عدد من العلماء والمؤرخين الأجانب:
١ - يقول دي لاسي أوليري De Lacy O'Leary : وفي حالة فلسطين مايحمل على الإعتقاد بأن أكثرية الفلاحين الحاليين هم أحفاد من جاء قبل الإسرائيليين.

٢ – ويقول و . ف . أولبرايت W.F. Albright : إن العنصر السامي قد بقي العنصر الأساسي في التركيب العرقي لفلسطين منذ ذلك الوقت (١٠,٠٠٠ – ٣٠٠٠ق.م) إلى الآن .

٣ – ويقول السيرجيمس فريزر James Frazer : إن الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين مازالوا متصلين بالأرض، لم ينفكوا عنها ولا أقتلعوا منها ولئن طرأت عليهم موجات من الفتوح فإنهم ثبتوا وأقاموا.

٤ – وقد أجرت مسز فن Finn زوجة القنصل البريطاني في القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحقيقاً مطولاً عن أصول الفلاحين الفلسطينيين نوجزه فيما يلي: إن بقاء الأسماء الكنعانية للمدن والقرى والمواقع على حالها متجاوزة كل المراحل التاريخية يؤكد أن الفلاحين الفلسطينيين هم أحفاد الكنعانيين ومن ذلك إسم "أوروسالم" أو (يبوس) الذي ظل معروفا عبر العصور كاسم لمدينة القدس وانحدر من الكنعانيين .. جاء الفاتحون وذهبوا وبقيت البلاد تحمل أسماءها الكنعانية القديمة فلا العادات ولا التقاليد ولا الدين يحول بيننا وبين القول : إن الفلاحين الحاليين هم أنسال الكنعانيين .

وخلصت السيدة إلى القول: لقد حققنا في أصول السكان الفلاحين العرب الحاليين في فلسطين فثبت لنا على الأرجح أنهم من ذراري الشعوب الكنعانية القديمة للأسباب التالية :

أولاً : أن خمسة من تلك الشعوب القديمة استمرت في فلسطين إلى العهد المسيحي، ولم تبد أو تنف من الأرض بعد ذلك .

ثانياً : الواضح أن الفلاحين شعب أصيل في البلاد وليس هناك من أثر أوسجل يدل على غربتهم عنها .

ثالثاً : إن عادات كنعانية كثيرة قد حرمت في شريعة موسى ومازالت متبعة عند الفلاحين حتى اليوم .

رابعاً : لأنهم حافظوا على الأسماء الجغرافية القديمة .

من هنا فإن عرب فلسطين هم شعب البلاد التاريخي .. المؤلف من عناصر من شعوب كثيرة سكنت البلاد في الماضي .. وهم لهذا السبب أصحاب فلسطين الشرعيون، لأنها كانت وطنهم على الدوام .

ونتساءل : أتستطيع أي مجموعة بشرية مهما كان وضعها على بقية شعوب المنطقة أن تكذب الحقائق التاريخية والأثرية بمجرد إيمان تلك المجموعة بأنها مجموعة سامية منتقاه مختارة من قبل الإله وتجور على تقاليد وموروثات اخرى فوق مستوى الشبهات !

مملكة داود وسليمان

سادت الفوضي والتمزق بني إسرائيل خاصة بعد وفاة "يشوع بن نون" .. إلا أن صمويل النبي – وهو من سبط بنيامين والذي تقع القدس في قطاعه الذي يحكمه – نجح في أن يجمع مجلسا من ممثلي أسباط الشمال والجنوب جميعا، ورشح لهم شاءول ملكا على كل بني إسرائيل، فبايعوه ونصب ملكا عليهم (١٠٢٠ – ١٠٠٠ ق . م) إلا أن نظام حكمه كان غير ثابت الأركان فعجز عن السيطرة على المعارضين له داخل فلسطين، كما كان نزاعه مع داود زوج

إبنته ميخال من الأسباب التي عجلت بسقوطه وكان شاءول قد خاض سلسلة من الحروب ضد أعدائه وفي مقدمتهم شعب فلسطين، ولكنه إنهزم أمامهم في معركة فاصلة على جبل "جلبوع" وإنتهت بمقتله منتحرا مع أبنائه الثلاثة (أنظر سفر صمويل الأول) .

وحاول داود أن يسيطر على زمام الأمور لصالح بني إسرائيل، بأن يبايعوه ملكا على بني اسرائيل إلا أن أسباط الشمال رفضوا مبايعته أشبوشت (اشبعل) ملكا عليهم بينما بايعت الأسباط الجنوبية داود ملكا عليها إلا أن الحرب ظلت دائرة بين الشمال والجنوب وإنتهت بموت ملك أسباط الشمال، وفي أعقاب ذلك اجتمع ممثلو بني إسرائيل من الشيوخ وقواد الجيش وبايعوا داود ملكا على كل بني إسرائيل (١٠٠٠ ق .م) وبعد تلك المبايعة شعر داود بخطر الفلسطينيين وكذلك في تغيير عاصمته حبرون في الشمال – الخليل حاليا – إلى (يبوس) في الجنوب التي كانت تحت سيطرة اليبوسيين العرب فطارد الفلسطينيين حتى السواحل الشمالية، وخطط للزحف نحو (يبوس) بجيش قوامه ٣٠٠ ألف مقاتل.

ولما علم اليبوسيون برغبة داود في الاستيلاء على مدينتهم أغلقوا أبوابها ووضعوا حراسا على أسوارها، فأمر داود بحصارها وقرر الإستيلاء عليها مهما كانت مقاومة أهلها، حتى يبسط سلطانه على بقية فلسطين، فاستولى على المدينة السفلية بالقوة وفشل في الاستيلاء على القلعة التي تعتبر نواة للمدينة ويذكر المؤرخون أنه أعلن مكافآت للجند ووعد أن أول من يخترق الخنادق التي أسفل القلعة ويستولى عليها سيتولي قيادة الجيش (سفر أخبار الأيام الأول ١١ : ٤) ولهذا طمع الجنود في أن تكون لهم الأولوية في الدخول للقلعة، لنوال القيادة

واستطاع أحد الجند واسمه "يوآب بن صرويه" أن يقتحم القلعة وينال غرضه .. وهكذا خضعت المدينة المقدسة للإسرائيليين بعد أن فشلوا في الإستيلاء عليها في عهد "يشوع" أي منذ ٥١٥ عاما من بعد محاولة يشوع .. وقد ظلت "حبرون" عاصمة لملك داود سبع سنوات ونصف .. أما "يبوس " أو القدس فقد بقي بها ٣٣ عاما .

ويقال أن داود بعد انتزاعه جبل صهيون بني عليه قصرا حصينا اتخذه قاعدة لإنطلاقه ..ومقرا لحكمه وأقام مقابر أسفل الجبل وقام بتقوية الأسوار والأبراج .. ومازالت بعض الآثار باقية حتىالآن وكان إختياره للقدس يعد دليلاً واضحاً على حنكته السياسية لأنها مدينة محايدة تتمتع بمزايا كثيرة فهى ذات موقع استراتيجي وسط فلسطين على تل يرتفع حتى ٢٦٠٠ قدم فوق سطح البحر وتحيط بها وديان عميقة ومن ثم تصلح أن تكون عاصمة حصينة، ورغم كل هذه الأحداث فلم يحدث إندماج حقيقي بين أسباط الشمال والجنوب وبقي هذا الانفصال قائما في ضمائرهم ونلاحظ أن مقدرة داود نفسها لم تكن كافية لحفظ السلام داخل مملكته بل إنه في وقت من الأوقات حين تزعم إبنه أبشالوم الثورة ضده إضطر إلى الفرار إلى ماوراء نهر الأردن لينجو بنفسه .. ومما يجدر ذكره أن الملك داود لم يستطع طرد السكان اليبوسيين المتمسكين بأرضهم ومساكنهم، ولما كانت عشيرة داود هى سبط يهوذا، فقد بدأ الإسرائيليون يسمون باليهود أيضا منذ ذلك الحين .

ويعتبر داود هو مؤسس الدولة العبرية، فحارب جيرانه وأرجعهم إلى الجبال شمالا والصحراء جنوبا وبهذه الحرب إتسعت مملكة داود حتى وصلت إلى

جبل الشيخ والكرمل شمالا وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوبا وإلى الصحراء شرقا .. أما الساحل الممتد شمال يافا إلى غزة فكان تابعا لمصر، والجدير ذكره أن من أسباب اتساع مملكة داود، الإنحطاط الذي مر ببلاد مصر وآشور، فداود جمع بين الملك والنبوة وقد ذكرت التوراة ذلك، كما ذكره القرآن بالإسم في عدة سور منه وكانت تقوم سياسته على عنصر المحالفات مع مدينة صور الفينيقية إذ كان حاكمها آنذاك أحيرام، فكفلت تجارته إلى البحر الأحمر عبر التلال العبرانية وقد أنشأ أحيرام أسوار القدس ومعبدها كترتيب على حسن العلاقات مجتمعة .

يقول غوستان لوبون في كتابه "اليهود في تاريخ الحضارات الأولى عن شئون الحضارة التي لم يتعرف عليها اليهود" : لم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التي لاتكاد تميز من طور الوحشية وعندما خرج هؤلاء البداة الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا في فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل ولم يقتبسوا من تلك الأمم سوى أخس ما فيها من حضارة ودعارة وخرافة فقربوا لعشتروت ولبعل أكثر مما قربوه لإله قبيلتهم "يهود" العبوس الحاقد .. وأن أرض الميعاد لم تكن غير بيئة مختلفة لبني إسرائيل فالبادية كانت الوطن الحقيقي لهم وتاريخ اليهود لايبدأ في الحقيقة إلا في عهد ملوكهم زمن داود الذي إتخذ القدس عاصمة، فإبنه سليمان .

سليمان الحكيم خلفا لداود

بعد موت داود خلفه ابنه سليمان (٩٧٣ ق م) فجمع بين الملك والنبوة وكان على عكس والده يميل إلى حل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية

بسلام وهدوء واشتهر حكمه بالإستقرار .. والعمران والتقدم التجاري .. واشتهر بالثراء والحكمة . وقد دعم سليمان علاقاته بجيرانه، فتزوج ابنة فرعون مصر – أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين – الذي أهدى له مدينة جازر، وكان فرعون مصر قد إستولى عليها من الكنعانيين .. ودخل سليمان مع ملك صور "حيرام" شريكاً في الأسطول التجاري، وأدى ذلك إلى مساعدة ملك صور سليمان في بناء الهيكل عن طريق إمداده بالمواد اللازمة للبناء إضافة إلى العمال المهرة، وتذكر التوراة أن سليمان قام ببناء سور حول القدس، ونظرا لعدم معرفة مساحة المدينة أو إمتدادها في عهده، فلا يمكن تحديد طول هذا السور ويبدو أنه وضع في إعتباره فصل مدينة داود (الحصن اليبوسي القديم) عن أورشليم التي توجد على التل الجنوبي الغربي .

وقد أكتشفت أخيرا بقايا حائط في جنوبي شارع الملك داود في وسط القدس القديمة عند ما يسمى ببوابة ويلسون، ويرجح أنه جزء من سور سليمان .. وقد اكتشف المهندس الإنجليزي مودسلي MAUD SLEY والأمريكي بلس PLISS عدة بوابات فيه وكذلك حددا اتجاه التحصينات ولكنهما لم يستطعا أن يحددا زمناً مؤكدا لهذه الأبنية سواء في أيام سليمان أو بعده، أما أولاد سليمان الذين حكموا بعده فقد أقاموا بدورهم تحصينات جديدة للقدس.

هيكل سليمان

يذكر أن بني إسرائيل منذ أيام موسى عليه السلام حتى داود يقيمون شعائرهم الدينية في خيمة تفك وتركب في أي مكان .. وتسمى خيمة الاجتماع

.. ورأي سليمان الاستغناء عن الخيمة بمعبد يبنى من الحجارة وجاءته هذه الفكرة بعد الإستقرار في أرض كنعان (فلسطين) فاختار موقعا للمعبد على جبل "موريا" جنوب شرق القدس القديمة ويعتقد اليهود رغم عدم وجود دليل بأن ذلك المكان هو الذي امتحن الله فيه "إبراهيم"الخليل ليقدم إبنه ذبيحاً .. وتعتقد بعض الكتابات المسيحية أن هذا الفداء تم في منطقة كنيسة القيامة، وليس مكان الهيكل .

والهيكل يقع على تل مستطيل يحده شمالا تل يسمى "صخر بزيتا" وإلى الشرق وادي قدرون وفي الغرب وادي تريبيون، ويجتمعان عند الجنوب على شكل زاوية حادة .

ويقع الهيكل مجاوراً لقصر سليمان ومساكن أسرته ومقار الكهنة القائمين بالخدمة في الهيكل .. ويذكر أن الذي بنى الهيكل هو مهندس معماري فينيقي وقد إستوحاه من الفن المعماري السامي، فالتصميم العام للمعبد السليماني يكاد يماثل المعبد الكنعاني مع إختلافات غير جوهرية وتجدر الإشارة إلى أن العرب ساهموا في بنائه لعدم خبرة اليهود بالفن المعماري وقتها، فكانت رسومه على طراز مصري أشوري .. وساهم الفينيقيون العرب بخشب السرو والآرز من لبنان .. وأقيم الهيكل على شكل مربع طول ضلعه ١٨٠ مترا، واستخدمت فيه حجارة كبيرة .. وكان موقع الصخرة – التي تقع حاليا تحت قبة مسجد الصخرة – هو هيكل " الذبائح " التي يسميها اليهود بالمحرقات وكان مكشوفا ومغطى بصفائح من النحاس في جوانبه الأربعة .

وكان الكهنة اليهود يقدمون عليه الذبائح الحيوانية المختلفة يوميا في الصباح وفي المساء عن طريق حرقها بالنار ويقع في وسط ساحة تدعى دار

الكهنة وهى فضاء داخلي مرتفع يستقر فيه الكهنة لمقابلة اليهود الذين يرغبون في تقديم الذبائح تكفيراً عن خطاياهم ويوجد هنا أيضاً حوض نحاسي كبير محمول على ١٢ ثوراً من النحاس المسبوك ومداخل الساحة تشبه واجهات هيكل قدماء المصريين .

ويرقى بعد ذلك على سلالم حجرية عليها عمودان مسبوكان من النحاس طول كل منهما ١٣ متراً وأمامهما إلى الغرب الباب الكبير الذي يقود إلى حصنين إرتفاعهما ٣٢متراً ويقع أمامهما واجهة المكان المسمى بالقدس وعرض مدخله ١٠أمتار، وأبعاده هى ٢٠X ١٠X٥ متراً وفيه ما يسمى بهيكل البخور والموائد الذهبية الخمس التي كان يوضع عليها الخبز اليومي والمنائر العشر الذهبية ذات الشعب الأربعة .

ونصل بعد ذلك إلى المكان المسمى " قدس الأقداس "، وهو غرفة مربعة طول ضلعها ١٠ أمتار، وهو مكان مظلم (أي بلا نوافذ) ويضم تابوت العهد الذي صنعه موسى النبي ليسير أمام بني إسرائيل في البرية وبداخله لوحا الشريعة اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر المشهورة، وقسط يضم القليل من المن الذي كان يرسله الله لبني إسرائيل في البرية وعصا هارون رئيس الكهنة وأخو موسى النبي، وكان هذا التابوت موضوعاً على مائدة ذهبية تحت جناحي لوحتين معدنيتين على شكل ملاكين في عهد سليمان ثم فقد بعد سبي اليهود إلى بابل ولم يعثروا عليه بعد رجوعهم هذا وكان غير مسموح لأحد بدخول قدس الأقداس إلا لرئيس الكهنة مرة واحدة في السنة، ولهذا كانوا يربطونه بسلسلة ذهبية حتى إذا ما مات داخله يمكن جره منها، دون دخول أحد، ولم يفصله عن المسكن

الآخر المسمى القدس سوى حجاب حريري ومن خارج الهيكل كانت تقع دار الشعب وهى تحيط بدار الكهنة ولم يكن يدخلها سوى اليهود فقط، وبها مكان خاص بالنساء ويمكن الصعود منها إلى دار الكهنة بخمسة عشر درجة وكانت تتلي فيها مزامير المصاعد أو المراقي Graduals، وكان لها باب نحاسي ضخم يحتاج إلى ٢٠ رجلا لفتحه وكان يوجد خارجه صندوق لجمع التبرعات وعن شماله كانت تقع قاعة فسيحة حيث إجتمع علماء اللاهوت اليهود مع السيد المسيح وهو في سن الثانية عشر من عمره وفيها أيضاً قدم اليهود للمسيح إمرأة خاطئة سائلين إياه بخبث عما يحكم به عليها حتى يصطادوه بكلمة ليشتكوه بها حيث كانت الشريعة الموسوية تحكم عليها بالرجم ولكنه أفحمهم بكلمته المشهورة "من منكم بلاخطيئة فليرجمها أولاً بحجر" .

وكان الفناء الخارجي لمعبد سليمان يحتوي على حوض ضخم جداً مصبوب من البرونز وقائم على تماثيل لاثنى عشر ثورا تمثل الأسباط الاثنى عشر وكان هذا الحوض يسمى "بحر النحاس" ولعله المقصود به "جفان كالجواب" كما جاء في القرآن الكريم {ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريت وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور} سورة سبأ – آية ١١ ، ١٢.

وما ذكر في القرآن الكريم لا يختلف في مضمونه عما ما ذكر في العهد القديم (سفر الملوك الأول – اصحاح ٥ – ١٣ – ١٦) "وسخر الملك سليمان

حشوداً كبيرة من بني إسرائيل تقدر بحوالي ثلاثين ألف رجل فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر من التوبة يكونون شهرا في لبنان وشهرين في بيوتهم وكان أدونيرام على التسخير، وكان لسليمان سبعون ألفا يحملون أحمالا وثمانون ألفا يقطعون في الجبل .. وأمر الملك أن يقطعوا حجارة كبيرة، حجارة كريمة لتأثيث البيت، حجارة مربعة"، ويحاط الهيكل من الخارج بدار الأمم حيث كان يجوز لغير اليهود دخولها وكانت فيها عدة لافتات باليونانية واللاتينية والعبرية للتحذير بعدم تجاوزها وإلا تعرض المخالف للقصاص الشديد (وتوجد إحدى هذه اللافتات بمتحف اللوفر بباريس) وكان في شرقي هذه الدار مكان واسع يضم دكاكين الصيارفة لتغيير العملات الأجنبية وباعة الحمام والحيوانات التي تباع للتضحية، وفي المواسم الدينية والأعياد كان هذا المكان يمتليء بالباعة. وقد تهدم هذا الهيكل عدة مرات كان آخرها وأشدها سنة ٧٠م وبقيت بعض أساساته حتى سنة ١٣٥ م حيث أتي عليها الإمبراطور الروماني هدريان تماما وبنى محلها معبدا لجوبتر وبعد ذلك تهدم المعبد الوثني، وذكر أحد المؤرخين أنه لم ير منه شيئاً سنة ٣٣٣م ومما يؤخذ على سليمان أنه اهتم بقصره أكثر من إهتمامه بهيكل الرب السابق وصفه فكان قصره مثلا – أكبر من الهيكل أربع مرات واستغرق بناؤه ثلاثة عشر عاماً.. بينما شيد الهيكل في سبعة أعوام فقط كما تذكر التوراة، ولذلك – كما تواتر في الأقاويل الموروثة – أن سليمان بعد أن إنتهى من بناء قصره وهيكله واستقباله ملكة سبأ قد تمردت عليه بني إسرائيل بسبب البذخ والنفقات الضخمة التي كان يبذلها، مما أرهقهم بالضرائب إلى حد أنه لكي يقر عدالة التوزيع بين بني إسرائيل جعل الإنفاق على المملكة على كل سبط من الاثني عشر شهراً في السنة .

الحرم والهيكل

لكن: ماذا عن مزاعم اليهود اليوم أن الحرم الإسلامي يقوم مكان هيكل سليمان؟

يرد على هؤلاء د. حسن ظاظا في كتابه (إسرائيل ركيزة الإستعمار) : من المفيد أن نذّكر اليهود بأن الحرم الإسلامي الشريف أقيم في نفس المنطقة التي كان "ملكي صادق" يدعو فيها بإسم الله العلي في زمن سيدنا إبراهيم ومن المرجح أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على عهد سليمان، كان مربعاً ضلعه مائة وثمانون متراً ولقد وقفنا على دراسة دقيقة للأثري الفرنسي "دي سولسي" في كتابه "تاريخ الفن اليهودي" يشير فيها إلى أن مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في نفس المنطقة هى "الضلع الشرقي لسور الحرم طوله٣٨٤ متراً " والضلع الجنوبي٢٢٥ مترا ثم يمتد الضلع الغربي في خط مستقيم بزاوية منفرجة وبذلك يصبح الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من الضلع الجنوبي وعلي ذلك فمساحة الحرم الشريف أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان أو نحميا أو هيردوس" .. وقد يكون من أبرز المعالم التي تميز الحرم الاسلامي الشريف أنه مستطيل ويأخذ الإتجاه من الشمال إلى الجنوب في إتجاه قبلة مكة المكرمة على خلاف هيكل سليمان فبرغم إستطالته فهو يأخذ الإتجاه من الغرب إلى الشرق. إن مزاعم اليهود لايسندها أي دليل أو حجة على صحة ما يروجون إنما هى سلسلة من الأكاذيب بهدف هدم الحرم الإسلامي الشريف، وبعد موت سليمان (١٠١٥- ٩٨٤ ق م) سادت الفرقة والخلاف بين اليهود خاصة بين الأسباط الشمالية والجنوبية وأخذ كل منهما يناويء الآخر ويسعي

للقضاء عليه، فما أن تولى "رحبعام"ابن سليمان العرش خلفاً لأبيه حتى ثارت عليه الأسباط الشمالية ورفضوا مبايعته ربما -كما يقول البعض - بسبب رفضه تخفيض الضرائب عن كاهلهم، لكن بايعه في الجنوب سبطي يهوذا وبنيامين ملكاً على بني إسرائيل في الجنوب .. في الوقت نفسه بايعت الأسباط الشمالية "يربعام" من سبط "افرايم" ملكا على الشمال، وإتخذ شكيم (نابلس الآن) عاصمة له ثم نقل العاصمة لـ "فينوئيل" .

ولسنا هنا بصدد سرد تاريخ بني إسرائيل وإنقسامهم على أنفسهم، لكننا نؤكد أنه نتيجة لتشتتهم وانقسامهم جاءت الغزوات من الخارج تلاحقهم في فلسطين لتنال منهم، فالأراميون في سوريا والعمونيون والمؤابيون والأدوميون والفلسطينيون العرب كل هؤلاء ضيقوا الخناق على مملكتي إسرائيل (الشمالية والجنوبية) حيث بدأت القوات المصرية والآشورية تزحف إليهم . وعن تلك الحقبة في تاريخ بني إسرائيل يقول المستشرق د. جرمانوس رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة المجر (جريدة "الأخبار" القاهرية ٦٩/٣/٢٦) : إن الدولة وقتها كانت تعيش على الطبقية الحادة، فالطبقة الأرستقراطية (المسماه الكوهنيت) هى وحدها التي كان لها حق دراسة التوراة والعلوم الخاصة بها ثم طبقة الليفي (وهم حراس التوراة)، ثم عامه الشعب وهى الأكثرية التي عاشت في فقر مدقع لتخدم هاتين الطبقتين نتيجة لنظام السخرة الذي فرضه سليمان .. وعاش هذا الشعب متعصباً جداً يدَّعون الهداية عندهم وحدهم وأنهم .. على هذا الأساس .. متميزون على غيرهم من الشعوب المحيطة بهم .. وقد غذَّت الطبقية التي كانت سائدة في مجتمعهم هذا الاتجاه العنصري ولهذا لم تعش هذه الدولة طويلاً

. فانشقت بعد رحبعام بن سليمان -الذي كان جاهلاً وقاسياً — إلى دويلتين صغيرتين إحداهما في شمال فلسطين وسميت مملكة إسرائيل تحت حكم القائد يربعام وضمت عشرة أسباط وصارت عاصمتها السامرة أما المملكة الأخرى فكانت أصغر إذ ضمت سبطين فقط: وقد دعيت مملكة يهوذا وإتخذت أورشليم عاصمة لها .

وقد فسد ملوك إسرائيل وعبدوا مع شعوبهم الأوثان وعاشوا في الملذات كما تسرد التوراة أخبارهم بالتفصيل، وظلت الضغائن بين المملكتين الإسرائيليتين وأخذت كل منهما تناويء الاخرى وتسعى للقضاء على زميلتها، وظهر ذلك عندما طلبت مملكة الشمال من مملكة آرام العربية السورية أن تقضي على المملكة اليهودية الجنوبية وفعلا نالت مأربها، وقد هال يربعام – أول ملوك الشمال – أن تخرج القدس من يده، وهى المدينة المقدسة ذات الدخل المالي الكبير من الحج في مواسمه التي كانت تتكرر ثلاث مرات كل عام، لهذا إختار مدينة اخرى هى بيت آيل لبناء معبد آخر لنفس الغرض، لكنه عاد ونكث عهده مع الله فوضع في معبده تماثيلاً مصرية .

وقد استمرت مملكة إسرائيل من عام ٩٣٠ – ٧٢٢ ق م وكان لها ١٩ ملكا أما مملكة يهوذا فقد عمرت من ٩٣٠ – ٥٨٦ ق . م وكان لها عشرون ملكاً، وكان فرعون المسمى "شيشنق الأول "قد سبق الوافدين من أرض الرافدين (العراق) وصعد على أورشليم أيام رحبعام بن سليمان (٩١٥ ق . م) ومعه ٢٠٠ مركبة حديدية ، و٦٠,٠٠٠ جندي مصري، واستولى على المدينة المقدسة وأخذ كل خزائن الهيكل ومقتنيات القصر الملكي وخلد شيشنق إنتصاره على

اليهود برسم على معبد آمون يبين جلوسه بين ٣١٨ ملكاً ووواليا وأمامه يهودي (يبدو من أنفه المعكوف المعروف)، وبجانبه كتابة هيروغليفية تقول "بوذا – فرعون (أي ملك يهوذا)، كما هجم الملك المصري زارح (الكوشي الأصل) على مملكة يهوذا بعد ذلك بجيش يضم مليون جندي و ٣٠٠ مركبة حديدية – كما تقول التوراة – وقد دون هذا الملك أخباره هذه على معبد الكرنك .

القدس والآشوريون

غزا الآشوريون أورشليم بقيادة ملكهم شلمنصر .. والذي ظل يحارب من أجل الإستيلاء على المدينة حتى عام (٧٢١ ق.م) ولما لم يتمكن من تثبيت أقدامه فيها زمناً إرتد عنها، وظلت أورشليم " والقسم الجنوبي من فلسطين " خاضعة لحكم الفراعنة .

ولم تدخل أورشليم في حكم الآشوريين إلا في عهد الملك "سنحريب" إذ أرسل لفتحها أحد قواده المشهورين "ربشاقي" فحاصرها عام ٧١٣ ق . م ودك أسوارها .. وسبي أهلها .. ولم يستطع بنو إسرائيل دفع الأذي عن المدينة، فاتبعوا نصيحة ملكهم حزقيا الذي أمر بتحصين سور المدينة .. وحفر نفقاً طوله ١٧٠٠ قدم بين عين أم الدرج في سلوان وداخل المدينة كما أسال الماء من بركة ماملا إلى بركة سميت باسمه فيما بعد (بركة حزقيا) وهى المسماة اليوم باسم "بركة حمام البطرك" في حارة النصارى .. لكن كل هذا لم يكن كافياً لإنقاذ أورشليم من الآشوريين لولا الطاعون الذي نال من جيشهم فرجعوا إلى بلادهم ثم عادوا بعد حين فاحتلوها واعتقلوا ملكها "منسه" وأرسلوه إلى بابل مصفداً بالأغلال (٦٧٨ ق.م) ولكنهم أطلقوا سراحه ورجع إلى أورشليم فبني سورها

الثـاني عـام (٦٤٤ ق.م) ولـولا الضـعف والتشـتت الـذي حـل في صـفوف الآشوريين لما تخلوا عن هذه البلاد للبابليين .

القدس و بابل

بعد ضعف نفوذ الآشوريين راح البـابليون من ناحية والمصريون من ناحية اخرى يتنازعون السيادة على أورشليم .. ويذكر أن البابليين، إستولوا على المدينـة عـام (٥٩٩ ق.م) وذاق أهلهـا الجوع والمرض .. وإختـار اليهـود جانـب الهروب .. ويـذكر أن ملكهـم "نبوخـذ نصـر" نهـب أورشـليم ودك سـورها ودمـر الهيكـل الذي بناه سليمان وأخلي شعبها إلى بابل، فقتل منهم من قتل وإستعبد من لم يقتل وهكذا إنقرضت مملكة يهوذا (٥٨٦ ق م) .

وراحـت كلمـة بابـل هـى العليـا في أورشـليم .. وكـان البـابليون يسـمونها : أورو – سـا لم وأصـبحت الـبلاد كلهـا مسـتعمرة بابليـة .. تـدفع الضـرائب لبابـل وتتكاتب معها وأصبحت اللغة البابلية هى اللغة الرسمية للبلاد .. لكن رغم ذلك فاللغـة الكنعانيـة ظلـت متداولـة – بشـكل غـير رسمـي – بـين سـكان الـبلاد حـتى جاء الفتح الفارسي .

القدس والفرس

في عهد ملك الفرس "كورش" انتصر على البابليين وسار في فتوحاته حتى احتل سوريا وأوروسا لم وذلك عام (٥٣٨ ق م) ولأن "كورش" تزوج من يهودية فقـد طلبـت منـه أن يـأذن لقومهـا بـالعودة إلى أوروسـا لم فـأذن لهـم (في نفـس عـام

فتحه للمدينة) وعاد إليها فريق منهم والآخرون آثروا البقاء حيث كانوا .. وعندما تولى "أرتحشستا" (٥٢٢ ق . م) عرش الفرس إعترض الحوريون والعمونيون على هجرة اليهود إلى أوروسالم وبنائهم لهيكل جديد، وهددوا بالعصيان، فأصدر "أرتحشستا"أمراً بوقف بناء الهيكل الذي شرعوا في بنائه .. ولكن "دارا" الذي إعتلى عرش الفرس عام (٥١٩ ق.م) أتاح لهم بناء سور وأتموا بناء الهيكل الثاني عام (٥١٥ ق . م) .

وظلت المدينة خاضعة لملوك الفرس .. يدفع سكانها الضرائب والعوائد وكان الفرس في بداية حكمهم أقوياء أشداء لكن عندما فتحوا الأمصار وتوسعت دولتهم واختلطوا بالقبائل الغريبة تغيرت طباعهم فجنحوا للهو والمجون والعيشة الرغدة .

القدس واليونان

دون أن تسفك قطرة دم فتح الفاتح اسكندر المقدوني الكبير أوروشالم عام (٣٣٢ ق . م) واستقبله أهلها بالارتياح بسبب الفوضي الداخلية والتشتت اللذين كانوا يعيشون فيهما .. وقد جاء ذكر الفاتح إسكندر في القرآن الكريم على أنه "ذو القرنين" {ويسألونك عن ذي القرنين، قل سأتلو عليكم منه ذكراً، انا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا} سورة الكهف : الآية ٨٣.

ويذكر المؤرخون أنه عندما زحف الإسكندر تجاه المدينة كان معه – على حد بعض الروايات – أربعين ألفا وكان ينوي تدمير المدينة، إلا أن اليهود خرجوا لاستقباله خارج المدينة يتقدمهم الكهنة .. لابسين حللاً بيضاء وراحوا يتضرعون .. طالبين العفو منه .. فلم يبطش بهم .. وأقر عاداتهم التي ورثوها عن آبائهم،

وأمرهم أن ينخرطوا في جيشه .. وأسقط عنهم دفع الجزية .. وسمح لهم أن يسكوا نقوداً .. وكانت المدينة في عهده تسمى بـ (يروشاليم) ثم راحت تدعي (هيروسليما). وفي عام (٣٢٣ ق.م) مات الإسكندر وإقتسم قواده الملك: فأخذ (سلوقس) سورية .. وأسس فيها دولة السلوقيين وأخذ (بطليموس) مصر وأسس فيها دولة البطالسة وكانت هيروسليما من نصيب البطالسة .

وقد حكم بطليموس اليهود رغم أنوفهم بالحديد والنار وأرادوا مقاومته إلا أنهم لم يفلحوا إذ ساق عليهم جيشه ، ففتح هيروسليما ودك قسما من حصونها وبطش بسكانها فأرسل منهم مئة ألف أسير إلى مصر (٣٢٠ ق . م) .. واستخدم بطليموس يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس) مديراً للمال ورئيساً للجباة فجمع هذا الضرائب بالقوة، وذاق الناس على يده مر العيش .

انتقلت هيروسليما من حكم البطالسة إلى حكم السلوقيين عندما احتلها انطيوخس ابيفانس (١٦٨ ق.م) وقد هدم هذا أسوارها ودك حصونها ونهب هيكلها فنصب فوقه تماثيل وقتل من اليهودألفاً في ثلاثة أيام وحظر عليهم الختان، وأرغمهم على إنتهاك حرمة السبت وأكل الخنزير وكان دليله في معظم فعاله منلاوس رئيس أحبار اليهود الذي خان قومه من أجل الوصول إلى منصبه ولم يتمكن اليهود من مقاومته في باديء الأمر إذ كانت حامية المدينة مؤلفة من عشرين ألف جندي سلوقي .. بعد وفاة أنطيوخس الرابع تولى الملك ولده انطيوخس الخامس (١٦٤ق.م)، ولما كان هذا صغيراً تولاه ليسياس الوصي على العرش (١٦٢ ق.م) وتآمر هذا مع سكان يافا على اليهودفأغرق عدداً كبيراً منهم في البحر وثار اليهود عليه فساق عليهم جيشاً لجباً، وحاصر هيروسليما

ولكنه إرتد عنها بسبب الثورة التي نشبت في سوريا والتي إنتهت بإنتصار خصمه ديمتريوس الأول الملقب بـ (سوتير) .. أقام ديمتريوس على رأس الإدارة في هيروسليما: (بكيديس) وولى رئاسة الأحبار لـ (الكيمس) وهو يهودي تستهويه الحروب وإراقة الدماء وقد حرض الملك ضد المكابين.. وقد وضع الملك تحت تصرف الاثنين جيشاً كبيراً ليحكما به البلاد وقامت بين الفريقين حروباً كثيرة .. سالت فيها دماء غزيرة .. وخلف بكيديس في الإدارة : (نكافور) وقامت على عهد هذا أيضاً، حرب جديدة بين اليونانيين والمكابين وقتل نكافور فأرسل ديمتريوس إلى هيروسليما الوالي السابق بكيديس ورئيس الأحبار الكيمس، فجاءا على رأس جيش كبير وتجددت الحروب وقتل يهوذا المكابي (١٦٠ ق . م) وألقى القبض على عدد من أبناء الزعماء وأرسلوا إلى روما فهدأت الثورة.

وقام بعدئذ خلاف شديد بين الحكام اليونايين: ديمتريوس ومنافسه الإسكندر بن أنطيوخس ابيفانس فاستغل المكابيون هذا الخلاف والتنافس وراحوا يبحثون عن الوسائل التي تضمن لهم النصر أما الإسكندر فقد اعترف بيوناثان الذي قاد ثورة المكابين بعد مقتل أخيه يهوذا رئيساً للأحبار وأما ديمتريوس فقد وعد سكان هيروسليما بأن يعفيهم من الجزية ومن بعض الضرائب والمكوس كما وعدهم بأن تكون مدينتهم مقدسة وحرة وأن يطلق سراح المعتقلين وأن يعفو عن المجرمين .

ولئن كانت كفة الإسكندر هى الراجحة إذ إنتصر على خصمه ديمتريوس (١٥٠ ق.م) إلا أن المكابين كانوا في الحقيقة هم الناجحون، إذ أنهم استغلوا ذلك التنافس فاستقلوا ولكن استقلالهم لم يدم طويلا إذ اختلفوا فيما بينهم

وقامت حروب أهلية، جعلت كل واحد من الأخوين المكابين (هركانس وأرسطوبولس) يستنجد بدولة من الدول المجاورة له، فاغتنم "بومبي" هذه الفرصة .. وجاء إلى هيروسليما فاحتلها عام (٦٣ ق . م) .

وكان للعصر إلى وناني بصمته الواضحة على القدس لعل من أهم مظاهر ذلك : إنتشار العنصر إلى وناني في المدينة وما جاورها بكثرة .. وامتزج إلى ونانيون بسكان البلاد الأصليين وناسبوهم .. كذلك إنتشرت اللغة إلى ونانية حتى أصبحت لغة البلاد الرسمية، ولغة العلم والمدارس .. وأما اللغة التي كانت متداولة بين عامة الناس في العهد إلى وناني فهى الآرامية واستطاع إلى ونانيون نشر حضارتهم في البلاد وأسسوا المدارس ودور العلم ونشروا آدابهم ومعتقداتهم الدينية وتقاليدهم وازدهرت التجارة إلى ونانية واقتبس سكان البلاد عن اليونايين كثيراً من معاملات الصرافة وانتشرت كذلك النقود إلى ونانية وكانت في عهد الإسكندر بديعة السك والنقش .. كما إقتبس سكان البلاد الأصليون الصناعات إلى ونانية وخاصة صناعة الزخارف والحلي .

في العصر الروماني

تاريخ القدس في العصر الروماني في فلسطين ينقسم إلى ثلاثة مراحل:

– **المرحلة الأولي** .. وتمتد من عام ٦٣ ق.م بعد أن بسط بومبي القائد الروماني سلطانه على فلسطين وحتى نهاية الثورة اليهودية الأولى في عام ٧٠م.

– **المرحلة الثانية** .. وتمتد من عام ٧٠م وحتى عام ٣٣٧م وهو نهاية حكم الامبراطور قسطنطين (٢٧٤ – ٣٣٧م) .

– **المرحلة الثالثة** .. وتمتد من عام ٣٣٧م وحتى بداية الغزو العربي لفلسطين عام ٦٣٤م بقيادة عمرو بن العاص .

وفي عام (٦٣ ق . م) جاء "بومبي"القائد الروماني غازياً القدس .. ونجح في احتلالها في نفس العام بعد أن حاصرها وضربها بالمجانق واستباح حمى الهيكل .. وبطش بسكانها، فقتل من قتل .. واستعبد من استعبد وأقام حاكماً على المدينة يدعي "أسكورس" استقبله اليهود في باديء الأمر بالترحاب، إذ أنقذهم من الفوضى والتشتت لكنهم عادوا فإنقلبوا عليه فألغى مجمعهم وهدم السور، وفرض عليهم أن يقدموا كل يوم ذبيحة أمام الهيكل تكريماً وتعظيماً للقيصر الذي هو رمز لروما، ففعل اليهود ذلك مكرهين .

وتعاقب الحكام على المدينة إلى أن جاء هيرودس عام (٣٧ ق . م) وتمكن من إقناع روما بإخلاصه وولائه، فنصبوه ملكاً على اليهود .. ويقول المؤرخون أنه رجل ظالم .. يفعل أي شيء في سبيل الوصول لغاياته .. ويقال أنه قتل امرأته وثلاثة من أولاده !! ورغم أنه رمم الهيكل (١٨ ق.م) إلا أن اليهود كرهوه وكانوا يعتبرونه أجنبياً .. حاول أن يوفق بين اليهود والرومان ولما فشل في مهمته شايع الرومان ضد قومه .. وساعدهم على توطيد أقدامهم في البلاد وقد أصاب المدينة على عهده قحط شديد فجاع الناس وحاول تخفيف وطأة المجاعة بالحبوب فوزعها على السكان والأموال أنفقها على المشروعلت العمرانية قاصداً تشغيل العمال، إنه هو الذي أجرى الماء في القناة الكائنة بين برك سليمان وهيروساليما (٣٠ ق.م) وهو الذي بنى القلعة الكائنة بباب الخليل وكان له على مقربة منها قصر كبير وقد شيد الحصن المعروف بـ (أنطونيا)، كما شيد

عدداً آخر من الحصون والأبراج والهياكل والتماثيل وسكت على عهده نقود وفي آخر سنة من سنى حكمه ولد السيد المسيح في بيت لحم وكان قد أمر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم: ولهذا هربت به أمه إلى مصر، خشية أن يبطش به ذلك الملك العنيد الجبار، وفي السنة التي تلتها مات هيرودس بعد أن عاش في دست الحكم أربعين عاماً .

ولما مات هيرودس (٤ ق . م) عهد الرومان بالحكم لولده (أرخيلاوس) لكنه عجز عن إدارة البلاد فقامت فيها قلاقل وثورات وطغى كثيرون من رؤساء الأحزاب فنادوا بأنفسهم ملوكا واستنجد الوالي بحاكم سوريا فاروس وبالحارث ملك العرب فأنجده كل منهما بعشرين ألف فارس، فأخمدت الثورة وأخذ الرومان من اليهود ألف أسير فقتلوهم وذاق اليهود الذل مرة أخرى، فطلبوا من روما جعل بلادهم إقليماً رومانياً وكان لهم ما أرادوا إذ جاء الرومان وإحتلوا البلاد من جديد ولكنهم في هذه المرة إتخذوا (قيسارية) عاصمة بدلا من "هيروساليما" .. وقد تم ذلك على عهد أغسطس قيصر، وراح الولاة الرومانيون بعدئذ يتعاقبون على كراسي الحكم .. نذكر منهم كوبونيوس (٦ – ٩ م) وماريوس أمبيفيوس (٩ – ١٢ م) وإينوس روفوس (١٢ – ١٤ م) وفالريوس غراتوس (١٤ – ٢٦م) وبيلاتوس بونتيوس (٢٦ – ٣٦م) والذي في عهده اضطهد السيد المسيح وكان على عرش روما يومئذ الملك طيباريوس قلوديوس .. وظلت العلاقات بين الرومان واليهود متوترة طوال العهد الروماني .. وتعرض اليهود مرات عديدة للاضطهاد .

ويذكر أن الوالي الروماني "بيلاتوس بوجون" عندما تولى حكم القدس أنشأ طريقين .. طريق يربط المدينة بالشمال والساحل وطريق آخر يربط المدينة بأريحا وغور الأردن .. وكانت أريحا في ذلك الوقت ذات أهمية تجارية كبيرة .. وكان أعظم عمل قام به أنه بنى قناة الماء الممتدة من برك سليمان إلى المدينة وأجرى فيها الماء، وكان سكانها الذين لبغ عددهم يومئذ خمسين ألفاً يقاسون قبل ذلك مر العيش ولم يكن لهم في المدينة سوى بضع آبار ورفض اليهود رغم ماكانوا يقاسونه من عذاب وعطش أن ينفقوا فلساً واحداً من خزائن الهيكل على مشروع الماء وثاروا، إلا أن بيلاتوس أخمد ثورتهم ونهب خزائنهم وعمر القناة رغم أنوفهم .. وتعاقب على حكم المدينة من الولاة الرومان كثيرون نذكر منهم: مرشلوس (٣٧م)، طيباريوس إسكندر (٤٦م)، فنتديوس قومانوس (٤٨م)، فستوس (٦٠م) وجيسيوس فلورس (٦٥م) .

ونتيجة للاضطرابات والثورات التي شهدتها المدينة بسبب كراهية اليهود للرومان .. وطغيان اليهود في البلاد ..قرر الرومان أن يقضوا عليهم نهائياً فأصدر "نيرون" أمره إلى قائده فلافيوي فسباسيان وجاء هذا (٦٧م) على رأس جيش مؤلف من ثلاثة فيالق(٦٠,٠٠٠ مقاتل) ولكنه اضطر للرجوع قبل أن يحتل هيروساليما إذ كان نيرون قد قضى نحبه، وكان عليه أن يرجع إلى روما ليتولى العرش من بعده فتولى القيادة ابنه تيطس .

حاصر تيطس المدينة (٧٠م) وكان الرومان يومئذ يسمونها (سوليموس) وكانت محاطة بالأسوار وكان جيشه مؤلفاً من أربعة فيالق، منها ثلاثون ألفاً من الجنود النظاميين وكان في عداد هذه الحملة فرقة من متطوعي الأنباط (عرب)،

فشد الخناق علىالمدينة وقتل من سكانها خلقاً كثيراً وحرق الجند الهيكل ودكت الأسوار وهدمت المنازل وامتلأت الشوارع بجثث القتلي، وعاني الشيوخ والنساء والأطفال ما عانوا من جراء الخوف والجوع وأكل الناس الكلاب والجرذان والحشرات وذبح بعضهم أبناءهم وأكلوا لحومهم وقدر المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي شهد الحصار عدد القتلي بمليون نسمة وقيل أنهم ٦٠٠ ألف، وعندما سقطت المدينة في يد "تيطس" أسر من أهلها من أسر . واستعبد من استعبد وبيع منهم من بيع في سوق النخاسة .

لقد أصاب اليهود بطش شديد وهوان لم يعرفه تاريخهم .. وانحسر عددهم في المدينة لأن "تيطس" حرم عليهم أن يكونوا سكانها .. وترك الرومان بصماتهم العمرانية على المدينة، ففي عهدهم شيد العديد من الحصون ومهدت الطرق وبنيت الصهاريج والسدود والجسور والمعابد ..كانت اللغة اللاتينية هى اللغة الرسمية .. أما اللغة الآرامية فقدكانت لغة التخاطب بوجه عام .

في عام (٣١٣م) تولي الامبراطور قسطنطين عرش الأباطرة .. وفي عهده سمح للمسيحية بالإنتشار بعد أن كانت مضطهدة .. بل وصل الأمر أن تنصر هو بنفسه ..وكان قائداً لا منازع له للمملكة الرومانية في الشرق والغرب .. وأقام على أنقاض بيزانس (استانبول) مدينة جديدة أسماها القسطنطينية عام (٣٣٠م) واتخذها عاصمة لإمبراطوريته وأصبحت إيليا – وهو الاسم الذي كانت تعرف به القدس وقتها – مدينة بيزنطية تابعة للدولة البيزنطية. وفي عام (٤٢٦م) زارت الملكة هيلانه أم الأمبراطور قسطنطين "إيليا" وبنت فيها كنيسة القيامة (٣٣٠م) وعناداً لليهود جعلت الملكة مكان الصخرة مطرحا للقمامة

وفرض الامبراطور على اليهود النصرانية فاستجاب بعضهم والبعض الآخر الذي لم يتنصر قتل والبعض أيضاً هرب خارج البلاد .

في عام(٣٦٠م) تولي جوليان عرش الأباطرة .. وفي عهده ألغيت كل القوانين المكبلة لليهود .. وأمر باعادة بناء الهيكل .. ولكنهم ما كادوا يحفرون حتى وجدوا النيران تندلع من تحت الأرض .. وسمع انفجار شديد فهرب العمال وتوقفوا عن العمل وفسروا ما حدث أنه دليل على غضب السماء .. ومنهم من قال إن المسيحيين أعدوا النار ليحولوا دون الهيكل وتوفى جوليان عام (٣٩٥م) وتولي ولداه المملكة وجعلاها مملكتين فراح أحدهما يدير المملكة الشرقية .. والآخر يدير الغربية .. وفي عام (٤٥١م) انقسمت الكنيسة أيضاً إلى شرقية وأخري غربية .. وكانت القدس وقتها من أتباع المملكة الغربية .

في عام (٥٢٧م) تولى "جوستانيان" الحكم وفي عهده شهدت البلاد ثورات واضطرابات أشعلها اليهود لكنه نجح في إخمادها وأنشأ عدداً من الكنائس والأديرة في "ايليا" وما حولها وبني في موضع المسجد الاقصى حالياً كنيسة بإسم العذراء .. وقرر المجلس الكنسي الخامس الذي التأم على عهده (٥٣م) جعل "ايليا"مقراً للبطريركية .. لكن الفرقة دبت بين رجال الدين المسيحي فراحوا يتنازعون في مسائل دينيه مما جعلهم فرقاً وجماعات جعلت البلاد تتدهور .. وواكب ذلك تولى أمور البلاد أباطرة ضعفاء لم يستطعوا رد العدوان الفارسي عنها، فأرسل كسرىجيشاً جراراً لمحاربة هرقل فانتصر عليه واحتل ايلياء (٦١٤م) وذبح من سكانها أكثر من ٩٠ألفاً من المسيحيين .. وهدم الكثير من الأديرة .. وأخذوا البطريرك "زخريا " إلى بلادهم أسيراً .. ويرى

بعض المؤرخين لتلك الحقبة أن الفرس قد قامو بأعمال تحريضية لليهود .. جعلتهم يتحرشون بالمسيحيين ويقتلون منهم أكثر مما قتل الفرس .. ولكن هرقل عاد فجمع قواه .. وحارب الفرس وانتصر عليهم (٦٢٧م) ثم عقد الفريقان معاهدة صلح .. أعيد بموجبها الأسرى إلى بلادهم .. كما أعيدت الغنائم التي نهبها الفرس .. ودخل هرقل "ايليا" عام (٦٢٩م) حاملاً على كتفه خشبة الصليب التي استردها من الفرس .. وانتقم من اليهود فقتل منهم الآلاف .. لكن الضعف أخذ يدب في البلاد .. وتدهورت أوضاعها .. مما هيأها للفتح الإسلامي لها دون مقاومة .

الفتح الإسلامي للقدس

ليس بأمر غريب أن يفكر المسلمون في فتح "بيت المقدس" وهو البيت الذي ذكر في القرآن الكريم وفي أحاديث نبيهم والصحابة والأئمة المسلمين .. فقد كانوا مدفوعين لأسباب كثيرة لهذا الفتح .. أسباب ترتبط بنواحي إقتصادية وأخري إستراتيجية . فقد أسرى بالرسول محمد "صلى الله عليه وسلم " من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى وذكر هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى "سبحان الذي أسرىبعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير "سورة الاسراء" .

ذلك هو المسجد الاقصى الموجود في القدس من قديم الأزل .. بقعة مطهرة يعبد فيها الله تعالى .. وسمي بالمسجد الاقصى القديم .. وتجسدت قدسية القدس للمسلمين في إسراء نبيهم إلى الصخرة المقدسة وبها صلى الأنبياء والرسل، فثمة حديث قدسي عن رسول الله "صلى الله علية وسلم" يوضح

مكانة القدس عند الله تعالى بقوله "أنت جنتي وقدسي ، وصفوتي من بلادي، ومن سكنك فبرحمة مني ومن خرج منك فبسخط مني عليه"، والحديث يوضح أن الله تعالى اختص بسكني هذا المكان الطاهر من يرضى أمانته واستحقاقه لشرف العيش فيه. وورد في الحديث الشريف "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى " .

وروي عن الإمام علي بن أبي طالب أنه قال: وسط الأرضين أرض بيت المقدس وأرفع كلها إلى السماء بيت المقدس .. وروي عن أبي هريرة أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" قال: من مات في بيت المقدس، فكأنما مات في السماء..

وعنه أيضاً أن الرسول قال "أربع مدائن من الجنة .. مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس" .

وفي الصحيحين عن أبي ذر الغفاري قال: سألت رسول الله " صلى الله عليه وسلم " عن أول مسجد وضع على الأرض فقال المسجد الحرام قلت ثم أي ؟ قال المسجد الاقصى ، قلت: وكم بينهما ؟ قال:أربعون عاماً .ونظراً لمكانة القدس لدى المسلمين فإنهم لم يقصروا منذ اندفعوا خارج الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول الكريم سنة (١٠هـ) أي (٦٣٢م) في محاولة فتح فلسطين، وربط المسجد الاقصى بالمسجد الحرام عملياً بعد أن ربط الإسلام بينهما في عقيدة المسلم ووعيه الديني. وفي سنة (١٥هـ) أي بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام – تمكن المسلمون من فتح كثير من بلاد الشام على إثر معركة اليرموك ودانت لهم حمص وقنسرين وقيسارية وغزة واللاذقية وحلب وحيفا

ويافا وغيرها .. وقد إتجه لفتح بلاد فلسطين قائدان مسلمان هما عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح الذي إليه يعزى فضل إدخال بيت المقدس في الإسلام وكانت تسمى بايلياء، وكان المسلمون قبل تقدمهم لفتح بيت المقدس (ايلياء) قد اشتبكوا مع الروم في معركة حامية الوطيس هى معركة أجنادين وانتصروا فيها بعد قتال شديد يشبه قتالهم في اليرموك، وفر كثير من الرومان المهزومين ومنهم "الأرطبون" القائد والحاكم نفسه إلى إيلياء.. وقد تقدم المسلمون لفتح (إيليا) في فصل الشتاء وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في قتال وصبر شديدين .

وبعث القائد أبو عبيدة لأهل إيلياء الرسل مزودين بالإنذار التالي: "بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطاركة أهل ايلياء وسكانها سلام على من إتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول، أما بعد فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخواناً، وان أبيتم فأقروا، لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم" .. ولما رأي أهل "إيليا" أنهم لا طاقة لهم على هذا الحصار، لما رأوا من صبر وجلد المسلمين .. أشاروا على (البطريرك) أن يتفاهم معهم فأجابهم إلى ذلك فعرض عليهم أبو عبيدة بن الجراح احدى ثلاث :

الاسلام أو الجزية أو القتال فرضوا بالجزية والخضوع للمسلمين مشترطين أن يكون الذي يتسلم – المدينة المقدسة – هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه .. وقد أرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين "عمر" بما اتفق عليه الطرفان، فرحب عمر بحقن الدماء وسافر إلى بيت المقدس وحده ولم يكن معه سوى خادمه .. وبعد قدومه أمر الخليفة من فوره أن يبلغوا البطريرك قدومه، ففعلوا وجاء البطريرك بعد قليل حاملا الصليب المقدس على صدره، وجاء معه عدد من الأساقفة والقسيسين والشمامسة والرهبان حاملين الصلبان ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وتقبلهم بمزيد الاحتفاء والاكرام ثم تحادثوا في شروط التسليم، وكتب لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهدة العمرية :

"بسم الله الرحمن الرحيم " هذا ما أعطي عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان :

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلي بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم فمن شاء منهم قعد وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه

لايؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .كتب سنة ١٥ للهجرة أي سنة ٦٣٦م .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان .. وكما أن عمر بن الخطاب أعطي أهل ايلياء العهد الذي تقدم ذكره فقد أخذ عليهم أيضاً عهلاً ولقد جاء في عهده هذا مايلي:

"هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصاري مدينة ايلياء ... إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم أن لانحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولاكنيسة ولا قلاية أي " مسكن الأسقف " ولا صومعة راهب .

ولانحس منها ما كان في خطط المسلمين ولانمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار وأن توسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولانظهر مشركاً ولا ندعو اليهأحداً ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام إن أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذ أرادوا الجلوس ولانتشبه في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكني بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلدالسيوف ولانتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولاننقش على خواتمنا بالعربية ولانبيع الخمور وأن نجز مقادم رؤوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كنا، وأن نشد زنانير على أوساطنا ولانظهر الصليب

على كنائسنا ولانظهر صلباننا ولاكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في أسواقهم ولاضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ماجرت عليه سهام المسلمين ولانطلع عليهم في منازلهم" .

ويذكر المؤرخون أن أول عمل قام به عمر بن الخطاب في القدس هو أن زار كنيسة القيامة وصادف أن حان وقت الصلاة، فأشار عليه البطريرك – صفرونيوس أن يصلي حيث هو – داخل الكنيسة – ولكن عمر أبي، وصلى خارج الكنيسة، خشية أن يتخذ المسلمون صلاته داخلها ذريعة فيضعوا أيديهم عليها فقابل الأساقفة والنصارى هذا التصرف بالشكر والتقدير، ثم زار عمر مكان الهيكل .. وكان في حالة خراب .. وتجمعت القاذورات والمخلفات حوله، فراح ينفض التراب عنه، فحذا صحابته حذوه فبرزت الصخرة .. وأمر عمر أن يبني هناك مسجد، فبنى المسجد .. وكان من خشب عام (٦٣٧م) .

وتجول عمر في المدينة، فرأىأن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي لها أولاً وصك النقود النحاسية التي على وجهيها عبارة " محمد رسول الله" ورسم سيف .. وعلي وجهها الآخر "ايلياء " و "فلسطين" وحرف "ميم" والهلال وتدوين الدواوين وتقسيم البلاد إلى مناطق وتعيين أمير لكل منطقة وتعميم اللغة العربية بها، ثم رتب أمور البريد والجند وأسس الحسبة (البلدية) للإشراف على المكاييل والموازين وأقيمت الطرق الجديدة مثل طريق القدس – أريحا وطريق القدس – الرملة .. وغير ذلك من التنظيمات الإدارية ثم وضع عمر بن الخطاب التاريخ الهجري .

ويروى أن عمر في أثناء تفقده للمدينة وما أصاب سكانها من ضيم وابتلاء أثناء الفتح أتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرم عنب فشكا اليه همه فركب معه ولما رأىأن فريقاً من المسلمين أكلوا ما في الكرم لشدة ما أصابهم من جوع، أعطاهم ثمن ما أكلوهوقد أمر رجاله بالعدل قائلاً لهم: "متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " ، وذكر المؤرخون أن عمر زار قبيل رحيله عن بيت المقدس أبا عبيدة بن الجراح – القائد الفاتح – في بيته فلم يجد فيه سوى لبد فرسه (وكان هذا هو فراشه وسرجه ووسادته) وكسر يابسه في كوة بيته ولما دخل عمر جاء بهذه الكسر، فوضعها على الأرض بين يديه، وأتاه بملح جريش وكوز من الخزف فيه ماء فلما نظر عمر إلى ذلك بكى.

وبعد أن رتب عمر شئون المدينة غادر بيت المقدس متجهاً للحجاز بعد أن جمع جنده وأوصاهم بهذا البلد خيراً والإبتعاد عن المعاصي وتقوي الله .. لقد حكم المسلمون القدس منذ عام (٦٣٦م) أي منذ الوثيقة العمرية والتي كانت صورة فريدة من صور التسامح الإسلامي والتي كانت نموذجاً لقانون يقرر حقوق الانسان قبل أن يعرف – العالم هذه الحقوق .. وقبل أن يعرف مبادئ القانون العام .. وقد توالت عصور التاريخ الاسلامي والمسلمون يعاملون أبناء الديانات الاخرى في القدس وغيرها أفضل معاملة في التاريخ، لدرجة أن المؤرخ الانجليزي الكبير "أرنولد توينبي" إعتبر ظاهرة التسامح الإسلامي والمسلمين ظاهرة فريدة وشاذة في تاريخ الديانات.

وتتوالى صفحات التاريخ في القدس، فلا نكاد نجد فيها انقطاعاً لفعالية الروح الاسلامية المتسامحة العادلة التي تقوم على حراستها دروس المسجد

الإبراهيمي و الحلقات العلمية الاسلامية في المسجد الاقصى ومسجد الصخرة .. ولاتنطوي صفحة مضيئة إلا لتبدأ اخرى تحت الحكم الاسلامي فتعاقب على القدس الخلفاء وهى تحت سيطرة حكمهم فجاء بنو أمية (٢١هـ - ٦٤١م) وتلاهم بنو العباس ٧٥٠م وبنو طولون ٨٧٨م والأخشيديون (٩٣٨م) والفاطميون (٩٦٦م) والأتراك السلجوقيون (١٠٢٧م) والأرثقيون (١٠٧٧م).

ولم يتعرض تاريخ القدس لأحداث دموية واضطهاد ديني منذ الفتح الاسلامي إلا في تلك الفترة التي استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس (١٠٩٩ - ١١٨٧م) - (٤٩٢ - ٥٧٣هـ) وهى فترة شغلت من هذا التاريخ نحو تسعين سنة .

الغزو الصليبي

طوال العهد الاسلامي لم يفكر أحد من الغزاة في غزو القدس، ولم يجرؤ اليهود على الإقامة في القدس .. لما حظيت به المدينة من رعاية وإهتمام من خلفاء الدولة الاسلامية فقد عمرت المدينة في أيام الخلفاء الراشدين .. ولما جاء الأمويون أولوها إهتماماً كبيراً فبني الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية (٦٩١م) ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة وقد احتفظ المسيحيون بكنائسهم في بيت المقدس ومن بينها كنيسة القيامة، وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين قام الخليفة أبو جعفر المنصور بزيارة القدس عام ٧٥٨ م فهاله الدمار الذي حل بالمسجد الاقصى من جراء الزلزال الذي حدث عام ٧٤٧م فأمر بإصلاحه وترميمه وقد أُنجزت هذه

الاصلاحات في عام ٧٧١م .. وفي عام ٧٧٤م حدث زلزال آخر أضر بالمسجد الاقصى من جديد وعندما قام الخليفة المهدي بزيارة القدس عام ٧٨٠م أمر بإصلاح وترميم ما أحدثه الزلزال من خراب للمسجد الاقصى بل أدخل تعديلات على تخطيطه وفي عهد هارون الرشيد (٧٨٦م) وفي ظل سماحة الاسلام قام الامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء وعندما جاء الخليفة المأمون بن الرشيد (٨١٣ – ٨٣٣م) تمت التعديلات في مسجد الصخرة وجددت عمارته .

وقد أثرت الأحداث التي وقعت في العصر العباسي في أوضاع الدولة الاسلامية ونشبت الخلافات داخل المجتمع الاسلامي وتضعضعت وحدته السياسية وإنتهى الأمر بتقلص الحكم العباسي. ولم تكتسب القدس أهميتها أيام الدولة الأخشيدية مثلما كانت على عهد الأمويين، فظلت تقصد للأغراض الدينية فقط .. وفي عهد الخليفة الظاهر بيبرس –الذي يعد امتداداً لعصر الحاكم بأمر الله – اضطر إلى عقد صلح مع القيصر رومانوس الثالث البيزنطي، وبمقتضاه سمح للقيصر بترميم بعض الكنائس التي هدمها الزلزال وفي تلك الأثناء أصيب مسجد قبة الصخرة من جراء الزلزال فأعاد الخليفة الظاهر تعمير المسجد وترميم قبته، فعادت أفضل مما كانت، وفي الوقت الذي نشبت فيه الصراعات السياسية في الأندلس بين الإمارات المسيحية وبين المرابطين، كانت قد بدأت في المشرق ما اصطلح على تسميته في التاريخ بإسم الحروب الصليبية. وإذا عدنا إلى الجذور التي كانت دافعاً للحروب الصليبية .. نجد أنها تمتد منذ نشأة الدولة الاسلامية وتطورها، فقد أحست الدولة البيزنطية بأن هذه الدعوة خطر يهددها

فأخذت تجابهها لكن الدولة الاسلامية واجهت الخطر بالفتوحات الاسلامية وتوسيع رقعة الأمة الإسلامية لمشر الدعوة واستمر هذا منهجاً للخلفاء الراشدين .. فتوغلت الدولة الإسلامية في الأراضي البيزنطية في الشام ومصر وشمال إفريقيا فضلاً عن بلاد فارس في الشرق .. وعبر طارق بن زياد من شمال إفريقيا إلى بلاد الأندلس وأصبح البحر الأبيض المتوسط تحت السيطرة العربية .

ولأن الدولة الإسلامية أصبحت دولة مترامية الأطراف .. فقد انقسمت على نفسها وتعاقبت عليها الخلافات .. فإنقسمت إلى ثلاث وحدات – بعد الخلفاء الراشدين – فسقطت الخلافة الأموية في دمشق على يد العباسيين وتأسست الخلافة العباسية في بغداد، بينما قامت الدولة الأموية في الأندلس والتي تحولت إلى خلافة، كما قامت الخلافة الفاطمية في المغرب، ومن هنا نشب خلاف بينها وبين الدولة الأموية في الأندلس من جهة ومع الدولة العباسية في بغداد من جهة أخرى، وساعد على ذلك خلاف مذهبي في الدين الاسلامي نفسه، فالأندلسيون كانوا أهل سنة مالكيين يميلون إلى فهم النصوص على ظاهرها ويكرهون التأويل، أما العباسيون في بغداد فكانوا أهل سنة يتخير المؤمن هناك لتعبده وقضائه مذهباً من مذاهب الأئمة الأربعة، وكانوا مع ذلك يتعايشون مع مذاهب اخرى كالشيعة الجعفرية الأثنى عشرية والمعتزلة والمرجئة والأشعرية وغيرهم.. بينما كان الفاطميون طائفة من الشيعة الإسماعيلية الباطنية، التي تقول بالتأويل إلى أبعد ما يحتمله النص كما كانت تقول بتقسيم التعاليم إلى علنية وسرية .. وهذه الخلافات الدينية إنعكست على الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية فنالت من الكيان الواحد للأمة الاسلامية .. في ظل هذه

الظروف المتردية جاء الصليبيون غازين الشرق وبالتحديد القدس بعد أن زارها البابا "أوربان الثاني" لاعباً على أوتار العاطفة الدينية المسيحية الغربية مستغلاً فكرة الخطر المزعوم على المسيحية في فلسطين .

وننقل فقرة هامة ذكرها المؤرخ وليم مالمسبوري من خطاب البابا أوربان " يا أمة الفرنج، يا أبناء السلالة التي أحبها الله واصطفاها وصلتنا من جهات القدس والقسطنطينية، أنباء مفجعة مفادها أن أمة من الأمم اشتطت السبيل فعاثت في ديار المسيحية سلباً وحرقاً وقتلاً وقادوا جموعاً منهم أسرى وأهلكوا آخرين بالتعذيب المبرح ودمروا بيوت الله وإستولوا على بلاد تابعة لليونان شاسعة الأرجاء، لاتقطع بمسيرة شهرين فعلى من تقع تبعية الثأر واستعادة الديار ألا تنهضوا أنتم بهذا الأمر ؟ يا من شرفكم الله بفضله وأسبغ عليكم العزة والسؤدد وحباكم من نصره على أعدائكم ؟ لتكن مآثر الأجداد ومآثر شارلمان ومن سار بسيرته حافزاً لكم ولتكن إستعادة القبر المقدس سبباً ليقظتكم ..

اسلكوا سبيل الله حيث يوجد البيت وانقذوا الأرض وامتلكوها لأنفسكم فإن القدس هى من أكثر بلاد الدنيا ثماراً وهى جنة الأفراح ومركز الدنيا إنها اليوم تناشدكم المساعدة فاقصدوها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم وجزاؤكم دار الخلود" .. ويرى المؤرخون أنه كانت هناك أسباب اخرى للغزو الصليبي للقدس غير تلك التي ذكرها البابا في رسالته وأن المسيحيين كانوا يومئذ يعيشون مع المسلمين إخوانهم في الوطنية واللغة في سلام وصفاء وأن الأسباب الحقيقية تتلخص في:

١ – حب التخلص من الثقافة والفلسفة العربية تلك الثقافة التي تناقض الإنجيل وكانت منتشرة في ذلك الحين .

٢ – الحيلولة دون اصطدام الأمراء الاقطاعيين في أوروبا وتقاتلهم وشغلهم بمقاتلة أعدائهم المسلمين .

٣ – جعل الأرض المقدسة لاتينية وملاشاة الأرثوذكسية منها.. وقال آخرون إن الغاية الحقيقية لا هذه ولا تلك وإنما هى غاية تجارية بحتة .

ومهما تكن الأسباب فإن الحملة الصليبية الأولى – عام (١٠٩٩م) – وكانت مؤلفة من ٣٠٠ ألف مقاتل ينتمون إلى مختلف الشعوب والأقوام الأوربية من فرنسيين وألمان ونمساويين ومجريين وبولونيين وغير ذلك، واقترف هؤلاء في طريقهم إلى الأرض المقدسة ألوان الفظائع والآثام، وذلك مما حدا بالأمم التي لاقوها في طريقهم إلى مقاتلتهم فقتل عدد كبير منهم وعاد عدد آخر إلى بلاده قبل أن يصل إلى هدفه .

ولما وصلت الحملة الصليبية الأولي أمام أسوار المدينة كان عددهم نحو خمسين ألفاً ..وقد حاصروا المدينة التي كان سكانها نحو عشرين ألفاً .. وما هى إلا أيام معدودة حتى دخل الصليبيون — المدينة في ١٥ تموز ١٠٩٩م.

وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم بقي فيها بالموت، وشرعوا من فورهم في تنفيذ الحكم فقتلوا سبعين ألفاً ، ولم يجد المسلمين توسلهم ولا التجاؤهم إلى المسجد الاقصى، ولم يختلف اثنان من المؤرخين لا من الفرنجة ولا من المسلمين في إستفظاع المنكرات التي إقترفها الصليبيون، تلك المنكرات التي أقل ما قيل فيها أنه يندي لها جبين الدهر ، وإنها مناقضة لتعاليم السيد

المسيح الذي زعموا أنهم إنما جاءوا لنصرته ..وأرسل الصليبيون بعد إنتهائهم من هذه المجزرة البشرية إلى البابا رسالة أخبروه فيها بما جرى، قائلين له : إن القدس فتحت على يدهم وإنهم قتلوا عدداً لايحصي من المسلمين وأن خيولهم في إيوان سليمان كانت تخوض في بحر من دماء المسلمين حتى ركبها ..

وعاثوا في المدينة فساداً .. واستولوا على الممتلكات والمباني التي يملكها المسلمون والمسيحيون الذين ينتمون للكنيسة الشرقية ولقد حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة وسموها Tempelum Domini واستعملوا المسجد الاقصى لمصالحهم وكانوا يسمونه Palatium Tempelum Solomonesفأنقصوا من حجمه كثيراً وقسموه إلى أقسامفإتخذوا قسماً منه كنيسة وقسماً آخر مسكناً لفرسان الهيكل والباقي استعملوه مستودعاً لذخائرهم واتخذوا السراديب التي تحت المسجد الحالي إسطبلاً لحيواناتهم .

وأسس الصليبيون من القدس والبلاد المجاورة لها مملكة لاتينية، جعلوا مقرها لقدس ، وأقاموا عليهم أميراً هو غودفري دوبويون، فأخذوه إلى كنيسة القيامة وتوجوه، ولما مات دفنوه في داخل الكنيسة .. وتعاقب ملوك الصليبيين على الحكم .. وتوالى كذلك حكام القدس .

صلاح الدين يحرر القدس

بعد أن انتصر صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين على الصليبيين (٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣هـ - ١١٨٧م) عقد النية على تحرير بيت المقدس، فسار إلى فلسطين .. وأخذ كل ما كان بين بيت المقدس والساحل من حصون فلما تأكد

من تأمين الساحل لمنع وصول الإمدادات البحرية إلى الصليبيين في القدس .. حاصرهم .. وعرض على أهلها التسليم بنفس الشروط التي استسلمت بها بقية المدن الصليبية، نظير تأمينهم على أرواحهم وأولادهم وأموالهم، ولكنهم أبوا ذلك وعندئذ أقسم صلاح الدين أن يأخذ القدس عنوة .. وجعل يتلمس في أسوارها نقطة الضعف التي اختارها جهة الشمال عند المكان المعروف بباب كنيسة صهيون (باب العمود) وبعد أن أتم ترتيباته لاقتحام المدينة أنذر السكان طالباً منهم الإستسلام .. ولم يدم الحصار أكثر من أسبوع أو عشرة أيام حتى أيقنوا أنه لا أمل لديهم في النجاة، فأرسلوا إلى صلاح الدين يفاوضونه في شروط التسليم فأبي إلا أن يأخذ المدينة عنوة ليفعل بالصليبيين مثلما فعلوا بالمسلمين عندما إستولوا على القدس منذ نحو قرن .. ونذكر ما قاله صلاح الدين "لا أفعل إلا كما فعلتم بأهل القدس حين ملكتموه سنة احدى وتسعين وأربعمائة، من القتل والسبي وأجزي السيئة بمثلها" .. وعند ذلك ألح أمير منطقة الرملة في طلب الأمان ووقف القتال، وإلا قتلوا نساءهم وأطفالهم وذبحوا من في المدينة من أسرى المسلمين .. ويقدر عددهم بخمسة آلاف أسير .. وهنا إستشار صلاح الدين أصحابه فوافقوا على ترك المسيحيين يغادرون القدس مقابل عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة ودينار واحد عن كل طفل، فمن أدى ذلك في مدة أربعين يوماً خرج ونجا .ومن لم يؤده صار أسيراً مملوكاً .

وعلى هذا النحو جاءت شروط التسليم سهلة وميسرة .. كما جاء تفسير هذه الشروط لافتاً للنظر، ويدل على سماحة الاسلام بالمقارنة بما فعله الصليبيون عند غزوهم للقدس عام ١٠٩٩م من ذبح وقتل للمسلمين بالآلاف .

وقد دخل صلاح الدين إلى بيت المقدس في يوم الجمعة ٢٧ رجب ٨٣ هـ - ٢ أكتوبر ١١٨٧ .. وما أن دخلت الجيوش الإسلامية القدس، حتى بدأوا يحفظون الأمن والنظام .. وإستهل صلاح الدين وجنوده في بيت المقدس بزيارة مسجد قبة الصخرة والمسجد الاقصى وقام بخلع الصليب الذهبي الذي رفعه الصليبيون على قبة الصخرة ووضع فوقها الهلال كما أزال ما وجده في المسجدين من آثار مسيحية،وقد بذل المسلمون جهداً كبيراً في ترميم وتعمير المسجدين وكان صلاح الدين قد أمر بنقل المنبر من مدينة حلب إلى المسجد الاقصى - والذى كان قد أمر بتصعنيه نور الدين زنكي على درجة من الدقة والفخامة بحيث يتناسب والقدس عند فتحها،كما شيد صلاح الدين مسجداً عرف باسم مسجد النساء وذلك في الطرف الجنوبي الغربي للمسجد الاقصى .

وقد سمح صلاح الدين للمسيحيين بإقامة شعائرهم الدينية في حين قام بإحضار بعض القبائل العربية مثل بني الحارث وبني مرة وبني سعد وبني زيد للإقامة في بيت المقدس كما قام بانشاء عدد من المنشآت وقام بالعديد من الإصلاحات نذكر منها :

- أنه قام بتجديد أسوار بيت المقدس وبإنشاء عدد من الأبراج العسكرية في الجزء الواقع بين باب العمود وباب الخليل وهو الجزء المواجه للطريق العسكري الآتي من الساحل الفلسطيني على البحر الأبيض المتوسط من يافا خصوصاً وفي سبيل تحصين المدينة ضد الصليبيين قام بحفر عدد من الخنادق حول أسوارها حتى يصعب على الصليبيين أو أي عدوان خارجي إقتحام المدينة .. وقد رأى

الناس صلاح الدين بنفسه وهو ينقل الحجارة ويشارك عمال البناء في أعمالهم .. ورأي الناس كذلك أسرة صلاح الدين تقوم بنفس الشيء.

– أنشأ (البيمارستان) أي المستشفي في البقعة التي كانت تقوم عليها سوق إلى زار وكنيسة الألمان في الدباغة .. وكان يداوي فيه المرضى الجرحى من غير أجر .. وقيل أنه من أفضل المستشفيات في العصر الاسلامي.

– أنشأ (الخانقاه الصلاحية) في جانب من منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة من الشمال والغرب .. وقد إتخذها مسجداً ورباطاً للصالحين من الصوفية.

–أنشأ عدداً من المدارس منها : (المدرسة الخنثنية) ومكانها بجوار المسجد الاقصى من القبلة خلف المنبر (٥٨٧هـ – ١١٩١م) و (المدرسة الصلاحية) وهى تبعد أمتاراً قليلة من السور الشرقي عند باب الأسباط، كانت فيما مضى مدرسة للروم، بنيت في المكان الذي كان فيه بيت حنة والدة مريم البتول وبعلها يواكيم وكان فيها على عهد الصليبيين كنيسة يسمونها كنيسة القديسة حنة، فجعلها صلاح الدين مدرسة ووقفها لفقهاء الشافعية ورباطاً للمتصوفين وكان ذلك بتاريخ ٥٨٨هـ – ١١٩٢م، وكان لهذه المدرسة شهرة كبيرة في جميع أرجاء العالم الاسلامي .. ومن المدارس التي أنشأها صلاح الدين كذلك مدرسة تدعى (المدرسة الميمونية) وكانت على مئتي متر من السور الشمالي للمدينة .

إن الانتصارات التي حققها صلاح الدين على الصليبيين قد أزعجت أوروبا وأفزعت البابوية، لاسيما بعد فتحه للقدس، فنادى البابا بحملة صليبية جديدة اشترك فيها ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أغسطس ملك

فرنسا وامبراطوري المانيا وروما، وقاموا بتجهيز أكبر حملة صليبية من حيث العدد والعدة لإستعادة القدس وهيبة أوروبا البابوية إلا أن جميع محاولات الصليبيين فشلت بقيادة ريتشارد قلب الأسد في أخذ بيت المقدس، واضطر إلى فكرة المفاوضات التي انتهت بصلح الرملة في سبتمبر ١١٩٢، وفيه اتفق الطرفان على إحتفاظ الصليبيين بالمدن الساحلية الممتدة من عكا حتى يافا على أن تستمر مدينة بيت المقدس تحت حكم المسلمين مع السماح للحجاج المسيحيين بالحج إليها من طريق واحد هو طريق عكا.. وفي أعقاب ذلك رحل ريتشارد قلب الأسد من عكا إلى إنجلترا وهكذا أسدل الستار فترة من الزمن على الحملة الصليبية الثالثة التي فشلت في استعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين .

بعد موت صلاح الدين في دمشق عام ١١٩٣م إنقسمت دولته إلى عدة ممالك فأصبحت الشام وفلسطين من نصيب إبنه علي الملقب بالملك الأفضل وحلب لإبنه غازي الملقب بالملك الظاهر ومصر لإبنه عثمان الملقب بالملك العزيز، وبلاد ما بين النهرين لأخيه الملك العادل وكانت القدس من نصيب الملك الأفضل والذي تنازل عنها بعد فترة قليلة لأخيه الملك العزيز حتى يضمن لها المال والرجال للدفاع عنها ضد الصليبيين .. وفي عام ١٢٠٠م تمكن الملك العادل من توحيد ممالك البيت الأيوبي في مصر والشام تحت سيطرته وأقام نفسه سلطاناً على الإمبراطورية الأيوبية – إعترف به سائر الأمراء الأيوبيين – فترة إمتدت من عام ١٢٠٠م وحتى ١٢١٨م ونتيجة لقيام وتوحيد الإمبراطورية الأيوبية قامت البابوية في أوروبا بتجهيز حملة صليبية جديدة، إلا أنها لم تحقق

هدفها الرئيسي إلا بعد تولي الملك الكامل القيادة بعد وفاة والده الملك العادل في دمشق عام ١٢١٨م .

وبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر تمكن "فريدريك" من عقد اتفاق هدنة مع الملك الكامل في سبتمبر ١٢٢٨م في عكا وتتضمن هذه الاتفاقية أن يتسلم الصليبيون بقيادة فردريك مدينة بيت المقدس وبيت لحم مع الابقاء على طريق "عكا – القدس" في أيدي الصليبيين بما في ذلك يافا وعكا واللد والناصرة، على أن يبقي المسجد الاقصى وقبة الصخرة في أيدي المسلمين، كل ذلك مقابل هدنة مدتها عشر سنوات لاتقوم خلالها أي حملات صليبية على مصر أو الشام، وفي أعقاب هذا الإتفاق أنكر المسلمون في مصر والشام والعراق هذه الهدنة التي ترتب عليها التنازل عن بيت المقدس .

وفي عام ١٢٣٩م إنقسمت الدولة الأيوبية للمرة الثالثة فأصبحت مصر من نصيب العادل الثاني بن الكامل والشام من نصيب أخيه الأكبر الصالح أيوب الذي إستعان بالخوارزمية، واستمر الصراع بين الأخوة على قيام الدولة الأيوبية الموحدة وفي تلك الأثناء جهزت البابوية حملة صليبية جديدة للابقاء على القدس بعد نهاية الإتفاق فاستغل قادة الصليبيين الخلافات داخل الدولة الأيوبية واستولوا على القدس التي سرعان ما عادت إلى الملك الصالح أيوب والذي زارها وأمر بترميم أسوارها .

لكن لم تكف الدعاوي الدينية الغربية باستعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين فأرسلوا الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨م) بقيادة لويس التاسع .. وكان يتولي الحكم وقتها الصالح أيوب .. وقد دارت بين الفريقين معارك كبيرة،

إلا أنها لم تحسم النصر لأحد الطرفين وأثناء المعارك توفى الملك الصالح، فتولى من بعده إبنه غياث الدين تورنشاه الذي لم يحسن إدارة البلاد، فتآمرت عليه المماليك البحرية وقتلوه عام (١٢٥٠م) وبمقتله إنتهت الدولة الأيوبية .

المماليك قادمون

تولت شجرة الدر - زوجة الصالح أيوب - السلطنة في مصر عام ١٢٥٠م بعد مبايعة المماليك لها .. ويعد هذا التاريخ هو بداية قيام دولة المماليك، إلا أن بعض المؤرخين يعتبرون الظاهر بيبرس هو المؤسس الفعلي لدولة المماليك، وقد تولي السلطنة عام (١٢٦٠م) ويذكر أنه قد زار القدس مرتين: الأولى عام ١٢٦٢م والثانية عام ١٢٦٥م .. وفي أعقاب زيارته الأولى أمر بترميم وانشاء بعض المنشآت نذكر منها:

- ترميم ما تهدم من مسجد قبة الصخرة .. كما جدد قبة السلسلة وقام بزخرفتها وأنشأ حنانا ووقف بعض القرى لينفق ريعها على مصالح المسجد كل عام .
- أنشأ (دار الحديث) على طريق باب السلسلة .
- بنى على قبر موسى "عليه السلام" - قبلي أريحا -قبة ومسجداً .
- يذكر أن الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة من آثاره .

وقد تعاقب على الحكم السلاطين المماليك .. ولا يخلو عهد أي منهم من ترميمات وإنجازات ومنشآت في القدس .. وكان آخر سلاطينهم السلطان "قنصوة الغوري" (١٥٠٠م) الذي على عهده ساءت العلاقات بين المماليك والأتراك العثمانيين .. وقد قتل "الغوري" بعد هزيمته في موقعة "مرج دابق" على

مقربة من حلب .. وقد بايع المماليك "طومان باي" سلطانا عليهم، لينقذهم من الغزو التركي إلا أنه فشل .. وشنق طومان باي في عام (١٥١٧م) .. ومن هنا سقطت دولة المماليك، لتحل مكانها دولة الأتراك العثمانيين .. ولعل أبرز السمات التي تميز عصر المماليك في القدس إهتمامهم بها .. وترميم مقدساتها الاسلامية، حتى أننا نجد سلاطينهم يكسون قبة الصخرة المقدسة من الخارج بالفسيفساء .

الأتراك العثمانيون في القدس

بعد أن تغلب على المماليك في موقعة (مرج دابق) فتح السلطان سليم الأول القدس عام (١٥١٦م) واحتل كذلك أجزاء كبيرة من بلاد الشام منها حلب وحمص وسار إلى مصر .. وبذلك انتهى حكم المماليك لفلسطين بفتح العثمانيين لها .

ويذكر أنه في عهد السلطان سليم الأول الملقب بالقانوني قامت منشآت كثيرة في القدس نتيجة لاهتمامه بحركة التعمير والبناء، فأمر بتجديد عمارة سور المدينة .. كما أنشأ برجاً بالقرب من الخليل وأصلح طبقة الفسيفساء التي كانت تغطي قبة الصخرة من الخارج بالإضافة إلى إصلاحه عمارتها،وعمر جدران الحرم وأبوابه.. وجدد الذهبي من أبواب الحرم.. وفتح الباب المعروف بباب "ستنا مريم" كما جدد قبة السلسلة وعلي عهده أنشأت التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي وأنشأ مسجد الطور (١٥٣٧م) في المكان الذي تقوم عليه كنيسة الصعود .. والمدرسة الرصاصية بحارة الواد (١٥٤٠م) .

وعلي عهده 'سكت نقود جديدة سميت باسمه .. وفرضت على الحجاج المسيحيين رسوم يدفعونها لدى دخولهم كنيسة القيامة .

وبعد وفاة السلطان سليم الأول تعاقب السلاطين الأتراك العثمانيون على الحكم فتولى السلطنة بعده إبنه السلطان سليم الثاني (١٥٦٦م) فالسلطان مراد الثالث بن سليم الثاني (١٥٧٤م) فالسلطان محمد الثالث بن مراد الثالث (١٥٩٤م)، فالسلطان أحمد الأول بن محمد الثالث (١٦٠٣م) وعلي عهده عرف الناس التبغ لأول مرة واستعملوه في هذه البلاد (١٦٠٣م) وحُرم بيع الخمور في القدس (١٦١٣م) ثم جاء السلطان مصطفي الأول بن محمد الثالث (١٦١٧م) فالسلطان عثمان الثاني بن أحمد الأول (١٦١٧م) فالسلطان مصطفي الأول للمرة الثانية (١٦٢١م) ولم يرد ذكر كثير للقدس في أيام هؤلاء السلاطين .. وأما في زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٢) فقد كانت القدس تابعة لمصر ولقد حدثت فيها حوادث تستحق الذكر : منها أنه حظر على الناس شرب القهوة وتدخين التبغ (١٦٣٣م) واختل الأمن، فراح الأشقياء يقطعون الطرق ويخربون ينابيع المياه وذلك قد حدا بالسلطان لإقامة قلعة سميت باسمه (قلعة مراد) عند برك سليمان على طريق الخليل وأنشأ في داخلها مسجداً وخمسين منزلا لسكني الجند وكان يقوم على حراستها دزدار وأربعون جنديا مسلحين بالمدافع والأسلحة الكاملة .

بعد السلطان مراد الرابع تولى السلطنة إبراهيم بن أحمد الأول (١٦٣٩م) . ثم تولاها إبنه السلطان محمد الرابع (١٦٤٨م) وعلي عهده بنيت المئذنة

الكائنة بداخل القلعة (١٦٥٥م). وأنشئ المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان في الحرم القدسي ١٦٥١م .

إن أحسن وصف للقدس في ذلك العهد نجده في مخطوط للسائح التركي الشهير (أوليا جلبي) فقد زارها حوالي سنة ١٦٧٠ للميلاد ووصفها وصفا جيدا فمدح خبزها وثمارها وخضرها، ويبدو أنها إشتهرت يومئذ بمسكها وعطرها وبخورها ومباخرها النحاسية، وكان فيها ألفان وخمسة وأربعون دكانا وستة خانات عظيمة ومحتسب وأسواق وثلاثة وأربعون ألف كرم ورأي في وسط هذه الكروم زهاء ألف وخمسمئة منظرة وكان يسكنها ستة وأربعون ألف نسمة أكثرهم عرب مسلمون وكان فيها كنيسة للأرمن، وثلاث كنائس للروم وكنيستان لليهود ومئتان وأربعون محرابا للصلاة وسبع دور للحديث، وعشر دور للقرآن وأربعون مدرسة للبنين وستة حمامات وثمانية عشر سبيلا يشرب الماء منها العطشان وتكايا لسبعين طريقة منها الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية .. ويظهر مما كتبه هذا السائح وغيره من السياح الأجانب أن كل شيء في القدس كان يومئذ على غاية ما يرام ماعدا الأمن والأمان فقد كان هذا مفقوداً ولاسيما خارج أسوار القدس .. وفي عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٨ - ١٨٠٧م) هاجم نابليون بونابرت العريش عام (١٧٩٩) وكان قد خرج على رأس جيشه وسلك طريق صحراء سيناء ثم اتخذ الطريق الساحلي القديم إلى فلسطين واستولي على العريش وغزة والرملة ويافا ثم واصل جيش نابليون تقدمه إلى الشمال على طول سهل مرج إبن عامر ليحقق هدفه الرئيسي وهو الإستيلاء على عكا عاصمة الحكم العثماني في فلسطين .

وفي أثناء حصار عكا أرسل نابليون عدة وحدات من جيشه إلى صفد وإلى جسر بنات يعقوب على نهر الأردن الشمالي .. قاصدا قطع الإمدادات التي يحتمل أن يرسلها العثمانيون إلى دمشق، وعندما علم الفرنسيون أن القوات العثمانية نجحت مع ذلك في عبور نهر الأردن من موضع آخر واخترقت وادي مرج بن عامر، تقدم جزء من جيش نابليون لمواجهة الجنود المدافعين عن فلسطين تحت قيادة عثمانية ولكن الجيش الفرنسي هزم في هذه المواجهة، وبالتالي فشل في احتلال حصار عكا، ولذلك اضطر نابليون آخر الأمر إلى التراجع عائدا إلى مصر سالكاً نفس الطريق الذي سلكه من قبل على أن إهتمام أوروبا بفلسطين قد بدأ يتبلور منذ ذلك التاريخ .

ويذكر المؤرخون أنه في عهد السلطان محمود الثاني عام (١٨٠٨م) قد ألغي نظام (الانكشارية) وطارد رجالها مطاردة لاهوداة فيها، حتى أنه منع الناس من ذكرهم ومنع المسيحيين الأرثوذكسيين (١٨٢٠م) من تعمير معابدهم .. إذ أنه كان يكرههم ولاسيما من كان منهم يوناني الأصل وسمح للاتين ببناء غرف جديدة في ديرهم وتعمير ما يخصهم في كنيسة القيامة وأمر المسلمين من سكان بيت المقدس أن يخلعوا عن رؤوسهم (القاووقة) التي كانوا يلبسونها حتى ذلك التاريخ .

وعندما أعلن محمد على باشا – والى مصر – العصيان على تركيا في عهد السلطان محمود الثاني أرسل جيشا بقيادة ابنه إبراهيم باشا إلى فلسطين والشام لم يلبث أن احتل بيت المقدس في عام ١٨٣١م ومعظم مدن فلسطين، ولكنه واجه مقاومة شديدة من أهلها الذين أعلنوا الثورة في مواجهة إبراهيم باشا وجيشه إلا أنه قمع هذه الثورة وقد وقفت بعض الدول الأوروبية في وجه إبراهيم

باشا وفتوحاته في فلسطين والشام وبلاد الأناضول مما اضطره إلى الانسحاب من فلسطين بعد عشر سنوات وهكذا استرد السلطان عبد الحميد القدس وفلسطين في عام ١٨٤١م بمساعدة انجلترا والنمسا، وظلت تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى .

وأغلب الظن أن اليهود حاولوا استصدار أمر من محمد على باشا للسماح لهم بشراء وتملك الأراضي الزراعية والعقارات وإنشاء بعض الصناعات الخفيفة ، ولكن أعضاء مجلس القدس الشريف اعترضوا على هذا الطلب – على اعتبار أنه طلب لامثيل له من قبل– فأصدر محمد علي موافقته على ما جاء في قرار مجلس القدس الشريف ولم يسمح لليهود بعد ذلك بالبيع أو الشراء للعقارات والأراضي الزراعية، وفي عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦٠ – ١٨٧٤م) انفصلت القدس عن تبعيتها للشام وأصبحت مستقلة تتبع الباب العالي رأساً كما أنشئ في عهده طريق القدس يافا وطريق القدس نابلس ورصفت شوارع القدس وأسواقها .. كما قام بتجديدات في المسجد العمري .

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٨م) .. نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا (١٨٧٧م) وفي أعقابها صدر قانون (١٨٨٢م) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وشراءهم الأراضي الزراعية والعقارات هناك ثم صدر تعديل لهذا القانون يسمح لليهود بدخول فلسطين للحج وإقامة طقوسهم الدينية على ألا يبقوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر وبعد انعقاد المؤتمر التأسيسي لمنظمة الصهيونية العالمية في بازل سنة (١٨٩٧م) برئاسة تيودور هرتزل الذي رسم خريطة لإسرائيل– والذي في أعقابه عرض على السلطان عبد الحميد

الثاني، أن تسدد ديون الدولة العثمانية الباهظة بسبب الحرب مع روسيا ويدفع إلى جيب السلطان خمسة ملايين من الجنيهات مقابل السماح لليهود بوطن في فلسطين ولما إعتذر السلطان بأنه لايملك المساومة على فلسطين، وليست من خاص أملاكه في صفقة بيع وشراء تقرر عزله وإسقاط الخلافة الاسلامية وعلى أثر ذلك تحالفت الصهيونية العالمية وتحالفت مع بعض الدول الغربية على خلع السلطان عبد الحميد وإبعاده إلى "سلانيك" .

وخلفه السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٨م)، وفي عهده نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧) وانضمت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان .. وكانت النتيجة أن خسر الأتراك الحرب وإنتقلت القدس من أيديهم إلى أيدي الانجليز في (٩ ديسمبر ١٩١٧) .. بقيادة السير "ادمون اللنبي" بعد أن ظلت في أيدي العثمانيين أربعة قرون - فدخلت اسما (فلسطين) تحت الحماية البريطانية حتى تسلمتها الصهيونية العالمية وكان اليهودي المتطرف "زئيف جابوتنسكي" قد إتفق على إنشاء كتيبة من المتطوعين اليهود تحارب العرب والأتراك تحت الراية البريطانية وصدر لها الأمر بالتحرك في إتجاه فلسطين.. "في نفس وقت صدور تصريح بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود وبالطبع فهذا التنسيق ليس مجرد صدفه" مع الجيش البريطاني الزاحف عليها بقيادة الجنرال (السير) إدموند اللنبي

وفي فبراير عام ١٩١٨م وصلت مقدمة الكتيبة اليهودية إلى فلسطين وما أن لمست أقدامهم أرض فلسطين حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة

السداسية وعليها فقرة من المزمور ١٣٧ — من المزامير المنسوبة زوراً إلى داود – " ان نسيتك يا أورشليم تنسي يميني"وكان هرتزل قد جعله شعاراً للصهيونية .

ورغم أنه في العهد التركي افتقدت القدس عنصر الأمن والأمان .. وتعرضت لتقلبات أمزجة الحكام واضطهاد أهلها من قبل بعضهم، إلا أنه كان للعهد التركي بصمات على المدينة من مختلف النواحي نذكر منها :

–أنها كانت مركزاً لقطع واسع يسمى (سنجق القدس) وهو مؤلف من خمسة أقضية وهى :

(١) قضاء القدس. (٢) قضاء الخليل .

(٣) قضاء يافا . (٤) قضاء غزة .

(٥) قضاء بئر سبع ..

وقسمت إلى ٣٨٠ قرية وخمس قبائل كبري

–كانت تدار المدينة والقري المجاورة لها والقبائل من قبل وزارة المالية .. وكان لقاضي القدس سلطة إدارية واسعة .. وكان يشغل الوظائف الهامة والرئيسية أتراك وذوو الإقطاع من مشايخ البلاد .

– أنشأ بالقدس مجلس للشوري (١٨٤٠م) يتألف من عدد من كبار رجال الطوائف المختلفة .

كما كان فيها مجلس عموم (١٩١١م) يتألف من عدد محدد من ممثلي الأقضية .. وكانت تمثل القدس في البرلمان العثماني (١٩٠٨م) بنسبة ثلاثة نواب .. إثنان من القدس والثالث من يافا .. والبرلمان مؤلف من مجلسين "مجلس للمبعوثين" ينتخبه الشعب وآخر "للأعيان يعينهم السلطان" .

- أنشئت بلدية القدس عام (١٨٦٣م) لها ميزانية يحددها السلطان وكان في المدينة عام (١٨٧٦م) ديوان للشرطة يضم نحو ٢٢ شرطياً كلهم مسلمون .. وكان اقتناء السلاح مباحا لجميع السكان مما كان سبباً لافتقاد المدينة لعنصر الأمن .

- اشتهرت القدس بزراعة مساحات شاسعة من أشجار الزيتون .. وكان الزيت فيها كثيراً حتى - يقال - أن سكان المدينة أضطروا في سنة من السنين أن يسكبوا الزيت القديم ليتمكنوا من إيجاد أوعية كافية يصب فيها الزيت الجديد .. وكان الزيتون مصدراً للعديد من الصناعات .

- كانت القدس مركزا تجاريا هاما يصدر العديد من السلع للدول الأوروبية منها القمح والصابون وزيت الزيتون والسمسم وورق الكرتون والأدوات المدرسية وكانت المعاملات التجارية لاتتم بصكوك أو عقود أو تسجيل بل بالاتفاق الشفوي .

- كان يدفع سكان المدينة ضرائب للأتراك وهى أنواع منها :

١ - "العشر" وتجني من أصحاب الأراضي والمزارعين .

٢ - "الأغنام" تجني عن الأغنام والجمال المعدة للنقل .

٣ - "الويركور والمسففات" وتجني من ملاك الأراضي والدور المعدة للسكن والدكاكين .

٤ - "التصنيع" وتحصل من أصحاب الصناعات والمهن والتجار وكانت نسبة ضئيلة جداً .

٥ - "العملة المكلفون" تفرض على كل شخص يتراوح بين العشرين والستين من العمر وكان على الشخص أن يدفعها أو يؤدي خدمة عامة للمدينة كأن يشارك في تشييد بناء جديد أو إصلاح طريق .

٦ - "العسكرية" وكان يحصلها الأتراك من الذميين الذين لم يعتنقوا الاسلام ويكونون في سن الجندية مقابل اعفائهم من خدمة الجيش .

٧ - "الجزية" وكانت تحصل من أهل الذمة .. وكانت تفرض بدرجات متفاوته على الأغنياء والمتوسطين والفقراء .

٨ - " الغفران " وكان يدفعها الحجاج الذين يفدون إلى البلاد بقصد زيارة الأماكن المقدسة من يهود ونصاري يدفعونها عند وصولهم إلى ثغر يافا . - في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أصدر قانونا عام (١٨٨٢م) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وتملكهم أراضٍ بها ثم عدل هذا القانون فسمح لليهود أن يدخلوا فلسطين بقصد العبادة بشرط ألا يمكثوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر وصدر قانون يمنع تجارة الرقيق عام (١٨٨٩م) .

- في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أنشأ خط سكة حديد عام ١٨٩٢م يربط بين القدس ويافا .. وأنشأ المستشفي البلدي عام ١٨٩١م وجدد عمارة السبيل المعروف بسبيل قايتباي عام (١٨٨٢م) الكائن في ساحة الحرم على مقربة من باب القطانين في عام.

- أولي السلاطين الأتراك عناية كبيرة بترميم قبة الصخرة وإصلاح عمارة المسجد الاقصى والمسجد العمري وتجديد أسوار المدينة وإقامة المساجد .

الاحتلال البريطاني

يري بعض المؤرخين أن الأتراك وقعوا في خطأ كبير خلال الأيام القليلة التي سبقت احتلال القدس ..إذ أنهم بدلاً من الثبات في خنادقهم ورد الغارات التي كان يشنها الانجليز عليهم .. بادروا بهجمات مضادة على الانجليز أنهكت وبددت جزءاً كبيراً من قوتهم .. رغم أن عدد أفراد الجيش التركي المرابط في قطاع القدس كان يقدر بنحو ١٥,٠٠٠ مقاتل .. إلا أن الإحباط واليأس قد دب في صفوفهم بسبب نفاذ المؤن والذخيرة، فاغتنم الانجليز هذا .. وهجموا على القدس وتمكنوا أول ما تمكنوا من إحتلال بيت أكسا والتلال الكائنة حوله .. كما تمكنوا من احتلال دير ياسين، وكانوا قد استولوا على مواضع استراتيجية اخرى إلى الشرق من وادي الصرار . وكانت بعض كتائبهم قد وصلت إلى قطاع بيت لحم واحتلت عين كارم، وراحت مدافعهم تضرب القدس من جهاتها الثلاث الشمال والغرب والجنود فأيقن الاتراك حينئذ أنهم خسروا المعركة وأن القدس لا محالة واقعة بيد الانجليز .

عندئذ نادى المتصرف التركي عزت بك عدداً من أعيان المدينة فأخبرهم بحقيقة الأمر وحملهم الرسالة التالية :

إلي القيادة الانجليزية ..

منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس لدى كل ملة فالحكومة العثمانية – محافظة على الأماكن المقدسة الدينية من الخراب – قد سحبت عساكرها من المدينة وأقامت موظفين ليحافظوا على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الاقصى وعلي أمل أن تكون المعاملة من قبلكم أيضاً على هذا الوجه فإني أبعث

بهذه الورقة مع حسين بك الحسيني رئيس بلدية القدس بالوكالة سيدي وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وآخرون ولوا وجوههم شطر نابلس، وكانت السماء ماطرة وكانت تخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون فدخلها الإنجليز (الأحد ٩ كانون أول ديسمبر ١٩١٧م) دخلوها عن طريق الشيخ بدر، الحي الكائن إلى الغرب من المدينة .. وبعد يومين دخل اللورد اللنبي المدينة من بابها المعروف بباب الخليل وأذاع من فوره على سكانها ومن على درج القلعة، البيان التالي :

"إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي أقودها أدي إلى احتلال مدينتكم وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية وستبقي هذه نافذة المفعول ما دام ثمة ضرورة حربية ولئلا ينالكم الجوع، كما نالكم على يد الأتراك أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله، وفقا للقانون دون أن يخشي أي تدخل من أي شخص كان .

"إن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاث الكبرى وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال وأود أن أحيطكم علما بأن جميع المعابد والأماكن المقدسة ستصان وفقا للعنعنات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطوائف التي تملكها " .. ويذكر أن أول عمل قام به الانجليز بعد احتلالهم المدينة أن نصبوا عند مدخلها من الغرب ذلك المدخل الذي دخلوها منه، وهو المعروف بحي الشيخ بدر، نصبا من الرخام الأبيض تذكاراً لفتحهم نقشوا عليه اسم اللورد اللنبي والتاريخ الذي فتحت فيه المدينة على يده، وأنشأوا حول النصب حديقة، وأرادوا أن يرفعوا على النصب

صليبا إلا أنهم عادوا فعدلوا على ذلك إستجابة لرغبة اليهود ووضعوا الصليب بشكل لايراه الناظر من بعيد .

وفي بداية احتلال الإنجليز للقدس حكموها حكماً عسكرياً حتى بعد إعلان الحكم المدني تدار بأيد إنجليزية .. وقد فوجئ العرب بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولي بعدم تحقيق آمالهم في الاستقلال وفوجئوا بظهور وعد بلفور المشؤوم في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .. هذا الوعد الذي منحه الإنجليز على لسان وزير خارجيتهم اللورد بلفور إلى اليهود بوساطة زعيمهم روتشيلد، إذ أرسل اليه كتابا قال فيه :

عزيزي اللورد روتشيلد .

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضا إلى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل الجهود في سبيل ذلك على ألايجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان .

والغريب في الأمر أن هذا الوعد الذي أعطي بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بقي في طي الخفاء فلم يذع إلا بعد أن احتل الإنجليز القدس في ٩ كانون أول ١٩١٧ ووضعت الحرب أوزارها ولم يعد الإنجليز في حاجة لرضا العرب سكان البلاد.

فراح هؤلاء يتساءلون : أين هذا من الوعد الذي قطعته إنجلترا للملك حسين يوم طلب منها مكافأة لقيامه ضد الأتراك "أن تعترف باستقلال البلاد

العربية من مرسين حتى الخليج الفارسي شمالا ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غربا .." لا بل أين هو من الثورة نفسها التي أعلنها الحسين بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩١٦ والتي قال عنها اللورد اللنبي في تقريره الذي رفعه إلى وزارة الحربية فور إنتهاء القتال : "إنها ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب"

وما كادت أنباء وعد بلفور والوطن القومي لليهود تذاع في القدس وفي سائر أنحاء فلسطين، حتى راح الناس يعلنون سخطهم واستنكارهم وتزعزعت ثقتهم ببريطانيا، فإندلعت الثورات .. والمظاهرات في أنحاء المدن الفلسطينية .. وعقدت الجمعيات الإسلامية والمسيحية في يافا مؤتمراً عاما سنة ١٩١٩ قرر فيه المجتمعون أن ينضموا لسوريا، وفي ٤ أبريل سنة ١٩٢٠ حدثت إضطرابات قتل فيها ٩ من إلى هود، و٤ من العرب وجرح فيها ٢٥٠ يهوديا، و٢١ عربيا، فأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية وتألفت محاكم عسكرية لمحاكمة الشباب الثائر، واضطرت الحكومة البريطانية إلى إنشاء إدارة مدنية بالقدس وتقرر في مؤتمر سان ريمو في ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠أن تتحول فلسطين إلى محمية بريطانية وصل أول مندوب سام في أول يوليو وهو السير هربرت صمويل Herbert Samuel وهبط إلى القدس في حراسة الطائرات والدبابات خشية أن يغتاله العرب لأنه في الأصل يهودي إنجليزي ومما فعله أن حظر على السكان العرب حمل السلاح، في الوقت الذي زود فيه المستعمرات اليهودية بالسلاح ودربهم على القتال

وجعل اللغة العبرية مع العربية والإنجليزية من اللغات الرسمية وفتح باب الهجرة لليهود حتى بلغوا في عهده نحو ١٠٠,٠٠٠ وسمح لهم بشراء الأراضى

كيفما شاؤا وزادت أملاكهم في القدس وصرح لشركة انجليزية يهودية بشراء حق إضاءة المدينة مع قطاعاتها (رام الله – بيت لحم – بيت جالا) من رجل يونانى كان قد حصل على هذا الإمتياز في العهد التركى وكانت له إلى د الطولى في ان أصرت بريطانيا في دستور سنة ١٩٢٢ على أن فلسطين وطن قومى لليهود، وقد عانت القدس كثيراً من مظالم هذا المندوب، وعملت السلطة الانجليزية في تدابيرها الصارمة القاسية للحد من الشعور الوطنى، ولتوطيد دعائم الوطن القومى إلى هودى ليس في يافا فقط أو القدس وحدها .. إنما في فلسطين كلها .. فراحت تزود المستعمرات اليهودية بالسلاح والعتاد والذخيرة وتدربهم على القتال، في حين حظرت على أهل الأرض المحتله حمل السلاح وفرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والاعدام.

وجعل اللغات الثلاث، العربية والعبرية والانجليزية، لغات البلاد الرسمية وفتحت باب الهجرة لليهود فدخل فلسطين منهم في السنوات الخمس الأولي خمسون ألفا ومعني ذلك أن عددهم تضاعف في عهد المندوب السامي الأول فأصبحوا مئة ألف واختار معظمهم الاقامة في بيت المقدس.

وفي (٢٥ حزيران ١٩٢١) عقد في القدس مؤتمر كبير رفض فيه الانتداب وطالبوا بإلغاء وعد بلفور وطالبوا باستقلال فلسطين وإقامة حكم نيابي ديمقراطي فيها على أن تتحد مع البلاد العربية الاخرى وسافر وفد منهم إلى الغرب حاملاً معه هذه القرارات ولم يترك الوفد في إنجلترا وفي سائر أنحاء أوروبا باباً إلا طرقه، ولكنه وجد الأبواب كلها موصدة.

ونجح الإنجليز واليهود في ضرب الأحزاب الفلسطينية بعضها البعض، فإنشغلت بخلافاتها الداخلية في حين راح الإنجليز يدعمون سلطتهم ويقوون استعمارهم .. كما اغتنم اليهود الفرصة، وراحوا يدعمون دعائم وطنهم القومي الذي كان هدفه ليس إمتلاك القدس وحدها .. بل سائر الأراضي الفلسطينية .. وبينما العرب يعانون من التشتت والحيرة فرضت عصبة الأمم المتحدة على فلسطين نوعاً من الحكم في (٢٤ تموز ١٩٢٢م) أسمته الإنتداب وعهدت إلى بريطانيا بإدارته نيابة عنها، على أن يبدأ هذا الإنتداب في ٢٩ايلول ١٩٢٣، وجاء في ديباجة وثيقة الانتداب..

"إن دول الحلفاء وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي على شريطة ألا يفعل شيئاً يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى " .

ومنحت المادة الأولي منه " السلطة التامة للدولة المنتدبة في التشريع والإدارة إلا حيث أقيمت لهما حدود في نصوص صك الانتداب هذا" .. وقد نصت المادة الثانية من الصك نفسه على أن "تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي وترقية أنظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان" .

عندئـذ أيقـن الفلسـطينيون أن انجلـترا صـديقة العـرب خـانتهم، وأن الاستقلال الذي كانوا ينشدونه والذي لولاه ما خرجوا على الترك ولا انضموا لثورة الحسين قد أصبح حلما يصعب تحقيقه.. ومن الجدير بالذكر أن عصبة الأمم لم توافق على الإنتداب البريطاني في فلسطين إلا بعد تحفظ صريح على وعد بلفور، يقضي بإستبعاد إنشاء دولة يهودية في فلسطين وقد قدم مجلس إدارة المنظمة الصهيونية إقراراً بذلك، فقدمته بريطانيا بدورها إلى عصبة الأمم .

وجاء حاكم آخر هو "مارشال بلومر" عام ١٩٢٥ فأدار الأرض المحتلة بنظام عسكري صارم .. وأكثر من عدد الموظفين الإنجليز وفي عام ١٩٢٥ حدث زلزال عنيف بالقدس قتل الكثير من سكانها وهدم أجزاء منها .. في ١٥ أغسطس قامت عدة اضطرابات عرفت باسم (ثورة البراق) عندما حاول بعض اليهود وضع بعض الكراسي والمصابيح والستائر في ساحة الحرم الشريف بالقرب من حائط المبكي متجاهلين بذلك العرف السائد من عدة قرون وجرح في هذه الاضطرابات عدد كبير من اليهود والعرب .. وتدخلت الحكومة .. وهدأت القضية لكن ما لبثت أن إشتعلت في عهد حاكم القدس السير جون تشانسلر فعقد المسلمون مؤتمراً اسلاميا في تلك السنة بالقدس، احتجوا فيه على تصرفات اليهود فأرسل وزير المستعمرات البريطاني لجنة إلى القدس (لجنة البراق) وبعد تحقيق في الأوضاع دام أكثر من شهر بذلت فيه اللجنة جهداً كبيراً في سبيل تحري الحقائق والإستماع إلى وجهتي النظر العربية واليهودية والاطلاع على المخطوطات العربية القديمة وضعت اللجنة تقريرا عام ١٩٢٨ يقرر بكل صراحة ضرورة الإحتفاظ بالوضع الراهن للقدس على أساس .

- أن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط العربي للمسجد الاقصى (المبكي)، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لأنيؤلف جزءاً هاماً من هذا المسجد.
-للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام حارة المغاربة لكونه موقوفاً حسب الشرع الاسلامي لجهات البر .
- أدوات العبادة التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لايجوز بأي حال من الأحوال أن تعتبر - أو أن يكون من شأنها ترتيب حق عيني في الحائط أو الرصيف المجاور له .

وهذا القرار الدولي له أهمية كبري كوثيقة دامغة لإبراز عروبة القدس وفي إثبات ملكية العرب لهذا المكان المقدس .. ولم يرض اليهود بالطبع هذا القرار .. بل راحوا يتحدونه علنا .. كما تحدوا العرب أيضا فنشط اليهود في شراء الأراضي الفلسطينية وزادت الهجرات اليهودية لفلسطين بحجة وجود أعمال تجارية بها ومنح اليهود حقوقاً ليست لهم، وقامت في القدس ونابلس ويافا والخليل وسائر أنحاء فلسطين (شهر آب ١٩٢٩) ثورة عارمة ضد الحكومة وضد الوطن القومي لليهود، فحدثت مصادمات عنيفة قتل فيها عدد من اليهود وبالمقابل عدد كبير من العرب المسلمين والمسيحيين ودمرت ستة مستعمرات يهودية تدميراً كاملا .. إلا أن المحكمة أدانت العرب وصدرت بخصوصهم أحكام بالإعدام والسجن المؤبد فأرسلت عُصبة الأمم المتحدة (عام ١٩٣٠) لجنة دولية برئاسة السير وولترشو وحضر معها ثلاثة أعضاء يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة .. ونزلوا بالقدس ودرسوا المشكلة من مختلف جوانبها والتي أدت لتفاقم الأمور وأصدرت اللجنة قرارها في (آذار ١٩٣٠) برقم (CMD ٣٥٣٠) نذكر بعض نقاط منه :

١ – الفتنة نتيجة حتمية لمخاوف العرب ومخاوفهم ناجمة عن إعتقادهم بأن السياسة المتبعة بشأن الهجرة والأراضي ستؤدي حتما إلى إخضاع العرب التام، وإخراجهم من بلادهم كما أنها ستحرمهم يوماً من وسائل معيشتهم .

٢ –إن هذا الخوف وذاك الاعتقاد سيكونان سبباً في إضطرابات اخرى لابد أن تقع في المستقبل .

٣ – إن الأزمة التي وقعت في سنتي ١٩٢٧ – ١٩٢٨ نشأت في الواقع بسبب قدوم عدد من المهاجرين إلى البلاد أكثر مما تستطيع أن تستوعبه وهذا ما قاله السرجون كامبل أحد الخبراء في مسائل الإستعمار الذين عينتهم لجنة الأبحاث العامة المشتركة تلك اللجنة التي ألفتها الجمعية الصهيونية بالاشتراك مع الزعماء اليهود غير الصهيونيين في أمريكا سنة ١٩٢٧ .

٤ – إذا أجيب اليهود إلى طلبهم وسمح لهم بإدخال ٢٥,٠٠٠مهاجر في السنة، فانهم يصبحون أكثرية في سنة ١٩٤٨ .

٥ – يتوق اليهود إلى ايجاد دولة يهودية في فلسطين، سواء في ذلك المتطرفون والمعتدلون وإن اختلفوا في الطريق التي يجب السير عليها توصلاً لهذه الغاية .

٦ – يجب أن تكون الهجرة إلى فلسطين متناسبة مع مقدرة البلاد الإقتصادية بحيث لايصبح المهاجرون عبئاً على أهالي فلسطين ويجب أن يؤخذ رأي الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة .

٧ – إن التدابير التي إتخذتها حكومة فلسطين لحماية حقوق المزارعين العرب ومنها قوانين إنتقال الأراضي في ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ لم تأت بالغاية المتوخاة فقد بقي عدد كبير من المزارعين بسبب انتقال مساحات واسعة من

الأراضي العربية إلى أيدٍ يهودية بلا أرض يعيشون منها وفي هذا ما فيه من دليل على تقصير حكومة فلسطين .

٨ - منحت بريطانيا العراق والأردن الحكم الذاتي وحرمت فلسطين من هذا الحق بسبب وعد بلفور وهذا ما جعل العرب يعتقدون أن وجود اليهود بفلسطين حجر عثرة في سبيل تحقيق أمانيهم القومية، وهم يعتقدون اعتقاداً جازما أن الوعد الذي قطعه مكماهون بالاستقلال يشمل فلسطين .

٩ - وقصاري القول أن الشعب العربي في فلسطين يطالب بحكومة نيابية وهو متحد في طلبه هذا وأن شعور الاستياء الذي يسوده ناشئ عن حرمانه من حق الحكم الذاتي وأن هذا الشعور ساعد على وقوع الاضطرابات الأخيرة، اذ يجب على الحكومة ألا تتجاهل ذلك عندما تبحث في التدابير الواجب إتخاذها لإجتناب وقوع مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

هذا هو ملخص التقرير الذي رفعته لجنة شو إلى الحكومة البريطانية وبناء على توصية هذه اللجنة هبط القدس بعد قليل (آيار ١٩٣٠) السيرجوم هوب سمبسون بوصفه خبيراً في مشاكل الأراضي.

وبعد أن درس الوضع درساً دقيقاً رفع إلى حكومته تقريراً جاء فيه :

١ - إن الأراضي التي بيد العرب لاتكفي لسد حاجاتهم .

٢ - إن الأسرة العربية الواحدة في فلسطين تحتاج إلى ١٣٠ دونما من الأرض لتتمكن من القيام بأودها وهي لا تملك الآن سوى ٩٠ دونما .

٣ - إن الأراضي التي بيد اليهود تزيد عن حاجتهم .

٤ – إن الأرض التي يشتريها اليهود من العرب تبقي بأيديهم إلى الأبد فلا يبيعونها ولا يؤجرونها إلا إلى إلى هود، وعندما تؤجر إلى يهودي يشترط عليه ألا يستخدم أي عربي فيها .

٥ – يدخل البلاد سنويا بالإضافة إلى المهاجرين الشرعيين عدد كبير من المهاجرين بطريق التهريب وهذا يزيد مشكلة الأراضي سوءاً .

ووصل التقريران إلى الحكومة البريطانية فأصدرت بيانا أسمته (الكتاب الأبيض) في (٢٤ تشرين الأول ١٩٣٠) جاء فيه :

١ – المقصود من (الوطن القومي اليهودي) في فلسطين زيادة رقي الطائفة اليهودية وليس معناه فرض الجنسية اليهودية على فلسطين إجمالا .

٢ – من العبث أن يلح زعماء اليهود على حكومة جلالته كي تسير في سياستها فيما يتعلق بالمهاجرة والأراضي حسب أماني المتطرفين من الصهيونيين فإنها إذا ما فعلت ذلك تكون قد أخلت بواجبها إزاء غير اليهود من أهالي فلسطين .

٣ – لايمكن السماح بهجرة يهودية تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية .

٤ – إن للوكالة اليهودية بموجب المادة " ٤ " من صك الانتداب حق النصح والمعونة وليس لها حق الاشتراك في حكم البلاد .

٥ – يجب في الوقت نفسه إيجاد الوسائل التي تصون مصالح السكان غير اليهود صيانة تامة وأن يتاح لهؤلاء السكان أيضاً الفرصة لتقديم المشورة لحكومة فلسطين فيما يتعلق بتلك المصالح .

٦ – إن الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن الفريقين متساوية .

٧ – إن حكومة جلالته تري أن الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين نوعاً من الحكم الذاتي وبناء على ذلك فهى تنوي أن تشكل مجلساً تشريعياً يتمكن العرب فيه من وضع آرائهم الإجتماعية والاقتصادية أمام الحكومة بوسائل دستورية .

٨ – ليس في فلسطين في الوقت الحاضر أية أرض ميسورة لإستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ومساحة الأراضي المحلولة التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها .

٩ – إن السياسة التي تتبعها الوكالة اليهودية فيما يتعلق بشراء الأراضي واستغلالها وتأجيرها لا تتفق مع التصريح الذي أدلي به المؤتمر الصهيوني في سنة ١٢٩١ بأن الشعب اليهودي يرغب في أن يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة وإحترام متبادلين .

١٠ – دخل البلاد كثير من الأشخاص دون أن يحصلوا على التأشيرة (الفيزا) اللازمة لدخولهم، كما دخلها وبقي فيها كثيرون ممن سمح لهم بالاقامة المؤقته فقط ذلك لأن الحكومة لاتراقب الحدود ومرافق البلاد مراقبة فعالة .

١١ – يتحتم على الدولة المنتدبة إما أن تخفض المهاجرة أو أن تمنعها في الحالات الضرورية ذلك لأن المهاجرة غير المحددة تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الأشغال الضرورية لمعيشتهم .

١٢ – ليس ثمة أمل في تحسن العلاقات المتبادلة بين الشعبين، ولا في تحقيق الوطن القومي اليهودي إلا إذا توطدت الطمأنينة والرفاهية وبذلك يسود الرخاء والسلام في فلسطين .

إن ما جاء في الكتاب الأبيض يحصن الحركة الصهيونية .. وترتب عليه فور نشره قلة عدد المهاجرين اليهود .. بل خرج عدد كبير منهم مهاجرين إلى الخارج في حين نشطت الحركة الوطنية الفلسطينية المطالبة بالحكم الذاتي .

لكن الحكومة البريطانية بجرة قلم – على حد التعبير الدارج – محت ما جاء في الكتاب الأبيض "إذ أصدر رئيسها المستر رمزي مكدونالد بياناً في ١٣ شباط ١٩٣١" نصه يلغي القرارات السابقة .

لكن لم يتوان الشعب العربي الفلسطيني بجهد ولا تضحيات في سبيل إلغاء الانتداب ومقاومة الخطر الصهيوني طيلة عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٧ – ١٩٤٧) وتعددت سبل المقاومة العربية من إضراب إلى عمليات فدائية وثورة علنية .. وراح رجال الدين الاسلامي والمسيحي يعظون الناس في المساجد والكنائس لمقاومة المحتل الغاصب وكان اليهود لايستطيعون التنقل أو السير من مكان إلى آخر إلا في سيارات مصفحة . لكن السلطة الانجليزية كانت طوال الاعوام متحيزة لليهود مؤيدة لهم في مشروعاتهم ووطنهم القومي.

وقد ظلت القدس القديمة والأجزاء الشرقية من القدس الحديثة في يد الإدارة العربية الأردنية حتى سنة ١٩٦٧ وقد ازدهرت المدينة في عهدها جدا، وتقسم القدس إلى ثلاثة قطاعات : القطاع الشرقي (وهو القطاع المحتل الآن) ويتألف من جزئين أولهما المدينة القديمة داخل السور وبها بيوت العبادة المسيحية والاسلامية أما الجزء الثاني من القدس العربية فهو صغير ونظيف ومرتب ومعظمه مناطق سكنية ويضم منطقة جبل الزيتون وتقام عليه البنوك والفنادق الحديثه والكاتدرائية الإنجيلية ومقر محافظة القدس العربية الذي أصبح مؤقتاً مقراً للقيادة

العسكرية اليهودية بعد عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ وكل سكانه من العرب) .

أما القطاع الغربي من القدس الحديثة خارج الأسوار فقد سقط تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨ (ويسمي بالقدس الجديدة) وهذه المنطقة بدأ التوسع فيها لإقامة مدينة جديدة منذ سنة ١٨٥٨فأقيمت فيها تباعا أديرة للروم الكاثوليك والأرثوذكس وكان أهم مبانيها في أواخر القرن الماضي تلك الخاصة بالرهبان الروس وكان بعض اليهود قد هاجروا إلى هذه المنطقة، ولكن حيهم تهدم أثناء حرب سنة ١٩٤٨م وقد إمتدت الأحياء السكنية شمال الأسوار، فأقيمت المساكن في حي الطالبية وفي طريق جبل سكوبس العربي الذي حاولت إسرائيل السيطرة عليه بعد أن اعتدت على منطقة جبل المكبر بجنوب القدس سنة ١٩٥٧ وكانت منطقة منزوعة السلاح وواقعة تحت إشراف الأمم المتحدة طبقا لإتفاقية الهدنة، وفي ٢٣ يناير سنة ١٥٠ قررت إسرائيل إعتبار القطاع المحتل من القدس الجديدة عاصمة لها بدلاً من تل أبيب وظلت تنقل إليها مكاتب حكومتها تدريجيا حتى سنة ١٩٦٧ وطالبت السفارات الأجنبية بنقل مقارها إلى العاصمة الجديدة ولكن أكثرها رفض لعدم الموافقة على أن هذا يرجع للأصل الصهيوني، وفي عهد الإحتلال شيد اليهود في القدس الجديدة الكثير من المباني الحديثة العالية وشقوا الطرق الواسعة المرصوفة وأقاموا فيها حتى الآن نحو مائة مصنع تضم صناعات الأدوية والأحذية والزجاج والأقلام والنسيج والأخشاب والمواد الغذائية المعلبة وصناعات اخرى كالسباكة والطباعة ودبغ الجلود وغيرها .. وبلغ سكانها من اليهود ١٤٩,٠٠٠ عام ١٩٥٨ .

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ اعتدي اليهود بالقنابل على الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية وفيمايلي نص الوثيقة التاريخية التي أصدرتها لجنة ممثلي اتحاد الطوائف المسيحية في القدس سنة ١٩٤٨ بهذا الشأن : "لقد اشتعلت الحرب في مدينة القدس وما كنا لنتوقعها وذلك لأن مجلس الأمن وهيئة الأمم ولجنة هدنة القدس كانوا قد وعدونا بهدنة تحمي هذه المدينة وأماكنها المقدسة من ويلات الحرب وما يلحقها من خراب ودمار إذ أن الطرفين المتحاربين وقعا أمام لجنة الهدنة المذكورة وأمام ممثلي الصليب الأحمر على تعهد بوقف إطلاق النار لمدة ثمانية أيام اعتباراً من الساعة التاسعة من مساء ١٤/ ٥ / ١٩٤٨ وأعلنت القيادة ذلك بواسطة مكبرات الصوت فساد الهدوء في الجبهات العربية تنفيذا لهذا الإتفاق ولكن اليهود لم يكترثوا لهذا الاتفاق الذي وقعه زعماؤهم وتابعوا إطلاق النار والعرب لايجيبون مما جرأ اليهود على التقدم لاقتحام الخطوط العربية الأمامية ومهاجمة المدينة المقدسة .

وهكذا أصبحت مدينة القدس مسرحا لمعارك رهيبة وتدميرات، فصارت الكنائس والأديرة والمؤسسات اللينية هدفاً لنيران المدافع وطلقات الرصاص فتهدم بعض هذه المباني وأصيب الكثير من النساء والأطفال والشيوخ والرهبان بشظايا القنابل التي كانت تطلق بغير هدف فأمام هذه الحوادث المروعة رأينا نحن ممثلو الطوائف المسيحية أن من واجبنا المقدس أن نرفع الصوت عاليا بالاحتجاج على انتهاك حرمات كنائسنا وأديرتنا ومؤسساتنا التي تهدم بعضها وصار البعض الآخر طعمة للنار" .

وعدد البيان المسيحي أماكن الأديرة والمؤسسات الدينية التي احتلها اليهود وإتخذوها معاقلا يطلقون منها النار على القدس دون مراعاة لأي حرمة مقدسة وأكد البيان على أن :

أ – اليهود هم الذين بدأوا واحتلوا الأماكن المقدسة واتخذوها قواعد حربية .. يطلقون منها النار على المدينة المقدسة .. محاولين إحتلالها والإستيلاء عليها ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا يحتلون هذه الأماكن .

ب –إثباتاً للحقيقة نقول لقد صرح العرب أنهم يحترمون الأماكن المقدسة والكنائس والأديرة .. وبالفعل احترموها إلى الآن فنوجه نداءنا إلى الهيئات الدينية والسلطات السياسية وإلى الضمير الانساني في العالم المتمدين لكي يضع حدا لهذه الفضائح في المدينة المقدسة ..صوناً لأماكنها المقدسة التاريخية .

وقد انتهت هذه الوثيقة بتوقيعات كل من ممثل بطريركية اللاتين .. وبقية ممثلي الكاثوليك والروم الأرثوذكس والأقباط والسريان الأرثوذكس .

الاستيطان الصهيوني

عملت الدوائر الاستعمارية الدولية على تعميق وتشجيع الاستيطان اليهودي بفلسطين .. ولكن الاستجابة اليهودية الأولية لمشاريع الاستيطان اقتصرت على الطبقة البرجوازية من اليهود ذات المصلحة المشتركة مع الجماعات الأوروبية الحاكمة، فإستغلتا معا رغبة يهود شرق أوروبا في الهجرة منها في "النصف الثاني" من القرن ١٩، حيث قامت في بعض الدول الأوروبية وروسيا جمعيات تتخذ من الهجرة إلى فلسطين تجسيدا وشعاراً لحب صهيون ولإعلاء

كلمة اليهودية في العالم .. على أسس استهدفت تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود ولن يتحقق هذا إلا بإمتلاك اليهود للأراضي والتوسع في إنشاء المستوطنات عليها وإحياء اللغة والثقافة العبرية فيها .. وقد نظم المستوطنون أنفسهم داخل المستوطنات كمجتمع مستقل له كافة منشآته وخدماته وينظمون حياتهم على نمط أوروبي لكنهم يظهرون ميولاً عنصرية ومطامع توسعية طموحة .. بعض الباحثين المتخصصين في التاريخ الحديث قسموا حركة الاستيطان الصهيوني إلى ثلاث مراحل هى :

١ – **الاستيطان غير المنظم** : وهذه المرحلة بدأت منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر .. وكانت صلة اليهود بفلسطين قبل هذه المرحلة صلة دينية عاطفية تقوم على فكرة ظهور المسيح المنتظر الذي سيعيد بناء الهيكل في القدس .. لكن البرجوازية اليهودية في غرب أوروبا وجدت في إستيطان فلسطين وسيلة للتخلص من عبء فقراء اليهودالذين وفدوا من شرق أوروبا بأعداد متزايدة خوفاً من أن تؤثر هجرة اليهود الفقراء على الحقوق والإمتيازات، التي تتمتع بها البرجوازية اليهودية في مجتمعات أوروبا الغربية.. وفي أعقاب الثورات التي نشبت في الأقطار الأوروبية عام ١٨٤٨ إستخدمت البرجوازية اليهودية الفكرة القومية العنصرية في دعوتها لاستيطان فلسطين .. وتميزت هذه المرحلة من مراحل بواكير الاستيطان بتضافر المبادرات والجهود الفردية وإتخاذها شكلا خيريا لتحسين أوضاع اليهود في القدس .. ومن أبرز مشاريع الاستيطان غير المنظم :

(أ) **مشروع مونتفيوري** : فقد قام السير موسى مونتفيوري عام (١٧٨٤ – ١٨٨٥) بدعم من الحكومة البريطانية بوضع مشروع واسع لتوطين اليهود في

فلسطين، فأطلع محمد على باشا - حاكم مصر - وولده إبراهيم عام (١٨٣٧) على مشروعه الذي يتضمن الحصول على إمتياز استئجار نحو (٢٠٠) قرية من منطقة الجليل لمدة خمسين عاما في مقابل دفع ٢٠% من إنتاجها، والسماح بإرسال خبراء لتدريب اليهود على أعمال الزراعة والصناعة .. ولكن الحكم المصري في بلاد الشام منع اليهود من شراء الأراضي الزراعية في فلسطين بقصد تملكها.

(ب) مشروع لورنس أوليفانت : دعا لورنس أوليفانت (١٨٢٩ - ١٨٨٨) الحكومة البريطانية والدولة العثمانية عام ١٨٧٩ إلى دعم مشروعه بإسكان المهاجرين اليهود في ضواحي القدس للمساهمة في إعمارها ولتمكين الدولة العثمانية من الاستفادة من الثروات والخبرات اليهودية التي ستحول الأرض القاحلة إلى أرض عامرة تكون وسيلة لإعمار ما حولها وبذلك تبرهن الدولة العثمانية على نيتها الصادقة في الإصلاح، ولذلك طلب السماح لجماعة من اليهود العثمانيين لإنشاء شركة عثمانية خالصة تقوم بإعمار لواء القدس وتطوير الصناعة والتجارة والزراعة فيه .

وعندما زار أوليفانت رومانيا عام ١٨٧٩ حث السكان اليهود فيها على تأييد مشروعه الإستيطاني، ثم توجه إلى استانبول مزوداً برسائل توصية من رئيس الحكومة البريطانية ومن وزيري خارجية بريطانيا وفرنسا لإقناع السلطات بإنشاء شركة لتوطين اليهود في فلسطين تتمتع بحماية السلطان العثماني والحكومة البريطانية "لأن الأمة التي تقف إلى جانب اليهود وتدعم مسألة عودتهم إلى

فلسطين ستكسب دعمهم في المجالات المالية وتأييدهم على الصعيد الإعلامي في مختلف بلدان العالم .

وخلاصة مشروع أوليفانت كما وصفه في كتابه أرض جلعاد The Land of Gilead عام ١٨٨٠ تتضمن فصل البلقاء عن لواء نابلس ليستطيع رعايا السلطان اليهود إستغلال أراضي البلقاء (في شرق الأردن) بالأموال والخبرات التي سيحضرونها معهم، وستبيع الدولة العثمانية الأراضي الأميرية بثمنها وستحصل الضرائب السنوية وستبعد البدو عن المنطقة وتفرض نفوذها المباشر على المناطق الصحراوية المجاورة ولكن أوليفانت أخفق في الحصول على موافقة السلطان عبد الحميد على مشروعه .

(ج) وليم هشلر (١٨٤٥ – ١٩٣١) : اهتم هشلر المؤيد لمشاريع الإستيطان اليهودي في فلسطين بجمع التبرعات المادية وإرسالها إلى جمعيات "أحباء صهيون" لتشجيع اليهود على الإستيطان في فلسطين تحت الحماية البريطانية وفي عام ١٨٨٤ نشر دراسة بعنوان إرجاع اليهود إلى فلسطين حسبما ورد في أسفار الأنبياء، إستعرض فيها الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية السيئة ليهود روسيا ورومانيا ودعاهم إلى الهجرة إلى فلسطين والإستيطان فيها .

وإلي جانب الجهود الفردية السابقة وجدت في أوروبا جمعيات يهودية مثل "الإتحاد الإسرائيلي العالمي" (الإليانس) الذي تأسس عام ١٨٦٠ في باريس وهو منظمة يهودية عالمية لحماية أحوال اليهود وتحسينها في كل مكان ثم إنحصر هدفه في مساعدة اليهود في فلسطين والعمل على زيادة عددهم فيها بكل وسيلة

ممكنة وقام آل روتشيلد في فرنسا بدور مهم في توجيه سياسة الإتحاد نحو المصالح الاستعمارية الفرنسية .

وكان النائب اليهودي في البرلمان الفرنسي أدولف كريميه قد حصل على فرمان من السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٨ بالسماح للإليانس باستئجار ٢٦٠٠ دونم بالقرب من يافا لمدة ٩٩ عاما، وفي عام ١٨٧٠ أقام الإليانس عليها أول مدرسة زراعية سميت "مكفا إسرائيل" وتعني بالعربية "أمل إسرائيل"، بتمويل من البارون أدموند دي روتشيلد والبارون موريس دي هيرش. وساهمت المدرسة في تدريب المهاجرين اليهود على الزراعة، وأقام الاليانس عدة فروع له في أوروبا الغربية. وفي عام ١٨٧١ استقل فرع لندن مكوناً "الإتحاد اليهودي الانكليزي" .

وفي عام ١٨٧٨ قامت مجموعة من يهود القدس بشراء ٣٣٧٥ دونما من أراضي قرية ملبس التي يمتلكها أحد تجار يافا، وتم تسجيل الأرض، وباسم يوئيل سلومون النمساوي الجنسية وفي العام التالي (١٨٧٩) وضع اليهود أيديهم بالطريقة نفسها على منطقة مجاورة بلغت مساحتها عشرة آلاف دونم حيث أقام اليهود على هاتين القطعتين مستوطنة بتاح تكفا وتعني بالعربية "باب الأمل" .. كما تأسست جمعيات ومنظمات اخرى في سائر مدن أوروبا الشرقية وقد تنافست هذه الجمعيات على تأسيس فروع لها بهدف جمع الأموال لمساعدة اليهود على الإستيطان في فلسطين وتأسيس المستوطنات والمدارس الزراعية والصناعية فيها لاسيما بعد أن سجلت الهجرة اليهودية في عام ١٨٨١- بداية جديدة وحاسمة في أوساط طلاب الجامعات اليهود في أوروبا الشرقية فعملت جمعيات أحباء صهيون على تنظيم الهجرة إلى فلسطين وتنشيطها على أساس

قومي ووصل فلسطين في البداية حوالي ثلاثة آلاف يهودي كان من بينهم عدد من الشباب الجامعي الذين إنتظموا في حركة بيلو Bilu التي تأسست عام ١٨٨٢، وهى الأحرف الأولي لجملة في التوراة تقول : "يابيت يعقوب تعال ودعنا نسير" .

وكان من أهم نتائج حركة "أحباء صهيون" الشروع في إنشاء مستوطنات صهيونية وصل عددها إلى ثماني مستوطنات خلال الفترة ١٨٨٢ – ١٨٨٤،

وقاوم عرب فلسطين منذ البداية الغزو الصهيوني ففي عام ١٨٨٦ هاجم الفلاحون العرب المستوطنات الصهيونية التي أقيمت في أراضيهم التي طردوا منها فأدي ذلك إلى فرض قيود جديدة على هجرة المستوطنين اليهود عام ١٨٨٧ .

وكان متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٧ - ١٨٨٩) قد بذل جهودا كبيرة لمنع انتقال الأراضي في متصرفية القدس ولكن خلفه رشاد باشا (١٨٨٩ - ١٨٩٠)، ولم يتشدد مثله، مما أدي إلى اندفاع اليهود إلى شراء الأراضي ولذلك قدم وجهاء القدس العرب شكوي إلى السلطات العثمانية في إستانبول في ٢٤تموز/ يوليو ١٨٩١ ضد هجرة اليهود الآخذه في الإزدياد فصدرت أوامر الآستانه في تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٢ إلى متصرف القدس تقضي بمنع بيع الأراضي الأميرية وحظر شراء العقارات في لواء القدس من قبل اليهود .

٢ – الاستيطان المنظم : قد بدأت هذه المرحلة منذ عام ١٩٠٠ حيث أن البارون إدموند دي روتشيلد تخلي عن إدارة المستوطنات التي أسهم في تمويلها وتنازل عنها إلى "جمعية الاستيطان اليهودي " التي أخذت على عاتقها مهمة توسيع أراضي المستوطنات وتنظيم إدارتها وتزويدها بالمرافق والخدمات الرئيسية ..

وقدمت لها بريطانيا الحماية اللازمة لتطوير المستوطنات .. أما إدارة المستوطنات فقد إتخذت أشكالا متنوعة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

(أ) **مستوطنات ذات صفه قومية** .. وهى التي يعمل فيها اليهود بأجر وتملكها الحركة الصهيونية التي تشرف عليها وتعطي للعامل أجره وتوفر له مسكنا والخدمات المعيشية التي تلزمه .

(ب) مزارع تعاونية .. ويتقاضي فيها العمال أجورهم حسب الإنتاج .. بالإضافة إلى توزيع جزء من الأرباح السنوية عليهم وغالبا الذين يعملون فيها هم من الشباب الذين في مقتبل العمر .

(جـ) قري تعاونية .. وهى تطوير لفكرة المزارع التعاونية حيث يستوطن العمال المتزوجون في مناطق مجاورة لمناطق عملهم في المستوطنات القائمة، حيث الارتباط الدائم بين الحياة المعيشية والأرض .

وتوجد مؤسسات وأجهزة لتنظيم عملية الإستيطان وأهم هذه الأجهزة :

- الوكالة اليهودية (تأسست في بال ١٨٩٧) .
- الصندوق القومي اليهودي (تأسس في لندن ١٩٠٤) .
- الصندوق التأسيسي اليهودي (أسس في لندن ١٩٢٠) .
- الشركة الإنجليزية الفلسطينية (تأسست في لندن ١٩٠٢) .

٣ – تأسيس الوطن القومي اليهودي في ظل الانتداب البريطاني : وهذه المرحلة بدأت من عام (١٩٢٢) حتى عام (١٩٤٨) فقد بلغ عدد المستوطنات اليهودية قبيل صدور وعد بلفور (نوفمبر ١٩١٧) نحو ٤١ مستوطنة يسكنها نحو ٦٥,٠٠٠ نسمة يملكون ٢,٥% من أراضي فلسطين .. بينما بلغ عدد

السكان العرب نحو ٧٠٠,٠٠٠نسمة لقد سمحت حكومة الانتداب البريطاني باقامة مركز للوكالة اليهودية في القدس، التي كان من أهدافها الرئيسية حيازة الأرض كملكية عامة وأبدية للشعب اليهودي والإشراف على توظيف العمال اليهود والنهوض بالاستيطان الزراعي ولذلك أدت سياستها في تشجيع الهجرة والاستيطان إلى ازدياد مخاوف العرب من سيطرة اليهود على فلسطين بعد استقرارهم فيها ولاسيما بعد أن أخذ اليهود بعد عام ١٩٣٠ يكثرون من تهريب السلاح وتسليح المستوطنات وإنشاء منظمات للحراسة وأكد بن غوريون مسئول الدفاع في الوكالة اليهودية وعضو اللجنة التنفيذية فيها في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر ١٩٣٥ على :

إن إنجازات اليهود في أرض إسرائيل مرتبطة بصفة رئيسية بالأرض وكان مخططه يقضي بتهجير ثلاثة ملايين يهودي إلى فلسطين حتى تكتمل القاعدة البشرية للوطن القومي اليهودي ، على أن يتم توطين مليون يهودي حتى عام ١٩٣٥.

وعملت الوكالة اليهودية على تأسيس تنظيمات حكومية للمناطق اليهودية، فصارت لها مدارس ومجالس ونقابات وهيئات متنوعة خاصة بها، وبذلك أصبحت الوكالة حكومة داخل حكومة الانتداب البريطاني ورفعت الوكالة أيضاً شعار " العمل العبري " بطرد العمال العرب من المشاريع اليهودية وإحلال العمال اليهود مكانهم بهدف خلق طبقة عاملة يهودية في وقت انتشرت فيه البطالة بين العرب الذين طردوا من الأراضي التي انتقلت ملكيتها إلى اليهود .. وتجدر الإشارة إلى أن الاحصائيات تشير إلى أن مجموع مساحة الأراضي الزراعية التي إنتقلت إلى حوزة اليهود بلغت ١,١٧٦,٧٤٥دونماً حتى عام

١٩٤٨ منها ٤٦١,٢٥٠ دونما باعها مالكوها العرب غير الفلسطينيين .. أما ما باعه فلاحو فلسطين فكان جزءاً صغيراً ولأسباب قاهرة منها : الظروف الإقتصادية الصعبة والزيادة الحادة في الضرائب المفروضة على الأراضي والانتاج الزراعي ورفع سعر البذار والسماد وخفض أسعار المنتجات الزراعية وصعوبة تسويقها .

تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧

كان من نتائج نكسة العرب في حزيران (يونيو ١٩٦٧) احتلال إسرائيل للضفة الغربية لنهر الأردن بما فيها القدس العربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان .. وبعد ثلاثة أسابيع فقط من هذا الاحتلال أصدر الكنيست الإسرائيلي قراراً بضم القدس العربية وتوحيد شطريها وجعلها عاصمة لإسرائيل، وتبع ذلك بعد يومين فقط اتخاذ أول اجراءات لإذابة الكيان العربي للمدينة بحل التنظيمات العربية فيها، وحل المجلس البلدي العربي وتأليف مجلس يهودي، واتخذت عدة اجراءات إقتصادية لصالح إسرائيل، مثل إقامة مراكز جمركية على الطرق التي تصل المدينة المقدسة ببقية مدن الضفة الغربية الأردنية المحتلة، بينما تركت الطرق الاخرى المتصلة بمدن اسرائيل بلا حواجز تمر عليها السلع الاسرائيلية بلا رسوم جمركية وسحبت العملة الأردنية من المدينة واستبدلت بالليرة الاسرائيلية .

وعملت إسرائيل على إرغام السكان العرب على دفع ضرائب دفاع لصالح المحتل وسادت إجراءات نازية للبطش بالسكان العرب لكي يهاجروا من القدس ومنها إحتلال منازل العرب بالقوة بعد طرد السكان منها وإحلال يهود محلهم

وهدموا في السنة الأولي على العدوان ١٣٠منزلاً تأوي٦٥٠ عربياً وكان نتيجة الإرهاب الشديد على المدنيين العزل أن عبر ١٥٠,٠٠٠ منهم نهر الأردن وتبقي ٧٠,٠٠٠ آخرون، تحت هذه الظروف الصعبة وطبق العدو قانون أملاك الغائبين، الذي ينص على استيلاء الحكومة الإسرائيلية على جميع أملاك العرب الذين يتغيبون، منهم أولئك الذين كانوا خارجها أثناء العدوان سنة ١٩٦٧، فتم بناء على ذلك الاستيلاء على ٥٩٥منزلاً جملة مساحتها ١١٦ دونماً مربعاً (الدونم ١٠٠٠ متر) داخل أسوار القدس القديمة وتوالت هذه العملية، خاصة في حي المغاربة القريب من المسجد الاقصى ونتيجة لهذه الأعمال :

١ – أصبحت إسرائيل تملك داخل أسوار المدينة – بدون وجه حق – ما يقرب من خمس الأراضي الملاصقة للحرم الشريف والمسجد الأموي .

٢ – إستولت على ثلث الأراضي خارج أسوار المدينة وكلها ملك للعرب خصوصاً في المنطقة التي تحيط بالقدس، وتعزلها عن باقي أراضي الضفة الغربية.

٣ – إختارت السلطات الإسرائيلية مساحة كبيرة من الأراضي في شمال المدينة (نحو ٦٠٠ دونم) لإقامة أول حي يهودي جديد عليها على أساس بناء ٢٥٠٠ وحدة سكنية لإستيعاب ٣٠,٠٠٠ يهودي وعندما يكتمل المشروع سيفصل القدس من الغرب إلى الشمال الشرقي عن بقية الأراضي وهو جزء من مشروع تتولاه هيئة برئاسة "يهوذا تامير" لإسكان ١٠,٠٠٠ إسرائيلي آخر داخل القدس القديمة الأردنية كما قامت حكومة الاحتلال بضم جميع مدارس القدس بالذات إلى وزارة التعليم الإسرائيلي وأستبدل معلموها العرب بإسرائيليين، وغيروا المناهج بما يتمشى مع سياستهم الاستعمارية، فأرغموا التلاميذ العرب على دراسة اللغة العبرية والتوراة .

وقد أقر الكنيست الإسرائيلي "قانون التنظيمات الإدارية والقانونية في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٨ وصدر بالجريدة الرسمية العبرية، وهو يضم ٢٢ مادة ملخصها أن تقوم كل شركة وكل جمعية تعاونية بالقدس العربية وجميع أصحاب المهن والحرفيين العرب بتسجيل أنفسهم طبقا لقواعد القوانين العمالية الإسرائيلية قبل ٢٢ فبراير سنة ٦٩، على أن يشمل التسجيل العلامات التجارية والاختراعات، ونصت المادة ١٨ من هذا القانون الإسرائيلي على أن كل شخص يريد القيام بأي بناء أن يطلب رسميا الترخيص له بذلك من السلطات الإسرائيلية المختصه ومعني ذلك هو محاولة تصفية أموال وممتلكات ٧٠,٠٠٠ عربي في القدس، وتهويد المدينة العربية تماماً، بإدماج الحياة الإقتصادية العربية.

المقدسات الدينية في القدس



فـي الحيـاة اليهوديـة، وبالتـالي إبـتلاع الإقتصـاد اليهـودي ١٨٠شركة عربية مسجلة بالقدس، رأسمالها يزيد على خمسة ملايين دينـار أردني، وقد ثارت ضـجة كبيـرة في العالم العربي وفـي أروقـة الأمـم المتحـدة فـي حينـه، ممـا أرغـم السـلطات الإسـرائيلية على تأجيـل تنفيـذه مؤقتـاً أمـام ضـغط الـرأي العـام العالمي .

ولعل أقرب وصف لحالة المدينة المقدسة هو ما ورد في المقال الذي كتبه الأمريكي جون هربرت رئيس الجمعية الأمريكية لمساعدة اللاجئين ونشره في نيويورك – مركز الثقل اليهودي في أمريكا – ويقول فيه ما ترجمته بالحرف الواحد انني دهشت كثيراً حينما عدت لزيارة هذه المدينة المقدسة في أوائل هذا العام (١٩٦٩) ولاحظت مظاهر تغيير مفجع يزحف على القدس القديمة، لتمتد معاول الهدم الإسرائيلية إلى مناطق واسعة كما تفسح الطريق أمام عدد كبير من المباني الحكومية (الإسرائيلية) الجديدة والعمارات السكنية التي تبدو كئيبة غير جذابة، وقد أعلن متحدث إسرائيلي أن القدس قد أصبحت الآن مدينة موحدة، وأنها أصبحت مفتوحة لكل من ينتمي إلى العقائد الثلاث ولكن هذا ليس صحيحا، فإن أهالي القدس قد أصبحوا الآن أكثر إنفصالا عن ذي قبل، على

الرغم من أن الأسلاك الشائكة التي كانت تفصل بين قطاعي المدينة قد أزيلت فلم يعد الوصول للأماكن المقدسة – بصفة عامة –أمراً سهلا لأكثر من ثمانية ملايين مسيحي عربي أو بالنسبة لأكثر من سبعمائة مليون مسلم، وعلي عكس ما كان الأمر عليه – أصبحت الأماكن المقدسة مغلقة في وجه أتباع الأديان الثلاثة على نحو أشد قسوة بكثير، مما كان عليه الحال خلال السنوات الممتدة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧، وأن إسرائيل لن تستطيع أبدا إدارة القدس بطريقة ترضي الأديان الثلاثة وأن سعيها إلى فرض حكمها وسيطرتها على أهالي القدس ليس خطأ من حيث المبدأ فحسب، ولكنها سوف تجد معارضة منهم ولهذا ستجد نفسها مرغمة أكثر فأكثر على اتباع أساليب أشد قسوة ووحشية، وخلال زيارتي لعمان وبيروت تحدثت إلى قرابة عشرين من الشخصيات العربية البارزة من أهالي القدس، الذين أكرهوا على مغادرة المدينة، وفي معظم الأحيان بقيت الزوجات والأطفال في القدس، للمحافظة على منازلهم وممتلكاتهم، والحيلولة دون إستيلاء السلطات الإسرائيلية عليها وتوزيعها على الأسر اليهودية، تحت زعم أنها ممتلكات مهجورة ونحن في نظرتنا إلى مشكلة القدس لاينبغي أن نتجاهل هذه الحقيقة وهى أن القدس القديمة ظلت لقرون عديدة مدينة عربية، سواء فيما يتعلق بممتلكاتها أو بأهلها، وفضلا عن ذلك فإن العرب يفخرون بأنهم نجحوا طوال هذه القرون كلها في إدارة مدينة القدس على نحو أرضي جميع الأديان بما فيها الديانة اليهودية نفسها .

ولدينا شاهد غربي آخر هو جافن يانج الذي زار القدس أخيراً ونشر مقالاً في جريدة الأوبزرفر البريطانية تحدث فيه "عن سخط العرب على معاملة

الإسرائيليين لهم"، "وأضاف بقوله " انه كانت هناك أسباب تدعو للمزيد من السخط فالقوانين اليهودية تطبق على القدس العربية بالذات دون غيرها من سائر المدن بالضفة الغربية المحتلة وإحتج المحامون العرب على نقل محكمة الاستئناف العربية من القدس إلى رام الله وإعتبروا ذلك خرقاً لقرارات مجلس الأمن، التي ترفض ضم القدس لإسرائيل وبطلان كافة الإجراءات التي إتخذها إلى هود، ويمضي الكاتب فيقول إن إسرائيل إستولت على ٨٣٦ فدانا في شمال شرقي القدس لتنفيذ مشروع الإسكان العاجل لنقل نحو ٢٥,٠٠٠ إسرائيلي للإقامة فيها، وبذلك تجعل ضم القدس – على حد تعبيره – أمرا واقعيا، كما قامت بتحويل أحدث مستشفى عربي في القدس إلى مقر لرئاسة البوليس الإسرائيلي وأقيمت مدينة جامعية لسكني طلبة الجامعة العبرية على سفح جبل أسكوبس في أرض عربية وهناك مساحات اخرى في جنوب المدينة قد أدخلت في برامج مماثلة من أجل توطين الإسرائيليين فيها، وفي داخل المدينة المسورة فإن المساكن التي يقطنها الطلبة العرب قد إنتزعت منهم أو هدمت وقد رفض أصحابها أخذ أي تعويضات عنها" .

ويختم مقاله بأن السلطات الاسرائيلية تهدف من هذا كله إلى مواجهة العالم بالأمر الواقع رغم أن العالم نفسه قد رفض هذه الإجراءات جميعها في القرارات المتكررة التي تصدرها المنظمة الدولية بخصوص عروبة القدس، وعدم مشروعية الإجراءات اليهودية فيها والتي تنتهي بقرارها الصادر في ١٩٦٩/٦/٣، وإصرار الأمم المتحدة على ضرورة الإنسحاب الكامل من الأراضي التي احتلها اليهود بعد يونيو سنة ١٩٦٧، على أساس القرار الدولي الصادر في ٢٢ نوفمبر

سنة ١٩٦٧ وهى في الواقع إدانة قوية من المجتمع الدولي، ورفض صريح لسياسة الأمر الواقع أو سياسة الاستيلاء على أراضي دول الساحل ..والقصة التي وردت في الإصحاح الخامس من صموئيل الثاني بخصوص استيلاء داود على مدينة القدس تقول : إن داود قام بالاستيلاء على مدينة القدس التي كانت محصنة :

"ذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض .. وأخذ داود حصن صهيون" وهو مدينة داود "، وعاش داود في الحصن وبني تحصينات جديدة حوله "وأرسل حيرام، ملك صور في لبنان، رسلاً إلى داود وخشب أرز ونجارين وبنائين فبنوا لداود بيتاً " .. إن المدينة التي كانت قائمة في زمن داود على شكل قلعة تحيط بها الأسوار لاتتجاوز مساحتها ٤٤ ألف متر مربع أو حوالي عشرة أفدنه تحتل الجزء الجنوبي الشرقي فقط من المدينة القديمة الحالية وهى على شكل مستطيل أكثر أجزائه إتساعا لايتجاوز عرضه مائة متر، يحده من الشرق وادي قدرون ومن الغرب وادي هنوم الذي ينحني شرقا جنوب المدينة ليلتقي مع وادي قدرون، أما الأرض المقدسة وهى المسطح الذي تقام عليه الآن قبة الصخرة والمسجد الاقصى والذي يقع على جزء أكثر إرتفاعا خلف مدينة الأزمنة القديمة فقد كان يقع خارج أسوار القدس ولم تكن عليه أبنية في ذلك الزمان وإنما كانت الصخرة التي أقيمت فوقها القبة تعتبر مذبحا لليبوسيين الذين سكنوا القدس في تلك الحقبة من الزمان .. وعين الماء التي يتحدث عنها سفر صموئيل هى عين العذراء أو عين أم الدرج الحالية والتي كانت تقع أسفل شمال شرق المدينة..كما تمكن الأثريون من العثور على البئر التي حفرها إلى بوسيون للوصول إلى نبع الماء.

وقد عثر الأثريون كذلك على أجزاء كبيرة من الأسوار واستحكامات قديمة، ولكنهم لم يجدوا ما يدل لا على أثر تحطيم أي الاستحكامات ولا لبناء استحكامات جديدة في عصر داود خلال القرن العاشر قبل الميلاد وإن كانوا قد عثروا على ما يثبت تجديد بعض الأسوار قبل ذلك بأربعة قرون .. وبينما الاسم العربي للمدينة هو " القدس" أو "بيت المقدس" نسبة إلى أماكن العبادة التي أقيمت بها فإن اليهود يسمونها "أورشاليم" أي "مدينة السلام" .

وعلي ذلك فإن القصة التي وردت في سفر صموئيل الثاني بدخول داود بني إسرائيل إلى مدينة القدس عند بداية القرن العاشر ق . م وتحويله منطقة الصخرة المقدسة إلى مركز للعبادة لبني إسرائيل ليس لها أي دليل من المصادر، وأن مذبح الصخرة في القدس – حتى قبل بناء المعبد حولها منذ مئات السنين – كان يعتبر أهم مكان للعبادة ليس فقط لكل الأقوام التي سكنت أرض كنعان وإنما كذلك للعمونيين الذين كانوا يسكنون شرقي نهر الأردن وبمجرد إعادة بناء المذبح بدأت كل هذه الأقوام – بمن فيهم اليهود – زيارة القدس للعبادة .

لهذا فعندما قرر اليهود بقيادة زروبابل إستكمال بناء الهيكل أرادت الأقوام الاخرى المشاركة في هذا العمل .. لكن الشعوب الفلسطينية منعت اليهود من إكمال المعبد .. غير أن اليهود أعادوا المحاولة في بداية حكم داريوس .. وفي هذه المرة كذلك قرر الوالي الفارسي لمنطقة عبر الفرات منعهم من الاستمرار في البناء وأرسل يستشير الملك ماذا يجب عمله وكان البلاط الملكي الفارسي يحتوي على عدد كبير من اليهود الذين نصحوا داريوس يالموافقة على قيام أهل يهودا ببناء المعبد حتى يقوموا بالدعاء له هناك فوافق داريوس على قيام

اليهود بإكمال بناء معبد القدس على أن تتحمل خزانة عبر الفرات كل التكاليف بما في ذلك تكاليف العبادة نفسها، حتى يؤكد الطبيعة العامة لهذا العمل ويلاحظ أن ملوك الفرس لم يذكروا إسم "يهوه" إله يهودا عند التحدث عن معبد القدس وإنما كانوا يسمونه "رب السماء"، وأكمل اليهود بناء المعبد في أيام داريوس الفارسي ومع ذلك-ونظراً لأن المعبد قد تم بناؤه والانفاق عليه من المال العام-فهو قد أصبح مزاراً لكل الأقوام التي تسكن في المنطقة وليس لليهود وحدهم فكانت الخطوة التالية لليهود هى محاولة بناء أسوار حول المدينة حتى يتمكنوا من منع الآخرين من دخولها، كما أنهم كانوا يهدفون إلى إعادة بناء مدينة القدس نفسها وجلب اليهود لتسكينهم فيها ولكن الأقوام الأخرى اعترضت على هذا وأرسلوا خطاب للملك..وهكذا فشلت محاولة اليهود الأولى..للاستيلاء على مدينة اليبوسيين ولكن هذا لم يمنعهم من إعادة الكرة.

وكانت المحاولة الثانية أكثر نجاحاً من الأولى حيث أنهم حاولوا التأثير على الملك الفارسى نفسه فقد اختلف الملك احشويروش مع زوجته الملكة، فتركها وتزوج من فتاة يهودية إسمها أستير، أصبحت هى الملكة الجديدة وأحبها الملك حباً كبيراً وكان راغباً في عمل ما يرضيها وكان أول ما أرضاها وعملت في تحقيقه هو طرد هامان أحشويروش- الأول- والذى كان ينصح الملك بعدم السماح لليهود بالاستيلاء على القدس وتعيين عمها مردخاى مكانه .

وأراد يهودي آخر هو نحميا خصي الملك الذي كان يعمل ساقيا له، الحصول على فرمان ملكي يصرح لليهود ببناء القدس .. وذلك بتأثير من أستير اليهودية زوجة الملك ومردخاى إلى هودى الوزير الأول للملك بأن يحصل على

فرمان من امبراطور فارس بتعيينه والياً على يهودا والسماح له ببناء مدينة القدس، وعبثا حاول سكان فلسطين منع نحميا من إكمال العمل فهو كان قد حصل على أمر امبراطوري في هذه المرة وبعد أن إستكمل نحميا بناء أسوار القدس قام ببناء بيوتها، ثم أجبر قبائل يهودا على أن ترسل كل منها نسبة ١٠% من تعدادها، ليسكنوا مدينة اليبوسيين فتصير لهم .. ويري العديد من المؤرخين والتاريخيين أن هذه القصة هى القصة الحقيقية لإستيلاء كهنة اليهود على مدينة القدس التي كانت ملكا لليبوسيين حتى حطمها البابليون عن آخرها في القرن السادس قبل الميلاد .. وظلت خرابا أكثر من قرن من الزمان حتى حصل اليهود على تصريح من الفرس بإعادة بناء المعبد، فاستولوا على المدينة كذلك.

إن كل دين من الأديان التي يدين بها البشر سماوياً كان أو وثنيا له مكان تجمع يقصدون اليه من أجل الحج حتى البوذية، حتى ديانات إلى ونان القدماء (معبد دلفو ومعبد الأكروبول ومعبد الكابيتول في روما) فالكيان الديني الذي شهد ظهور الشريعة الموسوية كان معبده المركزي قد استكمل إستقراره على أيام داود وسليمان، بعد أن كانت هناك معابد وأماكن حج متفرقة بعد وفاة موسى بعضها في شكيم أو الجلجال أو حبرون، ولذلك ظهر عندهم نوع من الحنين للمقدسات تصبغه الصبغة الصوفيه وهى الحنين إلى زيارة هذه الأرض المقدسة في القدس، وهم في ذلك يقلدون المسلمين في حنينهم إلى زيارة الأراضي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، واليهود ينظرون نظرة المسيحيين إلى أماكن الحج المسيحية والتي منها كنيسة القيامة في القدس وكنيسة الميلاد في بيت لحم في فلسطين وكنيسة الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك في روما (وهي كنيسة

القديس بطرس) فحنين اليهود إلى زيارة المعالم المقدسة اليهودي ة، كان نوعا من الحج يحمل في طياته طابعا صهيونيا روحيا بقدر ماكان تقليدا للحجاج المسلمين .

ولاشك أن الحقائق تؤكد أن اليهود تأثروا بالفكر العقائدي الإسلامي وكما ربطه المسلمون بالقرآن، ربطه اليهود بالتوراة، وقلدوا المسلمين في استنباط آيات الأحكام والتوفيق بين ما جاء في التوراة وما جاء في التلمود ولعل أحسنهم موسى بن ميمون طبيب الدولة الأيوبية الذي ظهر في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر وجمع الشرائع اليهودية في كتاب يسمى "مشناه توراة" بمعني أحكام التوارة .. واشتهر باسم "يدحزقاه" بمعني إلى د القوية، أخذ فيه ما جاء في التوراة وما جاء في المشنا والتلمود ورتبه على أبواب وهو الكتاب الوحيد الذي كتبه موسى بن ميمون باللغة العبرية، بالإضافة إلى ذلك كتب كتباً كثيرة باللغة العربية أهمها كتابه المشهور "دلالة الحائرين" وهو في العقيدة اليهودي ة، وقد تأثر موسى بن ميمون في كتابه بالفكر الديني الاسلامي الذي لم يكن معروفاً على عهد التوراة .. كل هذا أدي إلى أن يتسلح المفسر اليهودي بهذه الثقافات حتى لايكون متخلفا عن مفسري القرآن من المسلمين وهو يعيش بينهم ويري جهودهم في العناية بحفظ وتفسير كتابهم المقدس .

إن المعني السياسي في حنين اليهود للقدس منذ طردهم منها حتى الآن – وهو معنى لايوجد ما يقابله في حنين المسلمين إلى الحرمين الشريفين – هو أنهم يعتقدون أن وجودهم في الشتات كان بغضب من الله عليهم، ولذلك فإنهم على الرغم من تأقلمهم في ظروفهم الجديدة كانوا يترقبون زوال غضب الله عنهم،

وذلك بأن يكون لهم كيان في عاصمة سليمان، ولهذا كانت التقاليد المعمارية تقضي على اليهودي إذا بني بيتاً أوقصراً أن يترك فيه قطعة مكشوفة من الحجارة أو مهدمة تذكره بخراب الهيكل وتدعوه دائما ألا يسكن في دار كاملة العمران حتى يتم عمران المدينة المقدسة، لذلك إمتزج الحنين الديني بهذه العقيدة السياسية والحربية ولكنهم حولوها إلى عقيدة غيبية لدرجة أن المتزمتين منهم كانوا يرفضون الصهيونية الحديثة عند ظهورها لما تتضمنه من تمرد على غضب الله الذي به كتبت عليهم الذلة والمسكنة ولم تنحل هذه العقدة إلا عندما إقتنع بعض الحاخاميين بالصهيونية في أواخر القرن الماضي (من أمثال هيرش) فبدأ المتدينون المثقفون يقبلون الصهيونية بدون حرج .

حتى أن أحد المفكرين يعلل مسألة حنين المثقفين اليهود سياسياً إلى فلسطين في العصور الوسطي بأنه كان وسطا بين الرضا بالعقاب الإلهي الذي أنبأهم به أنبياؤهم وانتظار العفو عنهم، الذي لايكون إلا بوجود حاكم لهم في الأراضي المقدسة، فهى إذن صهيونية روحية قوامها التسليم بالإرادة الإلهية، أي أنها بالمقارنة بصهيونية هرتزل كانت عاطفية لاتتخطي ذلك إلى عالم المال والأعمال وكذلك كانت سلبية لم تفكر في ترجمة هذه العاطفة الصهيونية إلى مشروع عملي واجب التنفيذ .. ولذلك فحنينهم للقدس كان ممهدا للصهيونية السياسية فعندما قام هرتزل بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية بإرسال منهجها العام سنة ١٨٦٩م في كتابة الشهير "الدولة اليهودية" ، إنما حورها وسخرها للوصول إلى خدمة أغراضه السياسية وأهدافه القومية .



المقدسات اليهودية

يؤكد المؤرخون أنه ليس لليهود في القدس أثر يهودي مقدس بارز إلا حائط المبكي وبضع كنائس حديثة العهد – أقيمت مؤخراً – وبعض القبور على سبيل المثال :

قبر زكريا وقبر أبشالوم وقبر يعقوب، والإعتقاد السائد أن حائط المبكي هو بقية من سور أورشليم القديم وأنه الحائط الخارجي للهيكل الذي رممه هيرودس (١١ ق .م) ودمره تيطس(٧م) ويقدسه اليهود ويزورونه بشكل دائم..ويقدسونه.. ويذرفون الدموع أمامه .. وحائط المبكي عبارة عن حائط كبير .. مبني من حجارة ضخمة يبلغ طول بعضها ١٦ قدماً، أما الحائط نفسه فطوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً، وهذا الحائط يقدسه المسلمون أيضاً، بل إن تقديس المسلمين له يفوق تقديس اليهود له .. إذ أنهم يعتقدون أنه المكان الذي ربط عنده جبريل براق النبي "صلى الله عليه وسلم" ليلة الإسراء والمعراج .. ومن هنا جاء اسمه الإسلامي (البراق) ولازال حتى اليوم جزءاً من الحرم القدسي .. أولي القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .. إنه جداره الغربي.وكثيراً ما حدثت اختلافات بين اليهود والمسلمين من أجل هذا الحائط ..

كما أن لليهود مقبرة واحدة تقع شرقي السور في الوادي المعروف باسم وادي قارون .. ويطلق العرب عليه وادي جهنم .. وتمتد هذه المقبرة من الوادي المذكور حتى رأس العمود والسفح القبلي من جبل الزيتون وفيها أربعة قبور يقصدها اليهود في أيام معينة هى :

(**قبر أبشالوم**) الابن الثالث لداود الملك، ذلك الابن الذي ثار على أبيه وحاول إسقاطه عن عرشه ويعتقد قوندر أن الكسندريانوس مدفون فيه .. إنه بناء فخم مربع الشكل، في كل ركن من أركانه الأربعة أربعة أعمدة يعلوه أفريز يوناني وفوقه قبة هرمية الشكل يسميه المقدسيون (طنطور فرعون) .

(**قبر يهوشافاط**) لم يجزم المؤرخون في معرفة أسماء المدفونين فيه، وإن قال بعضهم إن يهوشافاط مدفون فيه وقال آخرون إنه دفن في نفس الموقع الذي دفن فيه داود على جبل صهيون .

(**قبر يعقوب**) مدفن إسرائيلي ضخم يعتقد المسيحيون أن القديس يعقوب أحد الرسل الإثني عشر، قد دفن فيه بعد صلب المسيح .

(**قبر النبي زكريا**) ينسبه اليهود إلى زكريا بن يهوياراع، ويقول بعضهم إنه قبر حفيده الذي كان كاهناً في أيام أحازيا ويهواش وقد مات رجماً بالحجارة بأمر من الملك .

ويزعم اليهود أن القدس ككل .. مدينة مقدسة وعاصمة لمملكة إسرائيل على يد الملك داود وتحفل بالكثير من المنشآت والمقدسات الدينية التي أقامها .. ونحن نعرف أخبار النبي داود من الكتابات التي جاءت عنه في المصادر الدينية مثل القرآن الكريم والإنجيل والتوراة .. لكننا لانعرف أي شيء عن الملك داود

من مصادر التاريخ وعلي الرغم من قيام رجال الآثار العالميين والإسرائيليين بالحفر في كل شبر من أرض فلسطين فإن واحداً منهم لم يعثر ولو على قطعة صغيرة من الفخار تشير إلى هذا الملك!!فكيف نعرف الوقت الذي عاش فيه داود تحديداً ؟! وما الدليل أنه قام ببناء أي جزء في القدس فالأدلة الأثرية ليست فقط تجهل هذه الأحداث ولكنها تختلف معها صراحة .. وهكذا نري أن السلطات الإسرائيلية تريد أن تبيع الأسطورة على أنها تاريخ ثم تطلب من العالم كله أن يصدق هذه الأسطورة، وبحسب رواية العهد القديم فإن الاعتقاد السائد هو أن الفترة التاريخية التي عاش فيها داود كانت عند بداية القرن العاشر قبل الميلاد .. غير أن تحديد التاريخ بدقة لم يرد في أي من مصادر التاريخ .. وإنما ورد في سفرين من العهد القديم قام الكهنة بكتابتهما فقد جاء في سفر صموئيل الثاني وسفر الملوك الأول – وهما رقم ١١،١٠ من العهد القديم – أن الملك داود أقام إمبراطورية تمتد حدودها بين النيل والفرات وجعل القدس عاصمة لها.

أما الأدلة التاريخية التي تم العثور عليها حتى الآن فهى تشير إلى أن داود العهد القديم كان ملكاً يرأس تحالف القبائل الاسرائيلية التي كانت تسكن في الهضاب الفلسطينية وكانت معاركه الرئيسية في مواجهة الملوك الفلسطينيين القادمين من مشتركة في عضوية الأمم المتحدة عن طريق القوة الحربية، مما يتعارض مع ميثاقها .

واستمرت الممارسات الإسرائيلية في المناطق العربية المحتلة عبر عوامل الإنتاج المختلفة لجعل العرب الفلسطينيين أقلية ولتدعيم الوجود الصهيوني .. ونستطيع أن نقول إن هذه الممارسات تركزت حول ثلاثة محاور بعد ١٩٦٧وحتي الآن:

أولاً : الاستيلاء على الأرض بهدف تبرير عمليات المصادرة والاستملاك التي قامت بها إسرائيل في الأراضي المحتلة، أصدرت قرارات بالغاء كافة المراجعات حول النزاعات بشأن حقوق الملكية المحتلة وكان أهم هذه الأوامر قراراً بإلغاء كافة المراجعات حول النزاعات بشأن حقوق الملكية التي كانت عالقة منذ الانتداب البريطاني وصدر قرار آخر يقضي بضرورة الحصول على موافقة الحاكم العسكري قبل القيام بأية عملية لنقل ملكية الأرض، وعدل الكيان الصهيوني القوانين المتعلقة بالمصادرة واعتبر بموجب مرسوم حول الأملاك المتروكة من قبل الأفراد في ١٩٦٧/٧/٢٣، أن الأراضي العائدة للأشخاص الغائبين يوم الاحتلال عام ١٩٦٧ هى ملك للدولة .

ويلجأ الكيان الصهيوني غالباً إلى القانون الأردني المتعلق بمصادرة الأراضي من أجل المنفعة العامة كي يمتلك الأراضي الضرورية لبناء الطرق والمنشآت الاخرى التي تحتاج إليها المستعمرات اليهودي ة، ومن جهة ثانية فإن الكيان الصهيوني يبرر بعض عمليات مصادرة الأراضي ونزع الملكية بالاعتبارت الأمنية، أو أنه يعتبر الأراضي المصادرة، وهى أساساً أراض أميرية أو موات كأراض عامة، ويستند الكيان الصهيوني عند مصادرة الاراضي لاعتبارات أمنية إلى المادة (٥٢) من إتفاقية لاهاي، تلك المادة التي تسمح لقوي الإحتلال بمصادرة الأراضي لإعتبارات أمنية ويستند الكيان الصهيوني أيضاً إلى القوانين الإستثنائية البريطانية بشأن حالات الطوارئ العائدة لعام ١٩٤٥، أما الأراضي التي تعتبر "أملاك عامة" فهى تشمل كافة الأراضي التي لاتثبت ملكيتها بموجب إفادة، عقارية صريحة، علما أن الحاكم العسكري الصهيوني

لايعطي الفلاحين العرب سوى مهلة ٢١ يوما لإثبات حقوقهم والجدير بالذكر أن ٧٠% من أراضي الضفة الغربية تعتبر أراضي أميرية وأن نسبة الأراضي الأميرية التي سجلت في السجل العقاري بموجب معاملة قانونية قبل عام ١٩٦٧ لم تتجاوز ٥٠% من أراضي الضفة الغربية، وعلي سبيل المثال صادرت سلطات الإحتلال مؤخرا ٣٠ دونما من أراضي قرية قطنة بلواء رام الله بحجة أنها أراض حكومية، فيما قدم أصحاب هذه الأراضي كل الوثائق التي تثبت ملكيتهم لها .

ومنذ أواخر السبعينات تزايدت عمليات إعلان الأراضي من قبل سلطات الإحتلال الصهيوني ملكا للدولة ومنذ أوائل الثمانينات تم الإعلان عن مساحات كبيرة من الأراضي غير المسجلة من قبل المواطنين العرب في الضفة الغربية كأراض عامة تمهيداً لتملك سلطات الاحتلال لها، ومن جهة ثانية صدر قانون بتاريخ ١٩٧٩/٩/١٧ يسمح بموجبه للأفراد الإسرائيليين حق شراء الأراضي في المناطق العربية المحتلة وذلك تشجيعا لعملية الإستعمار الإستيطاني فيها .. وقد أظهرت نتائج حساب معاملات الارتباط بين مساحات الأراضي العربية المصادرة وبين أعداد المستعمرات الإستيطانية التي أقيمت عليها في الضفة الغربية خلال الفترة (١٩٧٩ - ١٩٨٣) أن العلاقة قوية وطردية بين التوسع في مصادرة الأراضي العربية وبين التوسع في إقامة المستعمرات اليهودية إذ بلغت قيمة معامل الإرتباط بينهما ٠,٧٥ .

في عام ١٩٧٦ أتم خبراء الأرض الصهيونيون مسح أملاك الغائبين وأملاك الدولة في الضفة الغربية وقطاع غزة ووضعت سلطات الإحتلال الصهيوني

يدها عليها بموجب أمر عسكري رقم (٥٨) ورقم (٥٩)، وفي عام ١٩٨٣ بلغ إجمالي مساحة أراضي الدولة التي أعلنت سلطات الإحتلال الصهيوني عن امتلاكها في الضفة الغربية حوالي ٤٠٠ ألف دونم، أو ٢٥% من المساحة الإجمالية المعنية وفي قطاع غزة كانت مساحة أملاك الدولة (الأرض الميري) عام ١٩٨٣ حوالي ١٠٥ آلاف دونم علما بأن مساحة قطاع غزة تبلغ ٣٦٣,٨٠٠ دونم، منها للعرب ٢٥٠ ألف دونم و ١١٣,٨٠٠ دونم إنتزعها اليهود .

قُدر إجمالي مساحة الأراضي المشتراة في الضفة الغربية من قبل القطاعين العام والخاص اليهودي ين بحوالي ١٠٠ ألف دونم في عام ١٩٨٣ وإستمر شراء الأراضي الرسمي إذ تقوم خطة شراء الأراضي للفترة – (١٩٨٣ – ١٩٨٦) على شراء ٣١,٥٠٠ دونم في سبعين موضعا بقيمة إجمالية مقدارها ٣٠ مليون دولار .. وقد أقيمت بعض المستعمرات في الضفة الغربية بموجب بلاغات عسكرية إعتبرت الأراضي التي أقيمت عليها مناطق مغلقة لأسباب أمنية في بادئ الأمر وبعد أن تم مسح أراضي الدولة تبين أن أراضي هذه المستعمرات هى جزء من أراضي الدولة. مثال: ذلك أراضي مستعمرة "تيكواع"، أراضي مستعمرة شيلوه، أراضي افرات، وفي محاولة لتوسيع احدى المستعمرات اليهودية بالقرب من مدينة البيرة في الضفة الغربية، قامت الجرافات الإسرائيلية مؤخرا بتجريف الأراضي الواقعة في منطقة جبل الطويل شرقي المدينة .. وفيما يتعلق بالأراضي المغلقة العربية لأغراض عسكرية يمكن القول أن سلطات الإحتلال الصهيوني دأبت منذ عام ١٩٦٧ على إغلاق مساحات مختارة من الأراضي ومصادرتها من أصحابها الشرعيين من أهالي الضفة بحيث بلغت مساحة هذه الأراضي حتى عام ١٩٨٣

حوالي ١,١١ مليون دونم أو ٥٣% من المساحة الكلية التي صادرتها سلطات الاحتلال .. وقد وضع الاحتلال الصهيوني "مشروع المائة ألف" للاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية، وطبقا لهذا المشروع فمن المقرر أن يتم توطين مائة ألف يهودي في مستعمرات الضفة خلال الفترة (١٩٨٣ - ١٩٨٧) وقد إستمد "مشروع المائة ألف" من مشروع رئيسي أكبر وأشمل أعد لعام ٢٠١٠ ووفقا لهذا المشروع الرئيسي سوف يتم توطين حوالي ٤٠٠ ألف يهودي في مستعمرات الضفة خلال ثلاثين عاما، وثمة هدف مرحلي لهذا المشروع هو أن يكون قد تم، حتى أواسط عام ١٩٨٦، بناء أكثر من ٥٧ مستعمرة يهودية جديدة إضافة إلى تلك القائمة هناك ليصل العدد إلى ١٦٥ مستعمرة وفي الوقت نفسه سوف يسكن في الضفة بحسب المشروع، ٢٥ ألف عائلة يهودية أي نحو ١٢٥ ألف شخص .

إزداد عدد المستوطنين اليهود بصورة مطردة في الضفة الغربية ما بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٥ إذ كان عددهم حوالي ٢٥٨١ نسمة في عام ١٩٨٥، لذا فإن مشروع المائة ألف مستوطن يهودي لم يحقق من أهدافه في نهاية عام ١٩٨٥ سوى ٤٣% فقط، وفي ضوء الصعوبات التي واجهت الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في المناطق العربية المحتلة فقد بلغ عدد المستعمرات الصهيونية التي أقيمت في قطاع غزة حتى عام ١٩٨٥ حوالي ٢٠ مستعمرة وقدر عدد اليهود الذين يعيشون في تلك المستعمرات بحوالي ٥ آلاف مستوطن وتنتشر هذه المستعمرات في كافة أرجاء القطاع الذي يزدحم بالمواطنين العرب في الأصل وقد صادرت سلطات الإحتلال الصهيوني حتى نهاية عام ١٩٨٥ ما نسبته ٤٠%

من إجمالي مساحة القطاع، وخصصت هذه السلطات ما مساحته ٤٠كم٢ من المناطق المصادرة لإقامة مستعمرات يهودية عليها .

ثانياً : الإستيلاء على موارد المياه : أعلنت السلطات الإسرائيلية أن مصادر المياه في الضفة والقطاع تحت سيطرتها الكاملة .. وفرضت حظرا على ضخ مياه نهر الأردن من قبل المواطنين العرب لأسباب أمنية وأصدرت أمرا عسكريا يحظر على المواطنين إستغلال أي بئر جديد دون ترخيص مسبق من الحاكم العسكري الذي يرفض إعطاء التراخيص لإستخراج المياه بقصد الري الصناعي، وفي المقابل إستغل المستوطنون اليهود آبارا جديدة لري الأراضي الزراعية التابعة لمستعمراتهم في الضفة الغربية .. ويبلغ عدد الآبار التي يستغلها المستوطنون اليهود في الضفة أكثر من ٢٩ بئرا، قدر إنتاجها بحوالي نصف كميات المياه التي يحصل عليها المواطنون العرب في الضفة .. ومن جهة ثانية تستعمل المستعمرات التي أقامتها إسرائيل وسائل حديثة للحفر والضخ وتعمل على تسهيل مهمة حصولها على كميات كبيرة من المياه على حساب الكميات التي يحصل عليها المواطنون العرب وفي بعض الأحيان نضبت الآبار العربية ويحد الكيان الصهيوني من إستعمال المياه في الآبار العربية عبر وضع عدادات على هذه الآبار .. وهناك العديد من المشاريع التي أقامتها إسرائيل للإستفادة من المياه الجوفيه العربية ومازالت هناك مشاريع مستقبلية تعد لها، لتفي بحاجاتها من المشروعات والمستوطنات التي تقيمها كل يوم .

ثالثاً : استثمار الإمكانيات الإقتصادية والأيدي العاملة في الأراضي المحتلة : تسعى الحكومة الاسرائيلية بشكل مباشر وغير مباشر إلى ربط إقتصاديات

المناطق العربية المحتلة بالإقتصاد الإسرائيلي، مما يخدم الإقتصاد الإسرائيلي ويفتح أسواق المناطق العربية المحتلة لإستقبال المنتجات الإسرائيلية، وأدت سياسة فرض الرسوم والضرائب الباهظة إلى إضعاف الإقتصاد الفلسطيني وبخاصة قطاع الصناعة بحيث أوجد الإحتلال تبعية اقتصادية له من خلال عدم تشجيعه الإستثمارات الرأسمالية في القطاعات الإنتاجية .

إن المتتبع للظروف الإقتصادية في المناطق العربية المحتلة يلاحظ الهجمة المخططة لدوائر جباية الضرائب الإسرائيلية والموجهة ضد المنتجين والتجار والمواطنين العرب في المناطق المحتلة فقد إزدادت الضرائب غير المباشرة وتم تطبيق التعريفة الجمركية على كافة المستوردات للمناطق العربية المحتلة .

وتتلقى العديد من المؤسسات الانتاجية العربية إنذارات من مكتب الضريبة الإسرائيلية بالدفع أو إغلاق مؤسساتهم بسبب عجزهم عن دفع الضرائب المفروضة عليهم، وتهدف سلطات الإحتلال من ممارسة الضغوط على المؤسسات الإنتاجية إلى إشاعة جو من عدم الإستقرار الإقتصادي وإضعاف الروابط مع الأقطار العربية المجاورة، وتكريس التبعية الإقتصادية للكيان الصهيوني .. وتنفذ سلطات الإحتلال منذ عام ١٩٦٨ سياسة تهدف إلى دمج إقتصاديات المناطق العربية المحتلة بعجلة الاقتصاد الإسرائيلي، وفي ضوء هذه السياسة تعمل السلطات على تخفيض المساحة المزروعة بالحمضيات في المناطق العربية المحتلة في حين تشجع إنتاج القطن والسمسم والطماطم والدخان في هذه المناطق، إضافة إلى ذلك فإن الكيان الصهيوني يقوم بتكييف النشاط الإقتصادي في المناطق العربية المحتلة وفقا لإحتياجاته ولخدمة مخططاته نتيجة

لذلك تأثرت الأوضاع الاقتصادية في الضفة الغربية وقطاع غزة سلبيا بأوضاع الاقتصاد الإسرائيلي الذي يعاني من نسبة تضخم عالية وأصبح المواطنون العرب مستهلكين للسلع الإسرائيلية التي أغرقت أسواقهم وإنعكس هذا الوضع سلبياً على مختلف قطاعات الانتاج الزراعي والصناعي والتجاري والخدمات الاخرى في المناطق العربية المحتلة .. من ناحية اخرى تشكل الأيدي العاملة العربية الفلسطينية وسيلة تساعد الكيان الإسرائيلي على تسوية وضبط أوضاعه الإقتصادية وتساعد على دعم سيطرة هذا الكيان على المناطق العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وقد قارب الاقتصاد الإسرائيلي حالة التشغيل الكامل منذ عام ١٩٦٨، الأمر الذي أدي إلى نشوء حاجة متزايدة لليد العاملة في الأراضي المحتلة وهناك عوامل اخرى تفسر حاجة الإقتصاد الاسرائيلي المتزايدة إلى إلى د العاملة العربية، ومنها :

١ – نسبة المشاركة السكانية الضعيفة في القوة العاملة، إذ تشهد نسبة المشاركة في القوة العاملة في إسرائيل منذ عام ١٩٦٥ ميلا نحو التراجع بسبب البنية الشابة لأعمار السكان، والمشاركة المرتفعة في الجهاز العسكري .

٢ – تناقص عدد المهاجرين اليهود القادمين إلى فلسطين المحتلة .

٣ –النمو السريع للصناعة الحربية الإسرائيلية أحدث تغيراً في بنية الاستخدام الاسرائيلية الأمر الذي أوجد حاجة إلى إلى د العاملة في الفروع الاقتصادية لتحل محل إلى د العاملة في الفروع العسكرية .

والجدير بالذكر أن عدد القوي العاملة في الضفة والقطاع قدر في عام ١٩٨٥ بحوالي ٢٨٤ ألف عامل منهم ١٨٢ ألف عامل في الضفة (بما في ذلك

القدس العربية) و١٠٢ ألف عامل في القطاع وقدر إجمالي العاملين منهم فعلا بحوالي ٢٤٤ ألف عامل في حين أن نسبة البطالة في صفوف القوي العاملة في الضفة والقطاع وصلت إلى حوالي ١٤% خلال عام ٨٥ .. وتشير البيانات الإحصائية إلى أن عدد العمال من أبناء المناطق العربية المحتلة العاملين في القطاعات الإقتصادية الإسرائيلية بلغ مع نهاية عام ١٩٨٥ حوالي ٨٦ ألف عامل يعمل منهم حوالي ٤٠٨٠٠ بصورة منتظمة وحوالي ٢٧٢٠٠ بصورة غير منتظمة، وهذا يؤدي بالطبع إلى تحكم السلطات الاسرائيلية الدائم في تشغيل الأيدي العاملة العربية مما يشكل وسيلة ضغط على الفلسطينيين .



الآثار المسيحية في القدس

علي مر عصور التاريخ لم يكن عدد المسيحيين بالقدس بالعدد القليل بل كان دائماً يقدر بالآلاف .. إلا أن المسيحيين في العصر الحديث خاصة القرنين الأخيرين منقسمون على أنفسهم داخل القدس إلى مذاهب وشيع وجماعات وطوائف .. وكل مذهب أو طائفة من هذه الطوائف لها معابدها الخاصة بها ومؤسساتها الدينية والاجتماعية، ولها جميعها مجتمعة ماعدا "البروتستانت" كنيسة القيامة .

أولاً : الروم الأرثوذكس :

وهي الجالية القديمة التي عاشت في القدس منذ العصور المسيحية الأولي .. وقد عانت هذه الطائفة الكثير من الاضطهاد على أيدي اللاتين، لكنهم استردوا كل حقوقهم كاملة على يد الحكم العربي .. ومن أديارهم:

- (دير أبينا إبراهيم) في جنوب شرق ساحة القيامة، عمرته الملكة هيلانه عام ٣٣٥م وخربه الفرس عام ٦١٤م وظل خرابا إلى أن أخذه الروس من الأتراك

عام ١٨٨٧م وبه اليوم كنيستان إحداهما تعرف باسم (أبينا إبراهيم) والثانية يطلق عليها (الرسل الإثني عشر) .

– (دير ماريوحنا المعمدان) ويقع بين سوق علوان وحارة النصارى وبه كنيستان : إحداهما تحت الأرض طرازها بيزنطي، شيدت عام ٤٥٠م والأخري فوقها بنيت عام ١٠٤٨، وعندما احتل الصليبيون القدس اتخذوا من الدير والكنيستين مقرا لفرسان ماريوحنا عام ١٠٩٩م وعندما إسترد صلاح الدين الأيوبي القدس إسترد الدير ورممه .

– (دير العذراء) ويسمونه دير ستنا مريم .. ويقع في الجنوب من كنيسة القيامة بينها وبين المسجد العمري .. وهو دير بني في العهد البيزنطي عام (٤٩٤م) .

– (الدير الكبير) ويعرف بدير قسطنطين ويقع في الجنوب من بطريركية الروم في حارة النصاري، بناه البطريك إلى اس الأول (إيليا) الذي تولي شئون البطريركية عام ٤٩٤م .. ويعتبر قاعدة أديار الروم في فلسطين .. وتوجد فيه ثلاث كنائس:

الأولي : كنيسة القديسة هيلانة، والثانية كنيسة القديس تقلا والثالثة : كنيسة مار يعقوب .. وفي هذه الكنيسة – الأخيرة – معبدان صغيران أحدهما بإسم (الشهداء الأربعين) والثاني باسم (حاملات الصليب) .

– (دير مارسابا) على مقربة من سلوان، بناه القديس سابا حوالي ٤٨٤م، فيه كنيسة أنشئت عام٥٠٢م، وعمارات أضيفت اليه على عهد الامبراطور جوستانيان (٥٢٧– ٥٦٥م) وتوجد به مكتبه فيها ثلاثة آلاف مجلد، ولا يجوز دخول النساء لهذا الدير عملا بوصية القديس سابا الذي لم يسمح حتى لأمه بدخوله .

- (دير القديس تيؤدوسيوس) أنشئ في نفس التاريخ الذي أنشئ فيه دير مارسابا (٤٨٤م) ويقع بين بيت لحم ومارسابا، ويسميه العرب دير ابن عبيد لأنه كائن في المنطقة التي تعيش فيها عشيرة العبيديين .

- (دير المصلبه) في ظاهر القدس إلى الغرب، إنه دير قديم .. أنشاه الأمير ماريام الكرجي أيام الملك قسطنطين حوالي سنة ٣٣٠ للميلاد، وفي قول آخر إن الذي بناه هو الإمبراطور يوستنيانوس بين عامي ٥٢٧ و ٥٦٥ للميلاد.

- (دير البنات) مجاور لخان الأقباط من ناحية الشمال .. بناه البطريرك إلى اس (٥٩٤م) فيه كنيستان : إحداهما أرضية باسم (القديسة ميلانيا) والأخري فوقها باسم (مريم الكبيرة) أو (العذراء البكر) .

- (دير مار إلى اس) قبلي القدس، على طريق بيت لحم .. إنه دير قديم أنشأه هرقل الملك خلال القرن السابع للميلاد عام (٦١٠م) فهدمه الفرس عام (٦١٤م) .

وأعيد بناؤه عام ١١٦٥ من لدن عمتنوئيل فومنينوس .. وتجدد في زمن البطريرك ذوستيوس عام ١٦٧٨م .

- (دير الجليل) فوق جبل الطور .. فيه كنيسة قديمة يسميها الروم (غاليليا) والمقدسيون (إليليا) يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ظهر لتلاميذه بعد قيامته لأول مرة في هذا المكان، وقد بنوا في الموضع نفسه كنيسة تعرف بإسم (العذراء).

- (دير القطمون) في الحي المعروف بالقطمون غربي القدس كان بيد الكرج، ثم صار إلى الروم، فيه كنيسة وفي داخل الكنيسة قبر القديس سمعان وكانوا يسمونه

(دير سمعان)، إنه مقر الكرسي البطريركي في فصل الصيف .. وكان الروم ينزلون فيه الحكام والمتصرفين .

وتوجد بالقدس أديرة اخرى صغيرة نذكر منها :

- دير السيدة على مقربة من المدرسة الصالحية .
- "مار افتيموس"، وهو ملاصق لدير السيدة من الشمال .
- "العدس" (أو نيقوديموس) في حارة السعدية .
- "صهيون" على جبل صهيون في جنوب القدس .
- "مارجرجس" وهو ملاصق لدير اللاتين في الشرق .
- "مارجرجس" شرق دير الأرمن .
- "مار ميخائيل " في شمال بطريركية الروم الأرثوذكس .
- "القديسة كاترين " في حارة النصارى بين الصلاحية ودير اللاتين .
- "مار سبيريدون" في حارة الحدادين .
- "مارديمتري" في حارة النصارى .
- "مار نقولا" غرب البطريركية .
- "مارتادرس " بجوار مبني الكازانوفا .
- "القديس أنوفريوس" (أبا نوفر القبطي) في الوادي بين جبل صهيون وجبل أبي ثور في جنوب القدس الجديدة .
- "دير أبي ثور" على جبل المكبر في جنوب القدس .
- "اليعازر" في إلى عازرية في شرق القدس .
- "مار إلى اس" على طريق بيت لحم في جنوب القدس .
- "القطمون" أو سمعان" غربي القدس، وبه قبر القديس سمعان .

- "حبس المسيح" على طريق الآلام .
- "مارخر الامبوس" شرق المدرسة الصلاحية .

ثانياً : الروم الكاثوليك :

أنشأ ابروشيتهم البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٤٨، ويقع مقرها في حارة الموارنة ولهم فيها نائب بطريركي يتبع بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق، وممتلكاتهم بالقدس :

أ -كنيسة القديسة حنة .. وتقع بين باب حطه وباب الأسباط في شمال الحرم.
ب -كنيسة القديسة فيرونيكا على طريق الآلام . وللروم الكاثوليك في القدس أديرة وكنائس اخرى منها على سبيل المثال : - (كنيسة القديسة حنة) وتقع بين باب حطة وباب الأسباط، إلى الشمال من الحرم القدسي، هنا يعتقد المسيحيون أنه في هذا المكان بركت الغنم حيث أتى السيد المسيح بإحدى معجزاته، وفيه بني في القرن الرابع للميلاد معبد كما بنيت كنيسة باسم مريم البتول في سنة ٥٣٠م ويبدو أن هذه الكنيسة احترقت مع ما إحترق من كنائس النصارى على يد الفرس عام ٦١٤م فأعاد الصليبيون بناءها عندما فتحوا القدس ١٠٩٩م وكانت تدعي كنيسة القديسة حنة .

وجعل صلاح الدين هذه الكنيسة رباطا للصالحين ومدرسة للفقهاء الشافعيين سنة ١١٧٨م، وكانت هذه تعرف فيما مضى بـ (صند حنه) وسميت بعد الفتح الصلاحي بالصلاحية وحدث زلزال خلال المدة الواقعة بين ١٨٢١ و١٨٤٢م . هدمت على أثره جدران الدير .. فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنت بها ثكنة عسكرية مجاورة لها .

- (دار القديسة فيرونيكا) وتقع في عقبة المفتي، على درب الآلام .. بنيت في المكان الذي مسحت فيه هذه القديسة وجه السيد المسيح وهو مار من هناك حاملا صليبه، وكانت الأرض ملكا لمسلم من سكان القدس .. يسمى (عبد الرحمن)فباعها بثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهبا وحصل الروم الكاثوليك على فرمان من السلطان بتاريخ ١٨٩٤م .. فأنشأوا فوقها كنيسة باسم القديسة فيرونيكا .

ثالثاً : اللاتين الكاثوليك :

في عام (١٨٤٧م) أنشأ البابا الروماني بيوس التاسع بطريركية اللاتين في أورشليم وقد نشأ خلاف بين البطريرك "يوسف فاليركا" الذي أقامه قداسة البابا وبين الآباء الفرنسيين إذ اعتقد هؤلاء أنهم أحق من غيرهم في إدارة الأماكن اللاتينية، وانقسم اللاتين إلى فئتين فئة تؤيد البابا ومندوبه البطريرك وفئة اخرى تعضد الآباء الفرنسيين وراح البطريرك يحث الرهبان في القارة الأوروبية على المجيء إلى فلسطين.. ومما شجع هؤلاء على المجيء إلى هذه الديار الضغط الذي ألم بالجمعيات الدينية بفرنسا والتشريعات الجديدة التي سنت فيها لمطاردة الرهبان بإيعاز من المحافل الماسونية .

ويري بعض المؤرخين أن المسيحيين راحوا يزورون القدس في الجيل السادس عشر وما بعده بكثرة، لا بقصد العبادة فحسب بل وحماية الأماكن المقدسة بالطرق السلمية، إذ كان المسلمون يومئذ أقوياء وما كان من السهل إشهار حرب صليبية عليهم كالحرب التي قامت في القرن الحادي عشر ومن أديرة الرهبان التي تأسست في القدس :

أ - (الآباء الفرنسييون) ويلقبهم المقدسيون بـ (رهبان أبي حبلة) عهد إلى هم حراسة الأماكن المقدسة من عام ١٢٩١ - ١٨٤٧ ومن أملاكهم :

١ - دير المخلص (أو دير اللاتين) شمال غربي حارة النصارى وفيه مكتبة قيمة ومدرسة وكنيسة .

٢ - الكازانوفا (الدار الجديدة) بين الباب الجديد ودير الافرنج وهو مقر للحجاج والزوار المسيحيين .

٣ - دار البطريركية قرب الكازانوفا وبها مدرسة لاهوتية وكنيسة باسم يسوع .

٤ - كنيسة الجسمانية بوادي قدرون (١٩٢٤م) وقد إشترك في بنائها جميع لاتين العالم .

٥ - "مار فرنسيس" شمال قبر النبي داود (١٩٣٠م) .

٦ - "حبس المسيح" قرب طريق باب الأسباط ويعتقد اللاتين أن السيد المسيح جلد في هذا المكان من قِبَل جند الرومان .

ب - الدومنيكان - جاءوا للقدس سنة ١٨٨٢م ولهم فيها : دير و كاتدرائية سان إيتيان (أو أسطفان) شمال باب العمودية وهيكل كنيسة باسم الكنيسة الملوكية الصغري (١٨٩٨) .

جـ - الآباء الكرمليون : جاءوا سنة ١٦٣٦م ولهم دير صغير بحي الطالبية وهيكل باسم القديسة تريزا .

د - راهبات مار يوسف : جئن سنة ١٨٤٨م ولهن مستشفى قرب الباب الجديد في الشمال ودير ماريوسف في حارة الموارنه (١٨٥٠م) وبه مدرسة للبنات ومدرسة ثانوية اخرى خارج السور .

هـ - رهبان ماريوسف : (١٨٧٩م) ولهم مستشفى بين القدس وبيت لحم.

و – راهبات صهيون : ولهن مدرسة صناعية بجوار مقبرة ماملا في الغرب والمنزل النمساوي في حارة الوادي على طريق الآلام .

ز – راهبات الكرمل (١٨٧٣م) ولهن دير على جبل صهيون وهن لايظهرهن لأحد طوال حياتهن .

س – رهبان الآباء البيض : (١٨٧٨م) ولهم كنيسة القديسة حنه .

ش – راهبات الوردية : (١٨٧٩م) ولهن دير بجوار بطريركية اللاتين ودير جنوب قبر ماملا في غرب القدس .

ص – رهبان السكركير (القلب المقدس) ١٨٧٩ ولهم دير قرب بيت لحم وكانت لهم مدرسة لاهوتية ثم نقلوها لفرنسا في آخر سنة الإنتداب .

ض – راهبات مار فرنسيس (١٨٨٤م) ولهن دير في حارة النصارى .

ط – راهبات القديسة كلارا (١٨٨٤م) ولهن دير بجبل المكبر ولا يختلطن بأحد .

ظ – راهبات المحبة (١٨٨٦م) ولهن معهد للأيتام والعجزة والعميان في طريق ماملا .

ع – الرهبان الانتقاليون (الأغسطينيون) (١٨٨٧م) ولهم عمارة ضخمة تسمى نوتردام – دي فرانس، قرب الباب الجديد في الشمال لإيواء الحجاج وبه كنيستان ومتحف ومدرسة دينية ومكتبة .

غ – راهبات السجود (١٨٨٨ م) لهن دير أمام المستشفي الفرنسي على طريق سليمان، وبه هيكل باسم القربان المقدس وتري أمامه في أي وقت راهبتين ساجدتين وتتبادل الراهبات السجود مرة كل ساعة .

ف – الرهبان العازريون (١٨٩٠م) ولهم عمارة بباب العمود، اتخذها الحاكم البريطاني في أوائل الاحتلال مقرا له ولهم دير في جنوب مقبرة ماملا .

ق – الرهبان الترابيست (١٨٩١م) لهم دير في اللطرون ويعيشون في صمت تام .

ك – راهبات مريم الفرنسيات المرسلات (١٩١٨م) ولهن دير بباب العمود.

ل – الرهبان الكيوسيون (١٩٣٥ م) ولهم دير في الطالبية ومدرسة بها .

م – الجزويت (اليسوعيون) (١٩٢٧م) ولهم معهد للآثار في حي النيقوفوريه.

وهناك أيضاً إرساليات كاثوليكية اخرى في القدس، منها رهبان وراهبات السالزيان في حي المصرارة ورهبان وراهبات البندكت على جبل صهيون، راهبات الجلجثه والآباء المعزون وغيرهم .. تلك هى الإرساليات الكاثولكية في القدس وهى خاضعة للبابا في روما.. وفي القدس بطريرك ينتدبه البابا لادارة شئون الطائفة اللاتينية .

رابعاً : الأرمن :

كان يقدر عددهم في القدس عام (١٩٤٥م) بنحو ٥٠٠٠ فرد أرمني وهم فئتان : إحداهما فئة تعيش في دير (مار آركنجل) ويسمي بالزيتونه .. ويقع في شرقي دير مار يعقوب .. أما الفئة الاخرى فهى حديثة العهد جاءت إلى القدس بعد إضطهاد الأرمن على يد الأتراك في الحرب العالمية الأولي .. ويعيشون في دير ماريعقوب قرب باب النبي داود في الجنوب، وجدير بنا أن نشير إلى أن الأرمن من حيث العقيدة فئتان : أرمن أرثوذكس وأرمن كاثوليك .. ونذكر من ممتلكاتهم :

- (دير ماريعقوب) ويطلقون عليه دير القديس جيمس الكبير وفيه دار البطريركية ومدرسة للاهوت وبه مكتبة تضم كتباً مخطوطة نادرة .

- (دير حبس المسيح) ويقع على جبل صهيون في حي النبي داود وبه كنيسة صغيرة وفي ساحته عدد من قبور بطاركة الأرمن وأساقفتهم .

- وللأرمن عدة كنائس منها : كنيسة الجلجلة الثانية وهى أمام القبر المقدس وكنيسة (ماريوحنا) في ساحة القيامة (وكنيسة المريمات) أمام قبر المسيح و(كنيسة ماركريكورلوسا فورتيش) ويطلقون عليها كنيسة القديسة هيلانة .

ولهم مدرستان : إحداهما أولية ويسمونها (تركمنشاتس) وأخري يطلقون عليها (علم اللاهوت) .. وفي القدس عدة جمعيات خيرية ودينية أرمنية .

خامساً : الأقباط :

في أواسط القرن الرابع الميلادي نزلت أول قافلة قبطية مدينة القدس، بهدف الاشتراك في تدشين كنيسة القيامة .. وجاءت بعد ذلك قافلة أكبر من الأولي في عهد صلاح الدين، وكانوا مخلصين لصلاح الدين، فرد لهم أملاكهم التي اغتصبها الصليبيون .. وكانت شئونهم تدار بمعرفة رجال الكنيسة الأنطاكية السريانية، لكنهم راحوا ينفرون من السريان في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، فاستقلوا وصار لهم مطران يدير شئونهم .. وتم بعد ذلك الاتفاق بين الكرسيين (الأنطاكي والإسكندري) على أن يتولي أبرشية القدس حبر قبطي يعينه البابا الجالس على الكرسي المرقسي، وأن يجري التكريز بإسم البطريرك الأنطاكي .. ويذكر أن أول مطران قبطي على القدس هو الأنبا باسيليوس عام

(١٢٣٦م) .. ويقدر عدد الأقباط في عام ١٩٥٠ بنحو (١٠٠٠) قبطي .. وللقبط في القدس أملاك ومقدسات كثيرة نذكر منها :

(دير السلطان) وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الشرقية وفيه كنيستان : (كنيسة الملاك) و (كنيسة الحيوانات الأربعة) إغتصبه الصليبيون من الأقباط ورده إلى هم صلاح الدين ولهذا أسموه دير السلطان .

(دير مار أنطونيوس) يعرف بالدير الكبير، وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشمالية الشرقية وفيه كنيستان : (كنيسة القديس أنطونيوس) و(كنيسة الملكة هيلانة)وفيه أيضاً دار الأسقفية .

(دير مار جرجس) في حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل .

(خان الأقباط) في حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة بناه المطران الأنبا إبراهيم عام ١٨٣٩م .

(كنيسة السيدة العذراء) بالحسمانية بجبل الزيتون .

(هيكل على جبل الزيتون) .

(كنيسة ماريوحنا) وتقع خارج كنيسة القيامة .

(كنيسة الملاك ميخائيل) وهى ملاصقة للقبر المقدس من الغرب .

ولهم أيضاً مقبرة على جبل صهيون يدفن موتاهم فيها .. ويدفن فيها أيضاً السريان والأرمن والأحباش .

سادساً : الأحباش :

جاءت أول قافلة للقدس خلال القرن الرابع الميلادي وكانت لهم كنائس وأديرة كثيرة إلا أنهم أضاعوا أكثرها من أيديهم ولم يبق في أيديهم سوى :

(دير الحبش) ملاصق لكنيسة القيامة فوق مغارة الصليب.. وقيل أنه جزء من دير السلطان للأقباط، ذلك الدير الذي لم ينقطع الخلاف حوله بين الأقباط والأحباش منذ سنين .

(كنيسة الحبش) في ظاهر المدينة خارج السور، وإلى الشمال الغربي من المسكوبية، تم بناؤها حوالي عام ١٨٩٠م .. وكان لهم فيما مضى حق التقدم على الطوائف المسيحية الاخرى لكنهم ضعفوا وراحت الطوائف الاخرى تتنازعهم في هذا الحق .. وقد ساءت أحوالهم في القدس في أوائل القرن التاسع عشر وتناقص عددهم إلى عدد يقدر بنحو ثمانين نسمة عام ١٩٤٨ وكلهم ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية.

سابعاً : السريان :

وقد جاءوا إلى القدس منذ القرن الميلادي الأول .. وكانت طائفة قليلة العدد، إلا أن عددهم زاد بتوافدهم على القدس مع الصليبيين .. ولما فتح صلاح الدين القدس رحلوا عنها .. ولم يبق منهم إلا عدد قليل وهم فئتان، أرثوذكس وكاثوليك . وقد جاء ذكر الأرثوذكس في العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب لنصاري القدس (٦٣٦م) ولهم في القدس ممتلكات ومقدسات نذكر منها :

- (دير مارجرجس) في حارة الجواعنة بين حارة الأرمن واليهود .. وفي الدير كنيسة بيزنطية بإسم العذراء ودار للأسقفية .
- (دير العدس) شمال القدس بـ "ايكوهومو" على درب الآلام عام (١٥٧١م) .
- (دير مار توما) ويقع في الشارع المؤدي إلى حي النبي داود .

- هيكل صغير بكنيسة القيامة بإسم "يوسف ونيقوديموس" .
- هيكل في كنيسة ستنا مريم قرب الجسمانية .
- هيكل على جبل الزيتون .

أما السريان الأرثوذكس في القدس فلهم :

- (دير مار مبارك) الذي أنشئ عام ١٩٠٣م وهو يقع إلى الشرق من سلوان، وفيه كنيسة ومدرسة يديرها الآباء البندكتيون.
- (دير باب العمود) ويقع على طريق سليمان .. وقد بني هذا الدير عام (١٩٠١) وبه كنيسة صغيرة .

ثامناً : الموارنة :

ينتمون إلى مار مارون الذي عاش في لبنان في القرن الرابع الميلادي وغير معروف موعد مجيئهم للقدس، وليس لهم فيها سوى دير باسمهم بني في عام (١٨٩٥م) .

تاسعاً : الروس :

كانوا أول من بني خارج السور في مكان واسع يسمى المسكوبية عام (١٨٥٦م) .. وهو على بعد نصف ميل فقط بالقرب من باب الخليل في الغرب وبه دار للأسقفية وكنيستان إحداهما كبيرة .. وتسمي بالثالوث المقدس (ولها سبع قباب مغطاة بالرصاص) والأخري صغيرة باسم القديس إسكندر ينفسكى، ومكان للحجاج .. وقد استخدم الإنجليز مباني المسكوبية وعماراتها كمقار لإدارة مصالح حكومة الانتداب منذ الحرب العالمية الأولي ..وكان للروس أيضاً المقدسات التالية:

– (دير المسكوبية) وهو قريب من باب خان الزيت وإلى الشرق من كنيسة القيامة .

– (كنيسة القديسة مريم المجدلية) على مقربة من الجسمانية ومنها إلى الشرق على سفح جبل الزيتون من الجنوب ولقد أنشئت هذه الكنيسة على نفقة العائلة المالكة تخليداً لذكري والدة القيصر وكان ذلك عام ١٨٨٩م .

– (كنيسة الصعود) وتقع على جبل الزيتون ولهذه الكنيسة جرسية مرتفعة هى أعلى بناء في القدس على الإطلاق .

عاشراً : الألمان :

جاء الألمان إلى القدس في أواخر القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي بهدف الزيارة .. وكانت أول إرسالية ألمانية وطدت أقدامها عام (١٨٥٣م) وللألمان حي يعرف بـ (الكولونية الألمانية) قريب من المحطة إلى الجنوب من المدينة والألمان فئتان :

الفئة الأولي : الألمان البروتستانت : ولهم حي يعرف باسم "الكولونية الألمانية" قريب من محطة السكة الحديد إلى الجنوب من المدينة ونذكر من ممتلكاتهم .

(مدرسة شنلر) المعروفة باسم دار الأيتام السورية وتقع خارج القدس في الشمال الغربي لإيواء المكفوفين وتعليم الحرفيين .

(مدرسة طاليثا قومي) ويطلقون عليها شرلوطة وقد تأسست عام ١٨٦٨م غرب سور القدس من جهة الغرب على طريق الملك جورج .

(المستشفي الألماني) وتقع في الغرب من المدينة في الحي المعروف بالشيخ عكاشة وقد تأسست عام ١٨٩٤م .

(كنيسة المخلص) وتعرف بكنيسة الدباغة، وقد جرى تدشينها بحضور الامبراطور غليوم الثاني عام ١٨٩٨م .

(مدرسة ترازيا) أسستها ترازيا سكس الألماني في عام ١٨٧١م وتقع في الغرب من بركة ماملا .

(منزل أوغاستا فكتوريا) ويقع على جيل الزيتون .. ويسميه العرب (أم الطلعة) بناه الألمان عام ١٩٠٥واتخذه الإنجليز مقراً للحكم ومكاناً يقيم فيه المندوب السامي عام (١٩١٨م) .

أما الفئة الثانية : من الألمان فهم الكاثوليك ومن أملاكهم بالقدس : (كلية شميت للبنات) وقد أسستها الجمعية الألمانية الكاثولكية للأراضي المقدسة عام (١٨٨٦م) .. ويقوم بالتعليم فيها راهبات ألمانيات يساعدن راهبات عربيات .. والمدرسة تقع في الشمال من مصر .

(دير القديس شارل بروميوس) تأسس عام (١٨٨٧م) وهو مخصص لنزول الحجاج الألمان الكاثوليكيين وهو كائن في حي الألمان في البقعة .

(منزل القديس بولس) ويقع شمال باب العمود وبني عام (١٩٠٨م) وجعلته الحكومة البريطانية مقراً لحاكمها عام (١٩١٧م) .

(كنيسة نياحة العذراء) ويسمونها "الدورميشيو" وتقع على جبل صهيون .. غرب مقام النبي داود .

حادي عشر : الإنجليز :

حركة التبشير للدين المسيحي من ناحية البروتستانت بدأت في القدس عام ١٨٢٢م وكان يتزعم هذه الحركة يهودي تنصر إسمه يوسف وولف .. ولم

تكن نقمة المسلمين على هذا الرجل بأقل من نقمة اليهود أنفسهم وكهنتهم .. وزادت حركة التبشير في عهد المطران نيقولا ياسون عام (١٨٣٣م) والمطران ميخائيل الكسندر الذي كان مقره كنيسة مار يعقوب وهو يهودي تصر أيضاً وكان حاخاما في إنجلترا، واستخدمه الإنجليز في الدعاية للمسيحية بين اليهود في القدس وبني كنيسة يسوع تجاه قلعة دواد وتولي بعده صمويل جوبات ١٨٤٦ وقضي ٢٣ عاما في مدرسة صهيون ثم المطران يوسف باركلي سنة ١٨٧٩، ثم جورج فرنسيس سنة ١٨٨٧ الذي أسس مدرسة القديسة مريم لليتامي من اليهود وكنيسة ومدرسة اخرى باسمه ومستشفي في ظهر المدينة . وتلاه المطران جورهام يراون سنة ١٩٣٢الذي أسس (مستشفى مار يوحنا) ١١٢ .. وللإنجليز في القدس مستشفى يطلقون عليه ويسميه المقدسيون (مستشفى البقعة) لأنه واقع في الحي المعروف بهذا الإسم . وقد تأسس هذا المستشفي سنة ١٨٦١ م.

ولهم المكان المعروف بـ Gavden Toom على مقربة من باب العمود وإلى الشمال من السور ويعتقدون أن السيد المسيح صلب في هذا المكان لا في المكان الذي تقوم عليه كنيسة القيامة الآن .

الثاني عشر : الأمريكان :

جاءت أول قافلة أمريكية للقدس عام (١٨٨١م) وكانت هذه القافلة مؤلفة من ١٣ شخصاً على رأسهم هوراثيو سبافورد Horiatio.Spafford وإمرأته وطفلاهما أنا وغريس، فكانت هذه هى النواة الأولي التي تكونت منها بعد قليل المؤسسة المعروفة بالكولونية الأميركية بحي الشيخ جراح .

ونشب بين رجال هذه القافلة والقنصل الأمريكي بالقدس في ذلك الحين صلاح مريل خلاف شديد بسبب قطعة من الأرض كانت للأمريكان على جبل صهيون باعها القنصل المذكور إلى الآباء الفرنسيين (١٨٩٨م)، وكان الأمريكان قبلا يدفنون فيها موتاهم فاشتروا على أثر ذلك أرضاً على سفح الجبل (جبل الزيتون).. وإتخذوها مقبرة لهم .

ويذكر المؤرخون أنه بلغ عدد الأمريكيين المسيحيين في القدس عام (١٩٤٨م) نحو ١٥٠ شخصاً بالإضافة إلى اليهود والعرب الذين تجنسوا بالجنسية الأمريكية بحكم مولدهم أو مصالحهم الشخصية .

وللأمريكيين المسيحيين بالقدس :

(الكولونية الأمريكية) بالإضافة إلى كنيسة واقعة في شارع الأنبياء ومدرسة للبحث عن الآثار الشرقية .. ودار للقنصلية ومنزل للزوار والمسافرين

المقدسات المسيحية والخلافات الطائفية

يقول أحد المؤرخين : "إن السلام الذي بشر به السيد المسيح قد يكون ظاهراً في أي مكان آخر، إلا بين جدران كنيسة القيامة حيث تأصلت العداوة والبغضاء منذ عصور وأجيال اللاتين والأرمن والأقباط وما إلى ذلك من الطوائف المسيحية المتنافرة .. من منهم يصلي قبل الآخر .. ومن منهم يكنس هذه الناحية أو تلك من أنحاء الكنيسة –كنيسة القيامة – وأيهم على صواب في اعتقاده أكثر من الآخر ..

وإنه ليخيل للمرء الذي يتتبع أنباء هذه الاختلافات أنه ليس لهذه الكنيسة التي يقدسها جميع الطوائف المسيحية في العالم أية صلة بتعاليم السيد المسيح" ..وكما ذكرنا سالفاً أن الطوائف المسيحية مختلفة حول مقدساتها ودور عبادتها .. لكن منذ بنيت كنيسة القيامة والخلافات حولها كثيرة نذكر منها بإيجاز :

إنـه بلـغ الخـلاف أشـده بـين الـروم واللاتـين خـلال احـتلال الصـليبيين للقدس (١٠٩٩م) إذ كانت كلمة اللاتين في غضون ذلك الاحتلال هى العليا .

فاستبدوا بالروم، وإغتصبوا منهم بعض أملاكهم، ولما إحتل صلاح الدين القدس (١١٨٧م) تقلص النفوذ اللاتيني وتنفس الروم الصعداء .

فردت إلى هم أملاكهـم، ومن الأمثلة الاخرى اختلاف اللاتين والكرج حول الكنيسة عام (١٤٩٣م) ورفع شكواهما للقاضي المسلم بالقدس، الذي أمر بـأن تقسـم بينهمـا في خـط مـن الشـمال إلى الجنـوب، كمـا تعـددت شـكاوي الأرمن وغيرهم لقاضي القدس، كانـت أحيانـاً تصل إلى دار الخلافة العثمانية في أسطنبول، ومن أبرز المشاكل التي مازالت حتى الآن ادعاء الأحباش بملكية دير السلطان التابع للأقباط، ولهذا قام الحكام المسلمون بتنظيم ملكية الطوائف ومنع حدوث المصادمات بينها بخصوص أحقيتها في دخول القبر المقدس قبل الاخرى يوم سبت النور، فرتـب هـذه العملية مجلس انعقـد في دار المحكمـة الشرعية سنة (١٥٤٢م) برئاسة مجموعة من القضاة المسلمين، بحضور ممثلي الطوائف، وحدد طريقـة الـدخول إلى قبر المسيح ومواعيـد الزيـارة،واتفق الحاضرون على أن يحمـل الرؤسـاء الـدينيون الشـموع المضـاءة بـنفس الترتيـب عنـد خـروجهم مـن كنيسـة القيامة.

واختلفـت الطوائف المسيحية في أواسـط القـرن السـادس عشر: مـن منهـا يحـق لهـا أن تـدخل القـبر المقـدس قبـل الأخـرى في سـبت النـور فانعقـد علـى الآثـرمجلس في دار الحكمـة الشرعية حضـره عـدد مـن قضـاة المسـلمين ورؤسـائهم

ومن ممثلي الطوائف المختلفة، وشهد الشهود، فتقرر أن يكون الدخول إلى القبر المقدس على الترتيب التالي :

(١) رئيس الأحباش (٢) رئيس الروم (٣) رئيس الأرمن

(٤) رئيس الكرج (٥) رئيس السريان (٦) رئيس الأقباط .

وتقرر أن يحمل هؤلاء الرؤساء الشموع المضاءة عند خروجهم من الكنيسة على الترتيب نفسه . وإختلفت الطوائف في عام (١٦٠٧م) حول الجلجلة فأصدر السلطان أحمد الأول فرمانا جاء فيه : (إن الجلجلة يخص الروم) .. وفي عام (١٦٣٢م) حصل اللاتين على أمر من السلطان يقضي على الروم والأرمن بإخلاء القبب الثلاثة الكائنة في كنيسة القيامة وتسليمها مع المفاتيح للآباء الفرنسيين .. وفي عام (١٦٣٤م) حصل الروم على فرمان من السلطان مراد الرابع يمنحهم فيه حق التقدم على الأرمن في إحتفالات كنيسة القيامة . ويمنع اللاتين من التعرض لهم في الكنيسة المذكورة، ولقد وردت العبارات التالية في الفرمان الذي وجهه السلطان إلى نائبه في القدس، قال .. " اعمل بموجب أمري الشريف هذا وإلا قطعت رأسك هكذا، فاعلم" .. وفي عام (١٦٣٦م) صدر بمساعي البابا وفرنسا فرمان ينقض ما جاء في فرمان ١٦٣٤م ويثبت حقوق اللاتين .

وفي المدة الواقعة بين عامي ١٦٤٠ ، و١٦٥٨ قامت منازعات خطيرة بين الروم والأرمن من أجل بعض الأماكن المقدسة ومنها الدير المعروف بـ (دير مار يعقوب) . فاستولي عليه الأرمن في بداية الأمر .ثم استصدر الروم أمراً من السلطان بانتزاعه منهم ثم عاد الأرمن فتغلبوا، وحصلوا على أمر باسترجاعه .

وما كان الخلاف حول هذا الدير ينتهي في كل مرة إلا بسفك الدماء وتدخل السلطة الحاكمة، وفي عام (١٦٦٠م) حصل خلاف بين الروم واللاتين من أجل الصلاة في أحد الشعانين ودام النضال بينهما سبع سنين .. وفي عام (١٦٧٣م) اتفق الأرمن واللاتين ضد الروم .

فقامت على أثر ذلك أعمال شغب .. وحصل الروم على فرمان من السلطان عام (١٦٧٥م) يقضي بنزع كل ما وضعه اللاتين فوق القبر المقدس، وسلم القبر للروم .. وفي عام (١٦٨٩م) حصل اللاتين على فرمان يقضي بمنحهم القباب التي في كنيسة القيامة مع المغتسل ونصف الجلاجل .

كما منحوا حق الصلاة على القبر المقدس . تم ذلك كله إثر تهديد الحكومة الفرنسية لتركيا . وكانت هذه قد غلبت على أمرها في الحرب التي قامت بينها وبين روسيا وبولونيا والنمسا .. وفي عام (١٧١٠م) حصل اللاتين على أمر بتعمير الأماكن المقدسة، وأعفي رهبان الروم من المثول أمام المحاكم لا في القدس ولا في الشام، وإنما في استانبول . واتفق الفريقان (الروم واللاتين) على أن تبقي كنيسة القيامة على حالها، فلا يجري تعميرها ولا تجديدها .

واصطدم الروم بالأرمن عام (١٧٣١م) إذ حصل الأرمن على حقوق قال الروم أنهم ما كانوا ليحصلوا عليها لولا أنهم حرفوا الفرمان الذي صدر في زمن السلطان سليم الأول فإستبدلوا إسم (عطا الله) بـ (سركيس) وكلمة (الروم) بـ (الأرمن)، ولكن السلطان محمود عاد فألغي ذلك الفرمان، وأعاد للروم ما أخذه منهم وإزدادت النار تأججاً عندما أخذت فرنسا بعد معاهدة (١٧٤٠)

تؤيد اللاتين وروسيا تؤيد الروم . ووصل الخلاف إلى درجة أن اللاتين أدخلوا إلى الكنيسة في أحد الشعانين عام (١٧٥٦م)رجالاً مسلحين .

وفي أثناء الصلاة هاجموا الروم . وراح الفريقان يتضاربان ويتشاكيان، فحصل الروم على بعض الحقوق واللاتين على البعض الآخر، وأما قبر يسوع فقد أعتبر مزاراً للفريقين .. وفي عام (١٨٠٣م) أصدر السلطان سليم الثالث أمراً خص فيه الروم بعطفه .

ويظهر أن هذا الأمر قد أغاظ الأرمن فراحوا يبحثون عن طريقة للإنتقام . فأحرقوا كنيسة القيامة عام (١٨٠٨) وأقفلوا أبواب الكنيسة في وجوه رهبان الروم، واللاتين هرعوا إلى المكان ليطفئوا النار .

ولم تنطفئ النار إلا بعد أن كانت قد أتت على الكنيسة، ولم يسلم منها سوى جزء ضئيل، وتمكن الروم من الحصول على أمر من السلطان بتعمير الكنيسة وقامت إثر ذلك بين الروم والأرمن مشاغبات لم يكن في القدس عدد كاف من الجند لإخمادها . لولا أن جاءت قوة من الجند أرسلها أمير الشام . فشتتت هذه شمل الثائرين وحكمت على ٣٤ شخصاً منهم بالموت . فأعدموا شنقاً عام (١٨١٠م) .

أما عام ١٨١١م فكان أقسي الأعوام على المسيحيين في القدس إذ توترت الصلات بين الروم واللاتين وبين الروم والأرمن بسبب إختلافاتهم المتكررة وكانت الخلافات حول شئون تتعلق بالكنيسة .. وقد وصلت إلى حد الهجوم وسفك الدماء وانتهت تلك الخلافات بمنح الروم حق تعمير ما احترق من الكنيسة وتسليم الأرمن جميع الأماكن التي كانت لهم من قبل على أن يدفعوا

للروم المبالغ التي أنفقها هؤلاء من أجل تعميرها، وفيما عدا ذلك فقد تقرر أن يبقى كل شيءفي الكنيسة وفي الأماكن المقدسة الاخرى على ماكان عليه من قبل .

وفي عام ١٨٢٩م حصل الأرمن على فرمان من السلطان يخولهم فيه نفس الحقوق التي يملكها الروم واللاتين في كنيسة القيامة .

وفي عام ١٨٣٣م اختصم الروم والأرمن من أجل كنيسة القيامة ووصلا إلى حد التضارب في داخل الكنيسة بالعصي والحجارة، ودام الخصام إثنين وعشرين يوما ولم ينته إلا عندما صدر الأمر بأن يرجع الأرمن الحجر الذي رفعوه إلى مكانه على مقربة من القبر المقدس .. وفي ١٨٥٢م نشأ بين الروم واللاتين خلاف من أجل نجم فضي وضعه اللاتين في المحل الذي ولد فيه السيد المسيح بمغارة بيت لحم، زاعمين أنه كان في ذلك المكان نجم آخر سرقه الروم وتدخلت روسيا في الأمر، وإعتبرت تركيا تدخلها هذا ماساً باستقلالها وكانت هناك عوامل اخرى أدت إلى نشوب الحرب بين الفريقين وعرفت هذه بعدئذ بحرب القرم وانتهت بإنتصار الأتراك عام ١٨٥٦م وربح الانجليز والفرنسيون إثر ذلك بعض الإمتيازات ذلك لأنهم وقفوا إلى جانب الأتراك، يؤيدونهم ضد الروس .. وفي عام ١٨٦٢م اختلفت الطوائف .. من منها تعمر قبة القيامة فتم الاتفاق بين تركيا وروسيا وفرنسا على أن تعمر تلك القبة على نفقة روسيا وفرنسا باسم الطوائف المختلفة وأن تتولى تركيا نفسها التعمير فعمرت (١٨٦٩م) .

وفي عام (١٩٠١م) قامت مشادة عنيفة بين الروم واللاتين إنتهت إلى معركة دامية أدت إلى إصابة نحو عشرين شخصاً. من اللاتين وجرح مثل هذا

العدد من خيرة الروم . وسبب المعركة أن الروم اعترضوا على اللاتين لأنهم (كنسوا) بعض الدرجات في ساحة الكنيسة . وقال اللاتين إن ذلك من حقوقهم، فتدخل الجنود الأتراك في الحال. وأعادوا النظام إلى نصابه بعد عناء شديد .. وما أسلفنا هى مجرد أمثلة وليست كل الأحداث التي حدثت بسبب اختلاف الطوائف المسيحية .. وهذه بعض الآثار التي مازالت محل خلاف بين الطوائف المسيحية :

أولاً : كنيسة القيامة :

أجمع المؤرخون وعلماء الآثار على أن كل الجلجثة (مكان الصلب) كان واقعاً خارج أسوار مدينة القدس في عهد السيد المسيح .. وكان بالقرب من باب يسمى باب الجنة أو القضاء .. وقد حاول الإمبراطور الروماني "هدريان" أن يمحي هذا الأثر فعمد إلى ردم القبر والجلجثة .. ووضع اليهود فوقها طبقات كثيفة من التراب .. لكن المسيحيين لم يكفوا أبدا عن زيارة هذا المكان المبارك، ويذكر المؤرخون أن كنيسة القيامة بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين عام (٣٣٥م). وأحرقها الفرس عام "٦١٤م" وأحرقوا معها جميع الكنائس والأديار التي كانت يومئذ في القدس فأعاد بناءها عام (٦٣٦م) الراهب مودسطس رئيس دير العبيديين في ذلك الحين . وجدد هيكل القيامة والجلجثة وجزء من المرتيريين .. وما بقي من المساحة الفسيحة بين الأنسطاسيس ومغارة الصليب والجلجثة قد تحول إلى أروقة محاطة بأبواب وكنائس صغيرة .. وعندما فتح المسلمون بيت المقدس عام (٦٣٦م) أعطي عمر بن الخطاب النصارى الأمان ولم يصب كنائسهم بأذي .. ويذكر أنه رفض أن يصلي في كنيسة القيامة رغم أن وقت

الصلاة قد حان .. وأشار اليه البطريرك صفروتيوس أن يصلي مكانه إلا أنه رفض وصلي على مقربة من الكنيسة، حتى لايتخذ المسلمون صلاته بعد ذلك حجة، ويطالبوا بحقهم في كنيسة القيامة .. وفي عهد الخليفة العباسي المأمون رمم الكنيسة مودسطس البطريرك توما الأول عام (٨١٧م) .. وفي عهد الأخشيد سلطان مصر عام (٩٦٥م) أحرقت الكنيسة وسقطت قبتها وجرت محاولات لإعادة القبة، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل .. وفي عام (١٠٠٩م) أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهدمها فهدمت وهدم معها الأوقرانيون وكنيسة قسطنطين ولكن الخليفة عاد فأجاز للنصاري أن يعيدوا البناء من جديد فشيدوا كنيسة القبر المقدس .. وقد شيدت على غير شكلها الأصلي وحال فقرهم دون إتمام الباقي .. وسمح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله للنصاري ببناء الكنيسة من جديد وكان ذلك عام (١٠٣٥م) .

ويذكر المؤرخون أنه في عام (١١٤٠م) قام الصليبيون بتوصيل كل معابد القيامة في كنيسة واحدة، وبنوا شرقي القبر المقدس كنيسة باسم نصف الدنيا، حيث أشيع أنها مركز العالم القديم، وشيدوا برجا للأجراس، واستغرق ذلك العمل تسع سنوات . وعندما فتح صلاح الدين القدس، أشار عليه بعض أصحابه بأن يهدم كنيسة القيامة، كي لايبقي لمسيحي الغرب حجة لغزو القدس مرة أخري، فرفض وأمر المسلمين ألا يصيبوها بسوء . وقيل أنه في عهد صلاح الدين سلمت مفاتيح القيامة إلى عائلتين مسلمتين، هما عائلتا نسيبة وجودة . ولايزال أحفادهما يحتفظان بهذا الحق للآن . على أساس أن المفاتيح بيد آل جودة . أما عملية فتح الأبواب وإغلاقها فمن واجب آل نسيبة . والأرجح أن ذلك العمل

تم في عهد السلطان سليمان العثماني . ويري البعض أن ذلك قد تم بناء على رغبة الروم حيث كان الخلاف على أشده بين الروم الأرثوذكس واللاتين أثناء الاحتلال الصليبي كما سبقت الإشارة، حيث تمكن اللاتين من السيطرة على القيامة إلى أن أعادها صلاح الدين للروم .. وبعد حريق عام (١٨٠٨م) الذي امتد من كنيسة الأرمن إلى أنحاء كنيسة القيامة، والذي لم يسلم منه سوى جانب من الجلجثة وكنيسة القديسة هيلانة وهيكل اللاتين، امتد اللهب إلى أنحائها فسقطت القبة .. وفي عام (١٨١٠م) حصل الروم على إذن من السلطان محمود الثاني بترميم الكنيسة، فرمموها، وشادوا فوق القبر المقدس البناء الكائن إلى اليوم .. وتصدعت الكنيسة إثر الزلزال الذي حدث في القدس في عهد إبراهيم باشا عام "١٨٣٤م" وقد رممت الكنيسة بعد ذلك مرات عديدة، إلا أن آخر ترميم جرى لها في أواخر القرن التاسع عشر يوم إنفقت الدول الثلاثة (فرنسا وروسيا وتركيا)علي أن تقوم الدولتان (فرنسا وروسيا) بنفقات التعمير، وأن تتولى تركيا الإشراف على التعمير وكان ذلك في عام (١٨٦٩م).

وقد أصابت الكنيسة ما أصاب غيرها من العمارات القديمة إثر الهزة الأرضية التي ألمت بالقدس عام ١٩٢٧م، فتداركت الحكومة البريطانية المنتدبة الأمر بما تيسر من الوسائل التي تساعد قليلا على درء خطر عاجل ولا تدفع خطرا مستقبليا .. فقد شدت سقف الكنيسة بالخشب والحديد المسلح (١٩٣٠ – ١٩٣٣م) وكذلك فعلت الحكومة البريطانية إزاء زلزال عام "١٩٣٧م" ، وتقع كنيسة القيامة الحالية بالقرب من باب الخليل، والطريق الذي يؤدي إليها يسمى حارة النصاري، ويوصل إلى سوق القيامة وهو مكان فسيح يقف فيه

باعة التحف والمسابح والأيقونات الدينية والشموع التي تباع للحجاج والسياح . وأمام الكنيسة ميدان فسيح مربع يسمى ساحة القيامة، كان يقف فيه الزوار منذ عهد السلطان العثماني سليمان القانوني لدفع رسوم دخول الكنيسة، حتى عهد إبراهيم باشا الذي ألغي هذه الرسوم سنة ١٨٢٢ . بعد خضوع المدينة المقدسة للحكم المصري .. وعند المدخل نجد ثلاث درجات عليها آثار أعمدة المدخل القديم، ومنها عمود قائم حتى الآن، يرجع للقرن التاسع .. ويكتنفه جدار من جهاته الثلاثة، حيث توجد كنيسة مار يعقوب الصغير وكنائس مار يوحنا ومريم المجدلية والأربعين شهيدا (وهي تسمى أيضاً بالثالوث الأقدس)، وفيها مكان قديم للعماد، وقبور لبعض بطاركة الروم الأرثوذكس بالقدس . وفي إلى مين ثلاثة أبواب، يوصل أحدها لدير الروم المسمى بإسم القديس إبراهيم، وقد أخذوه من يد الأحباش، والثاني يوصل لجرس المنارة . ومن الباب الثالث ندخل إلى كنيسة الملاك ميخائيل القبطية ثم كنيسة الإفرنج، التي يصعد إليها بإثنتي عشرة درجة حجرية، حيث كان مدخل الجلجثة الذي سده اللاتين سنة ١١٨٧، وجعلوه هيكلا باسم "أم الأحزان ويوحنا الحبيب"، وتحته هيكل بنفس حجمه بإسم القديسة مريم المصرية (التي كانت امرأة شريرة، أتت من الإسكندرية سنة ٣٧٣ مع الحجاج المصريين باستخفاف، وأرادت دخول كنيسة القيامة فأحست كأن يدا غير منظورة تمنعها من الدخول، فتابت وعاشت في قفار الأردن ٤٨ عاما في زهد وتقشف وعبادة .

وبعد ذلك نتجه مباشرة نحو باب القيامة الرئيسي في جنوب الكنيسة وكان هناك باب آخر في الغرب، يدخل منه الزوار من ناحية حارة النصارى ولكنه سد سنة ١٨٠٨م . وبعد الدخول نجد على شمال الباب الرئيسي مكان

البوابين المسلمين، وعن يمينه سلالم الجلجثة، وأمامه حجر أحمر إرتفاعه نصف ذراع يسمى المغتسل وفي هذا المكان أنزل يوسف الرامي ونيقوديموس اليهودي جسد المسيح من على الصليب، ووضعوه على هذا الحجر، بعد أن وضعوا عليه الطيب والحنوط . وكان في هذا المكان هيكل بإسم العذراء مريم أزاله الإفرنج عند بناء الخورس الفسيح، وأمام المغتسل يوجد القبر المقدس الذي دفن فيه المسيح، وأضيف اليه هيكل الملاك مكشوفا، وغطيت القبة والجدران بالرخام في القرن التاسع، أما في القرن الحادي عشر فقد وضع الصليبيون تمثالا فضيا للمسيح، أكبر من الحجم الطبيعي بقليل، ثم غطوا قبة القبر المقدس بصفائح فضية مطلية بالذهب، ثم أقيمت ثلاثة جدران حول هيكل الملاك .

وفي سنة ١٥٤١ جدد الأب بونيفاسيوس راغوس القبر وزينه وسد بابي هيكل الملاك، فلم يبق له إلا الباب الأوسط . وفي سنة ١٥٤٥ أقام الأقباط هيكلا لهم، وراء القبر المقدس من الغرب ظلوا محتفظين به للآن، رغم محاولات الكثيرين انتزاعه منهم .. وبعد حريق سنة ١٨٠٨ حرم الروم الأرثوذكس القبة تماما وأزالوا انحناء الواجهة، فجعلوها على زاويتين قائمتين بعد أن كانت على شكل نصف دائرة، وأما الرخامة التي على القبر المقدس فهى قديمة، فقد أشار إليها أحد الزوار سنة ١١١٢م وقال أنها كانت مثقوبة بثلاثة ثقوب تمكن الزوار من النظر إلى الصخر وتقبيله . وإذا سرنا شمال القبر نجد هيكل القديسة مريم المجدلية، حيث قابلت المسيح بعد قيامته وظنته البستاني (يوحنا٢٠:١).

وفي شماله تصعد أربع درجات إلى كنيسة ظهور المسيح للعذراء مريم بعد القيامة كما يذكر التقليد، وفيها مذبحان في أحدهما قطعة صخرية من العمود

الـذي جلـد عليـه الجنـد الرومـان السـيد المسـيح وطولهـا ٧٥ سـم . ووراء هـذه الكنيسة يقع دير الفرنسيسكان ثم منحني البتول، وهو ممر مظلم قائم على سبع قناطر، يقود في آخره إلى هيكل صغير مظلم قائم على قنطرتين، يسمى هيكل حبس المسيح (وربما ترجع هذه التسمية إلى أنه كان يضم ذخائر الآلام)، ويرجع للقـرن ١٤م. وقـد أكتشـف في أوائـل القـرن الحـالى، علـى بعـد عشـرة أمتـار في الشمال الشرقي من قبر يوسف الرامي، مما يدل على أن هـذه الأماكن كانـت في ظهر المدينة المقدسة خارج الأسوار أيام المسيح، كما سبقت الإشارة، لأن الدفن بالمدينة كان محرماً لدى إلى هود.

وبعد ذلك نجد هيكلا نصف دائري للقديس لونجينوس (وهو الجندي الروماني، الذي طعن المسيح بحربته فنزل من جنبه دم وماء، وهو على الصليب حسب ما جاء في الإنجيل، ويقول التقليد أنه آمن بالمسيحية فيما بعد) . وقد ذكر بعض الحجاج منذ القرن الخامس أنهم شاهدوا – في هذا المكان – الحربة والاسفنجة، التي سقي بها الجند المسيح ثم أدخله الصليبيون مع بقية الهياكل المجاورة للقبر المقدس في إطار كنيسة القيامة، وفي محل موضع صليب المسيح على التل نجد فراغا مغطي بالفضة عن يمنيه وعن يساره حجران من الرخام الأسود يشيران إلى موضع صليبي اللصين !

وهناك قطعة من الصفيح المعدني تحتها إنكسار في الصخر أحدثته الزلزلة التي تمت حينما أسلم المسيح الروح، وهو عبارة عن شق إتساعه ١٥ سم ! وتحت الجلجثة ينحدر سلم إلى ممر ضيق مظلم يسمى معبد آدم (حيث يظن البعض أنه يضم جمجمة آدم)، وعن يمينه يقع قبر جودفري أول ملك صليبي

للقدس (١١٠٠م)، وعن شماله قبر الملك بودوان الأول الصليبي (١١١٣م)، وكان هناك الكثير من المقابر الصليبية في هذا المكان، أتلفها الفرس أثناء هجومهم الثاني سنة ١٢٤٤م وأزيل الباقي تماما سنة ١٨٠٨م، مع كل الكتابات والشواهد اللاتينية الموجودة عليها .

ثم نجد بعد ذلك هيكلا آخر باسم ملكي صادق الكاهن، وأول حاكم يبوسي لأورشليم وقيل أنه صلى مع إبراهيم الخليل في هذا المكان عندما التقيا قديما كما تقول التوراة، وتتوسط كنيسة نصف الدنيا أبنية القيامة (ويزعم العامة أن مركز العالم تحت قبتها تماما) ولها جدران تنتهي بأروقة طويلة من جهاتها الثلاث، عليها صور ورسوم روسية قديمة، وإذا خرجنا منها من ناحية هيكل الملاك في الغرب نجد حاجزا (درابزينا) حديديا عاليا يليه هيكل اللاتين، حيث يقيمون طقوسهم أمام القبر المقدس .

ثانياً : دير السلطان :

هو الدير الوحيد بين المسيحية، الذي يحمل اسماً إسلامياً، لأن كلمة السلطان لا تطلق إلا على ملوك المسلمين، وقد جرى العرف على تسمية الأديرة المسيحية بأسماء القديسين، وهناك عدة آراء بخصوص هذه التسمية . فقد قال البعض أنه هبة من أحد السلاطين لأقباط مصر، فنسبوه اليه إقراراً بفضله، وقيل أن هذا السلطان هو صلاح الدين نفسه، ويذكر وليامز السائح (Wiliams) أنه لما زار هذا الدير سنة ١٨٤٢ روى له قسيس بأن أحد سلاطين المماليك عرض على كاتبه القبطي نظير إخلاصه في خدمته مدة طويلة مكافأة

مادية، فاعتذر عن قبولها، وإلتمس أن يسمح له بتعمير الدير الخرب بالقدس، ومن هنا جاءت التسمية، وهذه القصة – وإن كانت لا تؤيدها الأسانيد التاريخية أو الأثرية لكنها تعني تجديد الدير، وأنه كان في يد الأقباط قبل سقوط دولة المماليك . وفي رواية اخرى للكاتب دي سولسي أن الدير شيدته السلطانه روكسلانا (Roxo Lana) زوجة سليمان العثماني، ولكن هذا الرأي ليس له ما يبرره، حيث أنه من المعروف في تاريخ المدينة المقدسة أنها أقامت ما يعرف بتكية "خاصكي سلطان" سنة ١٥٥٢ في عتبة المفتي فقط، ولم تنشئها بدافع التقوي، ولكن لمجرد التظاهر بالتدين فقط .

وهذا الدير يقع بجوار كنيسة القيامة، داخل نطاق موضع الصليب، .. وهو مهم للأقباط، لأنه طريقهم للوصول من دار البطريركية (دير مار أنطونيوس)، إلى كنيسة القيامة، ومساحته ١٨٠٠ متر مربع .. وتقع مساحته فوق كنيسة القديسة هيلانة وفي الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الساحة تقع كنيستان تاريخيتان هما كنيسة الأربعة حيوانات ومساحتها ٤٢م٢ ، ويحيط بها من ناحيتها الشمالية والغربية سياج حديدي يفصلها عن الممر الذي يسير محاذيا لها إلى السلم المؤدي إلى كنيسة الثانية . التي على إسم الملاك ميخائيل وهى في الدور الأرضي ومساحتها ٣٥م٢ ! وفي وسط مساحة الدير المذكور تبرز قبة كنيسة هيلانة، وفي الجهة الغربية منها، توجد الغرف التي يقيم فيها الرهبان الأحباش وفي إحداها كنيسة لهم .

وقد حافظ الأقباط على هذا الدير . ولم ينتزع منهم إلا عندما احتله الرهبان اللاتين إبان الاحتلال الصليبي للقدس، ولكن صلاح الدين أرجعه إلى

هم بمجرد دخوله القدس، وفي عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب أمر بإعادة بناء سوره، كما أمر الملك المنصور قلاوون عام (١٣٩٠م) بألا يمنع الأحباش من دخول هياكل القيامة أو دير السلطان بناء على طلب ملك الحبشة لأن اللاتين الموجودين هناك كانوا يضايقونهم وليس معنى هذا ملكية هذا الدير للأحباش – لأن رتشموند – الذي كان مديرا لمصلحة الآثار بفلسطين أيام الانتداب البريطاني – قد ذكر أنه منذ عام (١٤٠٠م) كان للأقباط حقوقهم بمقدسات للقيامة، وعلي كل فإن موضوع إثبات ملكية هذا الدير للأقباط قد كتب فيه الكثيرون مؤيدين أقوالهم بالوثائق القديمة وهناك مجموعة منها نشرها الأنبا تيموثاوس مطران القدس القبطي الأسبق بهذا الخصوص، ونذكر منها على سبيل المثال وثيقة ذكرها عبد الله حسين وهى بتوقيع القاضي الشرعي بالقدس في ١٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ (٢٢أغسطس سنة ١٦٨٦م) وهى تبدأ بالآتي:

بالمجلس الشرعي المحرر المرعي أجله تعالى لدى جناب سيدنا وملكنا ومولانا أقضي قضاة الاسلام، وأولي ولاة الأنام بدر سماء المعالي الفخام الحاكم الشرعي الموقع خطه الشرعي وختمه الكريمين في أصله أعلاه دام فضله وزاد علاه لما كان سابق على تاريخ أدناه كشف على دير طائفة نصاري القبط بمحمية القدس المنيف المعروف قديما بدير السلطان بمحلة النصارى المحدود بمقتضي حجته السابقة الآتي بيانها فيه يطلب المعلم سالم إلى نا المتكلم على أوقاف نصاري القبط ووجد الدير المذكور مشرفا على الخراب وبعض أماكن فيه تحتاج إلى الترميم والتبطين والعقادة والكحلة الضرورين، وأذن مولانا الحاكم الشرعي المشار اليه للمعلم سالم المتكلم المسطور أعلاه بترميم وتبطين .. إلخ "وقد ختمت هذه الحجة بخاتم فضيلة القاضي الشرعي الشيخ أحمد راقم" .

وعلي كل فالخلاف بين الأحباش والأقباط على ملكية هذا الدير يحتاج إلى بحث طويل ودراسة في الوثائق والكتابات القديمة .

ثالثاً : دير مار أنطونيوس :

يقع شمال كنيسة القديسة هيلانة بالقيامة وقد أصلح وأضيفت اليه مبان جديدة عام (١٨٧٥م) بتبرعات أغنياء القبط، وعمر مرة اخرى عام (١٩٠٧م)وبعد خمسة أعوام صار لائقا لجعله مقراً للمطرانية القبطية بعد تجديد كنيسته وأساساته القديمة وقد ذكر الكثير من الزوار والرحالة، مستودع مياه باسم القديسة هيلانة، يوجد بداخل الكنيسة القبطية الصغيرة بإسمها في الدور الأرضي من الدير، وللمستودع (البئر) سلم دائري للهبوط عليه للحصول على المياه وهو مكون من احدى وخمسين درجة، وعلي بعد ستة أمتار من هذه الكنيسة تقع المرحلة التاسعة من مراحل حمل الصليب، التي سقط عندها المسيح للمرة الثالثة كما سيجيء بعد قليل في وصف طريق الآلام.

وتوجد بالدور الأول من الدير كنيسة باسم القديس أنطونيوس وهى ملاصقة للحائط الشمالي لكنيسة القيامة، وأمامها فناء واسع يقع على سطح الدور الأرضي يحده من الجنوب والشرق مساكن الرهبان ومقر رئاسة الدير والكلية الأنطونية، وقد دشن هذه الكنيسة الأنبا تيموثاوس عام (١٩٠٣م) كما يتضح من الكتابة المدونة فوق بابها ولها هيكل واحد، وقد قام المطران الحالي الأنبا باسيليوس بإصلاحها وشيد لها منبرا جديدا، أما في الدور الثالث فنجدكنيسة اخرى أنشأها في احدى الحجرات المطران الراحل الأنبا ياكوبسوس

تذكاراً للعذراء .. أما الدور الرابع فهو مقر المطران وبه غرف لنزول الضيوف والحجاج وبه مكتبة فخمة .

وقد أدت رعاية السريان للأقباط أن استولوا على عدة أماكن مقدسة قبطية مثل منزل القديس مرقس الرسول الذي كان مقرا لمطارنة القبط الذين كانوا يفدون على المدينة المقدسة قبل اتخاذ الدير الحالي مقرا لهم، ولهذا أقام البابا كيرلس الثالث السكندري " الأنبا باسليوس" أول مطران قبطي للكرسي الأورشليمي عام (١٢٣٦م) .

رابعاً : دير مار جرجس :

دير قبطي يقع في حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل ويرجع للقرن السابع عشر، وقال الأثري روبنسون بأنه يقع في الجانب الشمالي لموقع بركة حزقيا (٢ملوك٢٠:٢٠) ، والدير فيه كنيسة بها هيكل واحد يصلي فيه قداس كل يوم خميس ويقيم به الارمن قداسا عندما يحتفلون بعيد الشهيد مارجرجس في يوم ٧ أكتوبر من كل عام وذلك مقابل إقامة الأقباط قداساً ليلة عيد الميلاد وصباحه على مذبح الأرمن بكنيسة المهد الأرمينية ببيت لحم، وبالدير مدرسة بإسم القديسة دميانة للبنات وهى إبتدائية وثانوية وتلقي إقبالا كبيراً من أهل القدس من المسلمين والمسيحيين على السواء .

خامساً : القلعة (برج داود) :

تقع عند باب يافا الغربي، ويذكر أحد كتبة العرب من رهبان دير مار سابا وكان أسيراً عند الفرس، أنه رأي فيها هيكلا للمسيحيين ومحراباً للمسلمين

بإسم النبي داود والحصن الحالي مع الفناء الذي أمامه إلى الشرق هو مكان القصر الثاني الذي شيده الملك هيرودس الكبير لسكناه، وهناك أتاه المجوس يسألونه عن المسيح .. أين هو المولود ملك إلى هود؟ (متي ٢: ٢) وعندما دمر تيطس القدس سنة ٧٠م لم يهدم هذا الحصن ولكن الامبراطور سافيروس خربه فأعاد هدريان تشييده على شكل قلعة، ثم تخرب عدة مرات خاصة في عهد الخليفة المعتصم سنة ١٢١٩م .. وأما البناء الحالي فقد تم في عهدي سليم الأول وسليمان الثاني في القرن السادس عشر ماعدا الزاوية الجنوبية الشرقية فهى من بقايا ماشيده هدريان وقد استخدم في أوائل القرن العشرين كمعرض للصناعات الفلسطينية القديمة .

سادسا : دير القديس يعقوب الكبير :

دير أرمني يقع بجوار القلعة في حارة الأرمن التي تقع عن يمينها بساتين البطريركية الأرمينية وعن شمالها مقري مدير الدير والبطريرك وكنيسة الرسول يعقوب الكبير التي شيدت في مكان استشهاده، كما يقول التقليد الكنسي حيث قطعت رأسه سنة ٤٤م بأمر الملك هيرودس أغريباس الأول حفيد هيرودس الكبير بإيعاز من إلى هود، وترجع الكنيسة إلى القرن ١٢م وترممت في القرن ١٣م وكان لها قبة قائمة على أربع دعائم من جهة وعلي الجدران من جهة اخرى وقد أزيلت الأعمدة عام ١٢١٩ ولم يبق منها إلا تيجانها المربعة المغطاة بألواح القيشاني الأزرق الأسباني وعند الحائط الشمالي هيكل صغير، حيث قطعت رأس الشهيد وبه كرسي قديم يدعونه عرش يعقوب الرسول وقد خضعت هذه الكنيسة لأسبانيا، وكان لم يزل شعارها عليها حتى القرن الثامن عشر، على

أساس أن هذا الرسول هو مبشر أسبانيا وشفيعها وأمامها مطبعة ومنزل للغرباء ومدارس البنين والبنات وفناء به مسكن طلبة اللاهوت، ومتحف صغير ثم دير الزيتونة للراهبات الأرمينيات وكنيسة باسم الملائكة القديسين (وترجع للقرن ١٢م) وهى مبنية محل منزل حنان حمو قيافا رئيس الكهنة حيث اقتاد الجند الرومان السيد المسيح بعد ما قبضوا عليه في بستان جثيماني (وكان يوسيفوس قد ذكر أن حنان هذا كان رئيسا للكهنة أيضاً وبقي في منصبه ٩ سنوات حتى عزله الوالي غراتوس وبقي صهره في وظيفته ١٩عاماً ومع أنه كان معزولا أيام القبض على المسيح إلا أنه ظل مسيطرا على مجمع إلى هود، ولهذا السبب أقتيد يسوع اليه أولاً) .

وقد ذكرت المخطوطات القديمة، الموجودة بالدير أنه سمى بالملائكة لأنها سترت وجوهها عندما صفع الخدم وجه المسيح في هذا المكان .. وبعد ذلك نصل إلى دهليز يقود إلى باب النبي داود الواقع في السور الجنوبي حالياً، الذي شيده السلطان سليمان الثاني عام (١٥٤١م)، وأخذ حجارته من السور القديم، وعلي بابه كتابة لاتينية من فرقة رومانية في ذكري انتصارها في عهد تراجان عام (١١٦م) .

سابعا : كنيسة القديس توما :

تقع في زقاق بالقرب من كنيسة الرسول يعقوب الكبير، وقد جعلت جامعا بعد خروج الصليبيين، ثم تهدم الجامع، وبنيت محله كنيسة بمعرفة الألمان في القرن الماضي، وظلت في أيديهم بعد ذلك .

ثامنا : دير السريان :

وهو منزل مرقص الرسول، ويقع على بعد ٢٠٠ متر في شمال شرقي كنيسة القديس توما، وفيه يقيم أسقف السريان، وقد استولي السريان عليه من الأقباط أثناء رياستهم الدينية عليهم وقد ذهب إلى هذا المكان القديس بطرس الرسول، بعد أن أنقذه الملاك من السجن (أعمال الرسل ١٢:١٣) . وكنيسة الدير الحالية ترجع للقرن ١٢م ، وأقيمت على آثار قديمة قبلها، ربما ترجع للقرن السادس وعلي هيكلها صورة قديمة جدا للعذراء مريم، قيل أنها من رسم القديس لوقا الانجيلي، وهناك حوض معمودية رخام قيل أن العذراء مريم تعمدت فيه .

تاسعا : كنيسة الثلاث مريمات :

هي كنيسة صغيرة .. وقد قال البعض أن هذه الكنيسة في موضع كنيسة القديس يعقوب الرسول، ولكن المرجح غير ذلك لأن كثيرين قالوا أن كنيسة هذا الرسول كانت في شرقي هيكل سليمان (أي في محل إستشهاده . حيث رماه اليهود من فوق الهيكل ثم ضربه أحدهم بمدق فسقط شهيدا) . وقد كانت هناك كنيسة اخرى في شمال كنيسة الثلاث مريمات، أمام مدخل حصن داود جعلت بيتاً للسكني في أوائل القرن الحالي .

عاشراً : كنيسة القديسة حنة وبركتا بيت حسدا :

بالقرب من بوابة "ستي مريم" يقع دير للآباء البيض، يسكنه كهنة من الإغريق الكاثوليك، وبه متحف الكتاب المقدس، وأصله دير قديم أشار اليه نبؤدوسيوس الشماس في زيارته للمقدس عام (٥٣٠م) وفي عهد الصليبيين صار

ديراً للراهبات، وبعد دخول صلاح الدين للمدينة المقدسة عام (١١٨٧م) تحول إلى مدرسة عاليه للقرآن عرفت بالصالحية ٤ ثم تخرب في القرن الخامس عشر وكان في فنائه كنيسة باسم القديسة حنه والدة القديسة مريم العذراء حيث تذكر التقاليد القديمة أنه منزل حنه وزوجها يواقيم.

وفي عام (١٨٥٦م) منح السلطان عبد المجيد خرائب الكنيسة وتوابعها هدية للإمبراطور نابليون الثالث ملك فرنسا (لنوال بعض المكاسب السياسية كما سبق القول) فرممها وفتحها للعبادة وأعاد بناء الدير القديم ثم سلمه للآباء البيض، وبالقرب من هذا المكان في الشمال الغربي أكتشفت صدفه سنة ١٨٦٠ آثار بركة حسدا وكانت خريطة الرحالة ماديبا Madeba القرن الخامس قد حددت موقع البركة في هذه البقعة وقد سماها القديس يوحنا الرسول في إنجيله (٥ : ٢) باسم بركة بيت حسدا، ومعناها بيت النعمة ٤ وكانت لها خمسة أروقه، وفوق الجزء الشمالي منها تقع كنيسة بيزنطية تسمى العذراء بروباتيكا St. Maria probatika (وتعني باليونانية الضأن) وترجع لسنة ٣٨١م وقد سميت البركة بهذا الاسم أيضاً (يوحنا ٥٠) لقربها من باب الضأن في السور الشرقي للقدس، وطبقا لما رواه المؤرخ يوسانيوس القيصري (القرن الرابع) يتضح أن هناك بركتين بجوار بعضهما، إحداهما أستخدمت لغسل الأغنام التي كانت تقدم كذبائح في هيكل سليمان ولذا سميت ببركة الضأن، وقد ذكر المؤرخ جيير Geyer أن سائحاً من بوردو زار أورشليم سنة ٢٣٣م – حكي له أنه رأي بركتين كبيرتين بجوار الهيكل وقصر هيرودس وقد جفت هاتان البركتان وطمرهما التراب على مر الزمن.

حادي عشر : طريق الآلام (Rla Doiorosa) :

يعتقد المسيحيون أن هذا الطريق هو الذي سار فيه السيد المسيح حاملاً الصليب من قصر بيلاطس حتى الجلجثة أي عبر القدس من الشرق إلى الغرب، ويقسم إلى ١٤ مرحلة وصفها كما يلي :

المرحلة الأولي : وتبدأ من قصر ببلاطي حاكم القدس أيام القبض على المسيح (٣٣م) بمكيدة اليهود والحكم عليه بالموت صلباً، وليس هناك خلاف بين المؤرخين والأثريين في القصر المذكور كان إلى الشمال الغربي من هيكل سليمان فيما كان يدعي بحصن أنطونيا، وكان له فناءان، كانت محاكمة المسيح في أعلاهما وهو الداخل حيث امتنع اليهود عن الدخول لئلا يتدنسوا حسب اعتقادهم قبل عيد الفصح ولذا كان بيلاطس يكلم اليهود من الفناء السفلي الخارجي .

المرحلة الثانية : ويحددها معبد التكليل ويرجع للقرن ١٢م وأقيم تخليداً لذكري وضع اكليل الشوك على رأس المسيح إمعاناً في تعذيبه وهو بناء قائم الزوايا مربع طول ضلعه ٨ أمتار، تعلوه قبة ترتكز على ركائز بارزة من الجدران يجمعها إفريز مثمن الأضلاع يدور حولها .

المرحلة الثالثة : عند كنيسة أجيا صوفيا التي تخربت عام (٦١٤م) أثناء هجوم الفرس فأعاد المسيحيون بناءها في القرن ١٢م أما الحجر الذي كان المسيح واقفا عليه أثناء سماع الحكم بالموت، فقد نقل لكنيسة العلية في جبل صهيون جنوب القدس (خارج الأسوار)وكان موجوداً في الفناء السفلي لقصر هيرودس .

المرحلة الرابعة : وتميزها كنيسة الجلد (أو حبس المسيح) وكنيسة الحكم بالموت ويقعان داخل دير الفرنسيسكان والكنيسة الأخيرة قديمة جداً وطول ضلعها ١٠ أمتار ولها قبة على أربعة أعمدة وتقع في المكان الذي بدأ فيه المسيح حمل الصليب إلى تل الصليب (المسمي بالجلجثة)، أما الكنيسة الأولي فهى على بعد خطوات من الاخرى وقد أخذها العرب لكن هارون الرشيد أرجعها للمسيحيين (مع كنيسة أجيا صوفيا القريبة منها) وقد تخربتا في القرن الثاني عشر، فأعيد تشييدهما ثم إستولي عليهما الرهبان الفرنسيسكان عام (١٦١٨م) وخرجتا من قبضتهم ثم عادتا إلى هم مرة اخرى سنة ١٨٣٨ حيث أعادوا ترميمها وظلتا معهم حتى الآن .

المرحلة الخامسة : وتقع عند ما يسمى بقوس "هوذا الرجل" وهو قوس قديم أقيم في الحائط وتحت طرفيه حجران وقف المسيح على أحدهما ووقف بيلاطس البنطي الوالي على الثاني، وقال مشيراً إلى المسيح باللاتينية Occo Home أي "هوذا الرجل" وقد تسمى القوس بهذه التسمية منذ القرن ١٦م وتقع تحته كنيسة بنفس الإسم خارجها دير المراهبات به جزء من البركة التي أقام هيرودس فوقها قناطر حجرية تقسمها ثم شيد فوقها حصن أنطونيا (نسبة إلى العاهل الروماني المعاصر له وهو مرقس أنطونيوس) ويعتبر قوس هوذا الرجل أحد ابوابها .

المرحلة السادسة : ينحدر الطريق بعد ذلك إلى محل سقوط المسيح من التعب، وهنا إقتربت العذراء مريم منه وسخر الجند الرومان سمعان القيرواني (الليبي) لحمل الصليب عن المسيح وتتميز هذه المرحلة بعمود قديم مكسور بجوار

معبد الفرنسيسكان وكنيسة حديثة للأرمن الكاثوليك، وقد أكتشف أثناء حفر الأساسات طريق مرصوف بالفسيفساء وعلامة قدمين يظن أنهما قدمي المسيح.

المرحلة السابعة : ينحرف الطريق بعد ذلك نحو الجنوب، وعند زاويته الجنوبية شيد الفرنسيسكان حديثاً كنيسة باسم سمعان القيرواني وهى تدل على هذه المرحلة .

المرحلة الثامنة : بعد صعود ٨٠ خطوة توجد قطعة من عمود في حائط تدل على موقع هذه المرحلة، حيث دنت من المسيح إمرأة تسمى فيرونيكا (أي المحبة) خرجت من دارها ومسحت وجهه الكريم بمنديل فانطبعت صورة وجهه عليه كهدية منه جزاء لعملها العظيم، ويقال أن هذا المنديل مازال موجودا في روما حتى الآن وقد وجدت في هذه البقعة بعض القناطر المنغمسة في التربة جعل الروم الكاثوليك تحتها هيكلا كما بنوا فوقها هيكلا آخر بإسم هذه القديسة، وقد شوهد عند حفر الأساسات وجود آثار بيت يهودي قديم أجمع الأثريون على أنه يرجع للعصر الروماني وهو الذي عاشت فيه القديسة فيرونيكا عندما مر أمامه المسيح .

المرحلة التاسعة : بعد ٣٠متراً نصل إلى مكان السور الغربي (الذي كان في عهد هيرودس) وكان به في عهد المسيح أحد أبواب المدينة من الغرب وسماه المسيحيون باب القضاء لأن بيلاطس علق على أحد أعمدته حكم الموت على المسيح على حسب العادة السائدة في ذلك العصر، وهنا سقط المسيح ثانية وفي الزاوية الغربية من الطريق هيكل صغير نصعد منه إلى كنيسة أكبر، وفي الطريق قناة عميقة محفورة في الصخر يقوم عليها عمود رخامي قاعدته في حائط روماني

طوله ٧أمتار ويقرر علماء الآثار أنه كان موجوداً عندما مر موكب المسيح إلى الجلجثة .

المرحلة العاشرة : بعد إجتياز الطريق عبر باب العمود (أو القضاء) نجد منزلا للبروتستانت الألمان، ثم مكانا خاليا كان أيام المسيح خارج السور الغربي وهنا نظر المسيح زمرة من النساء اليهودي ات يبكين عليه فإلتف نحوهن وقال لهن "يابنات أورشليم لاتبكين علي، بل على أنفسكن وعلي أولادكن" وعند حائط إلى الشمال نجد رسماً بارزاً لصليب يشير إلى هذه المرحلة .

المرحلة الحادية عشر : بعد نزول ٢٨ درجة على سلم عريض ملتوي وراء منزل مرتفع للرهبان الروس نسير ٩٠ مترا فنصل إلى باب المطرانية القبطية (دير مار أنطونيوس) حيث نجد عمودا في الجدار يدل على هذه المرحلة التي سقط عندها المسيح للمرة الثالثة وهو حامل للصليب، وقيل أن المسيح فعل ذلك إما لكي يسترجعه أو لأن الجنود أجبروه على حمله حيث جرت عادة الرومان على أن يحمل المحكوم عليه آلة عذابه إلى موضع تنفيذ الحكم وإلى شمال المطرانية القبطية يتم الإنحدار على بعض درجات إلى سطح تنفذ في وسطه كنيسة القديسة هيلانه (مغارة وجود الصليب) وهو أسفل كنيسة قسطنطين (المرتيريون).

المراحل الثلاثة الأخيرة : لإتمام طريق الآلام يقتضي الرجوع إلى درب العمود، إلى كنيسة القيامة حيث المراحل الثلاثة الباقية التي وصفت عند الحديث عن هذه الكنيسة .

المقدسات الإسلامية

اتخذ المسلمون بيت القدس قبلة قبل أن يولوا وجوهم شطر مكة في السنة الثانية للإسراء والمعراج .. فكان المسلمون في صلواتهم يولون وجوههم نحو المسجد الاقصى بالقدس في أوائل عهد الرسول محمد "صلى الله عليه وسلم " وظل ذلك نحو سبعة عشر شهراً إلى أن إتخذوا الكعبة قبلة .. ولهذا سميت "أولي القبلتين " وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي" صلى الله عليه وسلم " أنه قال "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الاقصى "، والمقصود بقوله بمسجدي هذا" مسجد الرسول في المدينة.

وروي أيضاً عن النبي أنه قال : "إن الصلاة في المسجد الاقصى أفضل من الصلاة في غيره بخمسمئة مرة"وقال أيضاً : "من أهل بالحج والعمرة من المسجد الاقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووجبت له الجنة"، ومن هنا كان يفد للمسجد الاقصى بالقدس حجاج وزوار

من مختلف أقطار العالم الاسلامي .. ونظروا للقدس نظرة إجلال وتقدير .. وإلى يومنا هذا مازالت القدس حافلة بالآثار الإسلامية القديمة.

أولاً : مسجد قبة الصخرة :

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .. وكان قد رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين وعهد بإنشائه للعالمين العربيين رجاء الكندي ويزيد بن سلام وإستغرق بناؤه ستة أعوام من عام (٦٦هـ - ٦٨٥م) إلى عام (٧٣ - ٦٩١م)، وقرر الخليفة منح المائة ألف دينار المتبقية من نفقات الإنشاء جائزة للعالمين العربيين لكنهما رفضا وقالا "نحن أولي أن نزيده من حلي نسائنا، فضلا عن أموالنا فاصرفها في أحب الأشياء إلى ك فأمر الخليفة أن تسبك ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب . وقد إمتاز البناء بروعة الهندسة العربية الممتزجة بالطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي .. ويقال أنه كان أجمل بناء في زمانه .. ويذكر بعض المؤرخين ومنهم إلى عقوبي، أن الأمويين أرادوا أن يجعلوا القدس هى المدينة الاسلامية الأولي حتى يحج إليها المسلمون بدلاً من مكة لمعارضتهم لعبد الله الزبير والذي أعلن استقلاله في الحجاز عام ٦٨٠م، ولهذا أمر عبد الملك أن يقيم الناس مواكب دينية حول القبة كما يحدث عند الطواف بالكعبة أثناء الحج.

ويقول إلى عقوبي إن المسلمين ضجوا عندما أدركوا الغاية من بناء الصخرة وهى صدهم عن الحج .. ولكن عبد الملك تمكن من إقناعهم بالإشارة إلى ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى .

ومنهم من يري أن عبد الملك إنما بناه ليكون للمسلمين مسجداً يضاهي في بهائه وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة ولاسيما كنيسة القيامة، فقد روى عن بعض المؤرخين ومنهم المقدسي أنه – أي عبد الملك – عندما رأي قبة القيامة وكان المسيحيون يحجون إليها من كل صوب خشي أن تؤثر بفخامتها وروعتها على قلوب المسلمين . فاعتزم أن يبني في القدس قبة مثلها أو أحسن وفعل .

وقد تعرض المسجد لكثير من الأضرار على مر الزمان بسبب الزلازل والعواصف والأمطار .. وما من حاكم عربي حكم القدس إلا وكان له شرف ترميمه، ومن هؤلاء الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٥م) والخليفة المأمون (٨٣١م) حتى أن العمال الذين تولوا الترميم يومئذ أرادوا أن يتزلفوا للمأمون فاستبدلوا اسمه باسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ولكنهم لحسن حظ التاريخ غفلوا عن تغيير السنة التي جرى فيها الترميم .

وقد سقطت أجزاء القبة إثر زلزال حدث في زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (١٠١٦م) فرممت في خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٢٢م) .

وعندما احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) حولوا المسجد إلى كنيسة وبنوا على الصخرة مذبحاً بإسم هيكل الرب العظيم .. وقد غطوها بالمرمر .. وأنشأوا الحاجز المصنوع من الحديد المشبك وهو الذي يفصل الصخرة عن المسجد .. وكان القساوسة النصارى في بادئ الأمر يقطعون من الصخرة قطعاً يحملونها إلى بلادهم، فيبيعونها بوزنها ذهبا، مما جعل الصليبيين يكسونها

بالرخام، ولما فتح صلاح الدين القدس أزال معالم هذه الكنيسة عام (١١٩٤م) فرفع المذبح ومحار الصور والتماثيل وغطاء الصخرة الرخامي .. وكسا جدران المسجد بالرخام وزين القبة بنقوش جميلة وغطاها من الداخل بالرخام .. وكتب عليها آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي (بماء الذهب) .. وقد عني جميع بني أيوب بالمسجد فكانوا يكسونه بأيديهم ويغسلونه بماء الورد .. كما اهتم المماليك بعمارته وأوقفوا عليه بعض الأملاك .. ومن هؤلاء الملك الظاهر بيبرس عام (١٢٧٠م) والملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري عام (١٢٩٤م) والملك الناصر محمد بن قلاوون عام (١٣١٨م) والملك الظاهر برقوق عام (١٣٨٧م) والملك الأشرف برسباي عام (١٤٣٢م) والملك الأشرف قايتباي عام (١٤٦٧م).

وفي عهد العثمانيين كسا السلطان سليمان (القانوني) عام (١٥٤٢م) جدران المسجد من الخارج وقبة السلسلة بالرخام ومن آثاره النوافذ المصنوعة من الفسيفساء وهو الذي عمر الباب الشمالي المعروف بباب الجنة، ومن سلاطين بني عثمان الذين عنوا بعمارة الصخرة السلطان محمود (١٨١٧م) والسلطان عبد المجيد (١٨٥٣م) والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤م) والسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦م) .. ولقد طرأ على القبة وعلي جدران المسجد مع تقادم العهد، خلل بفعل الرياح وتسربت مياه الأمطار إلى الجدران فإهتم المجلس الاسلامي الأعلي الذي كان يرأسه الحاج أمين الحسيني بالأمر ورممه (١٩٣٨م) ترميماً مؤقتاً حال دون وقوع خطر عاجل، والمسجد مازال محتفظا ببهائه القديم إلا أنه في حاجة إلى تعمير شامل لجميع أنحائه .

أمـا البـاب القبلـي (بـاب القبلـة) فهـو المقابـل للمسـجد الاقصـى ويسمي"باب الاقصى " ويسمي أيضاً "باب الصلاة " و "باب القبلة"، وقد جدد هذا الباب في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) وعلي الباب يقرأ : "جدد هذه الأبواب الحسان أعظم الخواقين الأعيان السلطان سليمان" أمام هذا الباب رواق مفروش بالرخام طوله ١٦متراً وعرضه ثلاثة أمتار أمر ببنائه السلطان محمود سنة ١٨١٧م .. فوق باب الصلاة (باب القبلة) لوحة من القاشاني تحمل البسملة وعلي جانبيها "الله الباقي" ويعلو الباب قوس دقيق النقش وآيات من سورة البقرة ويوجد على جانبي الباب : لفظ الجلالة "الله" ومحمد مكتوبان بالعاج الملبس في الخشب بينما يتكرر لفظ الجلالة في الحلية الركنية لجانبي الباب، القسم الأعلي من الباب مستقل عن الجزء الأسفل ويمكن فتحه وحده، لما استرد صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس في الثاني والعشرين من أكتوبر سنة ١١٨٧م (٥٨٣هـ) أعاد باب القبلة إلى هيئته الإسلامية التي كان عليها بعد أن كان الصليبيون قد عبثوا بمسجد قبة الصخرة أثناء احتلالهم لبيت المقدس سنة ١٠٩٩م .

قال الله تعالى "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدي الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم، قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون، ولإن أتيت الذين أوتوا الكتب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما

أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن إتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين" (سورة البقرة ١٤٣ - ١٤٥) .. أما الباب الشمالي والذي يسمى "باب الجنة" فهو باب مزدوج كل جانب من قطعة واحدة من خشب التنوب مصفح بالمعدن وعلي كل جانب مقبض ثقيل من الحديد على هيئة حلقة على كل جانب من باب الجنة عمودان من الرخام المعرق يحملان واجهة الباب .

عمر باب الجنة مرتين : مرة في عصر السلطان سليمان الأول سنة ٩٥٩هـ - ١٥٢٢م ، ومرة اخرى في عصر السلطان مراد الثالث سنة ٩٧٣هـ - ١٥٧٥م والكتابة على الشراعة نصف الدائرية فوق الباب تشير إلى عمارته (تجديده) في عصر السلطان سليمان القانوني .

رؤوس الأعمدة الأربعة بيزنطية من الطراز الكورينثي والزخرفة على هيئةشجرة الحياة على جانبي الشراعة حديثة .. ويقع بناء مسجد قبة الصخرة وسط فناء مرتفع من أرض الحرم .. مثمن الأركان ثماني الجدران .. كل جدار من الجدران الثمانية ينقسم إلى قسمين الواحد فوق الآخر ويغطي المسجد سقف مائل تتوسطه رقبة تحمل القبة المذهبة التي تغطي الصخرة المشرفة في كل أضلاع التثمينة التي تواجه الجهات الأصلية الأربع باب ارتفاعه ٣,٤ أمتار وعرضه ٢,٦ أمتار .. ولم تتغير مقاييس الأبواب منذ عصر عبد الملك، وعلي جانبي كل باب في القسم العلوي من الجدار نافذتان يمر منهما الضوء إلى الداخل وشباكان مصمتان في آخر الجدار، وفوق الباب نافذة صغيرة، وفي القسم العلوي من الأربعة الأضلاع التي تواجه ما بين الجهات الأصلية سبع

فتحات : خمس نوافذ يمر منها الضوء إلى الداخل وشباكان مصمتان في نهايتي كل جدار، ولمسجد الصخرة أربعة أبواب مزدوجة .. مصنوعة من الخشب، ومكسوة بصفائح الرصاص.

ولمسجد قبة الصخرة أربعة أبواب تواجه الجهات الأصلية وهى أبواب مزدوجة مصنوعة من الخشب المصفح بالحديد وكانت أبواب قبة الصخرة مغطاة بالذهب في عصر عبد الملك بن مروان الذي كان قد أمر بأن تسبك مائة ألف دينار من الذهب (بقيت بعد إتمام البناء) وتفرغ على القبة والأبواب، وفي عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ - ٧٠٥م) ضرب ما على القبة والأبواب من ذهب نقوداً أنفقت على ترميم المسجد، وفي سنة ٣٠١هـ - ٩١٣م أمرت أم المقتدر بالله الخليفة العباسي بصنع أبواب جديدة من خشب التانوب لأبواب قبة الصخرة وكانت عند اكتمالها يومئذ كلها مذهبة، وأشرف على صناعتها مولاها لبيد، على جانبي كل باب عدد من الأعمدة، أكثرها من الطراز البيزنطي الكورينثي، ويحتمل أن تكون من بقايا ماكان فوق الحرم الشريف من عمائر قبل الإسلام، لأبواب مسجد قبة الصخرة أسماء، عدا الغربي :

الجنوبي (القبلي) : يسمى باب الاقصى ، باب الصلاة وباب القبلة.

الشمالي : يسمى باب الجنة .

الشرقي : يسمى باب النبي داود أو باب إسرافيل .باب القبلة إلى إلى مين والباب الغربي إلى إلى سار وفوق باب الجنة، الباب الشمالي لقبة الصخرة، كتابة بخط الثلث بما أجراه السلطان سليمان الأول (القانوني) من تجديد لقبة الصخرة، وقد جدد بحمد الله من قبة الصخرة ببيت المقدس الفائقة

بناءها وشيدها بما أجري من مناهلها الريقة الرواة الأثر رونقاً وقصوراً ورواءها، وأجزل لها في خلال ظلال دولته السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والرهان أبي الفتوحات سليمان خان بن السلطان المعروف بالإحسان أبي النصر سليم خان المخصوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر إبن السلطان بايزيد بن السلطان المجاهد الأمجد السلطان محمد بن عثمان، سحت على ثراهم سحب الرضوان، فأعاد إليها ذلك البهاء القديم، بفواقة حذاق المهندس، تاريخاً في (٩٥٩هـ) فجعلوه أحسن وقد تشرف بكتابتها عبد الله التبريزي أبرع خطاطي عصره .

أما الباب الشرقي فيطلق عليه إسم باب النبي داود مكتوب أعلاه آيات من القرآن الكريم ..والفناء الذي يقوم عليه مسجد الصخرة فناء واسع ومربع الشكل وهو مفروش بالبلاط الأبيض من عهد الملك المنصور قلاوون ..وهو أعلي من أرض الحرم ..ويصعد اليه من الجهات الأربع بأدراج يقوم كل منها قنطرة يسندها أعمدة من الرخام ..وأما الصخرة فإنها مقدسة لدى المسلمين ..وهي في نظرهم صخرة مقدسة، لأن النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" خرج منها إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج ..وقيل إن إبراهيم عليه السلام قدم على هذه الصخرة ولده إسماعيل ضحية، وأن سليمان بني عليها هيكله .

والصخرة المشرفة قطعة غير منتظمة من الحجر الجيري هى قمة جبل سوريا، طولها من الشمال إلى الجنوب١٧,٧أمتار وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥ أمتار وترتفع عن أرضية المسجد زهاء ١,٥ أمتار، حولها سياج من الخشب المنقوش من عهد الملك عبد العزيز بن عثمان الأيوبي .طرف الصخرة

المشرفة يحدده مذخر على هيئةبرج صغير ..تحيط برقبة القبة ست عشرة نافذة من الزجاج الملون، وتحيط بالصخرة المشرفة قنطرة دائرية من أربعة أكتاف مربعة (دعائم) واثنا عشر عمودا رخامياً مستديراً تيجانها المذهبة من طرز مختلفة .

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة (١٠٩٩م) حولوا مسجد قبة الصخرة إلى كنيسة، واقتطعوا من الصخرة المشرفة قطعة بنوا فوقها مذبحا أسموه "هيكل الرب" وقطعوا له على وجه الصخرة درجا، وكسوا الجزء الباقي بلوح من الرخام لأن القساوسة كانوا يقطعون من الصخرة المشرفة قطعا يبيعونها مقابل وزنها ذهبا إلى حجاج أوروبا، فخشي ملوك الإفرنج أن تزول الصخرة .سيطر الصليبيون على بيت المقدس ثمانية وثمانين عاماً . وفي الثاني من أكتوبر سنة ١١٨٧م، الذي وافق ذكري ليلة الإسراء، حرر صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس . والقبة الذهبية والتي هى رمز لمدينة القدس، يعلوها الهلال الذي يوازي اتجاه القبلة .صنع أول هلال إعتلي قبة الصخرة من الذهب الخالص في عهد عبد الملك بن مروان .وفي ربيع الأول سنة ١٠٢٦هـ ١٦١٧م سقط هلال قبة الصخرة على أثر زوبعة عاصفة هبت على مدينة القدس، فأعيد تركيبه في شهرين بعد تجديد القلب الخشبي الذي كان مصفحا بالذهب، وكان ذلك في عهد السلطان التركي مصطفي الأول بن السلطان محمد الثالث .وعندما استولي الصليبيون على القدس نزعوا الهلال الإسلامي من فوق قبة الصخرة وأقاموا مكانه صليباً من الذهب .وعندما استرجع صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس للإسلام مرة اخرى سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧م أعاد قبة الصخرة إلى حالها الإسلامي الأول، فتسلق المسلمون القبة وإقتلعوا الصليب وأعادوا الهلال إلى

مكانه، وصلي صلاح الدين الجمعة الثانية من دخول المسلمين بيت المقدس في قبة الصخرة وكان ذلك في اليوم الرابع من شعبان سنة ٥٨٣ هـ، التاسع من أكتوبر سنة ١١٨٧م، الهلال الحالي وضع فوق قبة الصخرة سنة ١٨٩٢م في عهد السلطان التركي عبد الحميد الثاني بمناسبة زيارة إمبراطور الألمان غليوم الثاني لبيت المقدس ..وقد وصف إبن عبد ربه الأندلسي قبة الصخرة سنة ٣٠٠ هـ – ٩١٢م : "إن قبة الصخرة كانت مغطاة بثلاثة آلاف وثلاثمائة واثنتين وتسعين صفيحة رصاصية، ومن فوق ذلك عشر آلاف ومائتان وعشر صفيحة من النحاس مطلية بالذهب" .

وفي سنة ٣٧٤ هـ – ٩٨٥م وصف المقدسي قبة الصخرة بأنها مغطاة بصحائف من الذهب والقبة الحالية مكسوة برقائق من الألومنيوم المؤكسد كهربائياً، وقد وضعت هذه الكسوة – ذهبية اللون – أثناء الإعمار الأخير لقبة الصخرة بإشراف حكومة المملكة الأردنية الهاشمية في عهد جلالة الملك حسين بن طلال، وترتكز قبة الصخرة على رقبة مستديرة يحملها صف من القناطر في دائرة تتكون من إثني عشر عموداً مستديراً وأربعة دعائم (أركان أو أكتاف أو سواري أو أساطين) مربعة بحيث تتلو احدى الدعامات كل ثلاثة أعمدة .عرض كل ضلع من أضلاع الدعائم أو الأكتاف المربعة ثلاثة أمتار مكسوة بالرخام المعرق أو المشجر .تربط بين الأعمدة والدعائم أو الأركان أقواس مبنية من بلاطات الرخام الأبيض والأسود، عرض كل قوس ١,١١ مترا .فوق الأعمدة، وفي المسافة بين كل قوسين متجاورين، عتبة خشبية أفقية وأخري حجرية فوقها ويغطي العتبتين إفريز (كورنيش) خشبي منحوت نصفه الأسفل مصفح بصفائح معدنية عليها رسوم عنقودية مذهبة .الأعمدة كلها من الرخام، قطر كل عمود

يختلف عن الآخر، وجميعها مطوقة من الخارج فوق القاعدة بطوق نحاسي .الرخام الذي يغطي الدعائم (الأكتاف) من صنع الأتراك العثمانيين في القرن السادس عشر الميلادي، العاشر الهجري، وأعيد تعميره في القرن التاسع عشر (١٨٧٤م) .يدخل بعض الضوء من ست عشرة نافذة صغيرة مقوسة القمة تحملها الرقبة تحت القبة دون أن تقابلها فتحات على الرقبة من الخارج .الرقبة مزخرفة من الداخل بالزهور والمناظر الطبيعية المجردة والحلي المنقوشة بالفسيفساء.

وعن وصف قبة الصخرة من الداخل، فتتدلي من مركزها السلسلة ويقال أنها تحدد موقع مركز الأرض، كانت جزءاً من عمارة القبة في عصر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي .كان يتدلي من هذه السلسلة شمعدان فضي كبير يزن طنا .في سنة (١٠٦٠م) سقط هذا الشمعدان في الزلزال الذي أصاب فلسطين، أعلا القبة نقش بماء الذهب بخط الثلث العادي وفي إطار مستدير آية الكرسي :

{ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم } "سورة البقرة ، ٢٥٥"

حول الحافة السفلي كتابات تفيد زخرفة القبة من الداخل وإعمارها عدة مرات، أهمها :

- في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥هـ - ١١٨٩م .
- في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٨ هـ - ١٣١٩م .

- في عهد السلطان العثماني محمود سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧م .
- في عهد السلطان العثماني عبد العزيز سنة ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤م .
داخل القبة محلي بالزخارف العربية : فسيفساء ذات أشكال نباتية على أرضية مذهبة .قطر القبة ٢٣,٧ أمتار.

وعن جمال الزخرفة في الصخرة أن الفسيفساء فيها تتكون من عدة أشكال نباتية، وآنية .ويمكن تمييز ستة أشكال رئيسية متباينة في تكوين الفسيفساء التي تغطي أجزاء من الجدران الداخلية والقناطر والأروقة :

- أزهار مفردة ملبسة باللآليء تلتف عليها سلاسل ذهبية .
- أكاليل أزهار تلتف عليها أوراقها .
- أغصان نباتات وأوراق تلتف عليها قلائد مرصعة بالجواهر .
- دالية العنب ممتدة فوق أعالي الأركان .
- أشجار النخيل متفرعة منها عراجين مثقلة بقطوف البلح المتدلية .
- نبات الأقنشوس متفرعة منه أوراق مجزعة متهدلة الأغصان .تتربع قبة الصخرة الذهبية فوق رقبة اسطوانية إلى إرتفاع ٣٥,٥ أمتار من ساحة الحرم الشريف، وتغطي المساحة التي تشغلها الصخرة المشرفة داخل المسجد .قطر كرسي القبة ٢٠,٤٤ مترا وارتفاعه ٩,٤أمتار، ويحيط به ست عشرة نافذة من الزجاج الملون على مسافات متساوية ..كانت رقبة قبة الصخرة عند بناء المسجد مغطاة بالفسيفساء من الخارج مثل أجزاء البناء المثمن .وفي سنة ٩٤٥هـ - ١٥٣٨م أمر السلطان سليمان الأول (القانوني) باستبدال الفسيفساء التالفة ببلاط ملون من القاشاني الفاخر الجميل .وقد عمر هذا القاشاني وأستبدل عدة مرات، آخرها أثناء رعاية المملكة الأردنية الهاشمية للأماكن المقدسة حتى سنة ١٩٦٧م

..للرقبة أربع بروزات تواجه الجهات الفرعية وتفصل ما بين أربع مساحات تواجه الجهات الأصلية تتكون كل منها من سبع لوحات من القاشاني الملون مختلفة التصميم والزخرفة .

سورة الإسراء، الآيات ١ – ١٩، تحيط برقبة قبة الصخرة فوق ألواح القاشاني.والواجهة الجنوبية لرقبة القبة تحمل بداية سورة الإسراء :
بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آيتنا إنه هو السميع البصير، "١" وآتينا موسى الكتب وجعلنه هدي لبني إسرائيل" .

والبروز الجنوبي الشرقي لكرسي (رقبة) القبة يحمل نهاية الآيات المكتوبة من سورة الإسراء : "ومن أراد الآخرة وسعي لها سعيها وهو مؤمن"، وإفريز القاشاني الذي يكسو رقبة أو كرسي القبة مصنوع في أوائل القرن السادس عشر الميلادي .وترجع كتابة سورة الإسراء إلى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي .الكتابة بخط الثلث المشجر البسيط وأحرفها مصنوعة من الرخام المحشو بالقاشاني .

آيات من سورة ياسين على الإفريز الأعلي للواجهة الجنوبية للتثمينة .والواجهة الجنوبية لرقبة (الطرف الغربي) تحمل آيات سورة الإسراء قوله تعالى : "وجعلنه هدي لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا "٢" ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا "٣" وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين (سورة الإسراء،٢ – ٤) ..والبروز الجنوبي لكرسي القبة (إلي إلى سار) "ولتعلن علواً كبيراً "٤" فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا " (سورة

الاسراء ٤ – ٥) آيات من سورة ياسين على الإفريز الأعلي للواجهة الجنوبية للتثمينة .

أما الواجهة الغربية لرقبة القبة، وبروزها فمكتوب عليها قوله تعالى في سورة الإسراء : "عسي ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيراً "٨" إن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً "٩" (سورة الإسراء، ٨ – ٩) .

والواجهة الجنوبية لرقبة القبة (إلي إلى من) – البروز الجنوبي الغربي للرقبة (في الوسط) – الواجهة الغربية (إلي إلى سار) عليها كلها من سورة الإسراء قوله تعالى : "ألا تتخذوا من دوني وكيلا "٢" ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا "٣" وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا "٤" فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا "٥" ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأموال وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا "٦" إن أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيرا "٧" عسي ربكم أن يرحمكم (سورة الإسراء ٢ –٨) .، والبناء الذي حول الصخرة فإنه فخم مثمن الأركان .وهو مكون من تثمينتين : إحداهما خارجية، وهى التي تتكون منها جدران المسجد طول كل ضلع من أضلاعها الثمانية ٢٠,٩٥ مترا .وإرتفاعه ٩,٥٠ مترا .هذا عدا الحائط العلوي (أي الدورة) فارتفاعه ٢,٦٠ متراً وفي كل ضلع من أضلاع هذه التثمينة سبع نوافذ .خمس ينفذ منها النور، واثنتان مسدودتان.إلا الأضلاع التي فيها أبواب المسجد الأربعة فإن في كل ضلع نوافذ، ينفذ النور منها .وهناك في كل من

الأضلاع الأربعة الاخرى شباك كبير، يفتح ويغلق عند اللزوم وقصاري القول إن في جدران المسجد ستا وخمسين نافذة، أربعون ينفذ النور منها..وأما التثمينة الداخلية وهى بين جدران المسجد والأعمدة الحاملة للقبة، فإنها مرفوعة على ثماني اسطوانات ملبسة بالرخام، وستة عشر عموداً مختلفة الألوان.وبين التثمينتين رواق الصلاة .وكذلك قل عن الرواق الكائن بين التثمينة الداخلية والدائرة الحاملة للقبة ..وتحمل هذه الأعمدة مع جدار المسجد سقفاً مزخرفا بأنواع الدهان تدعمه قناطر مرصعة بالفصوص الذهبية، ويتصل طرفه بكرسي القبة وجدران المسجد كلها من الداخل مكسوة بالرخام، وأما من الخارج فإن القسم الأسفل منها فقط مكسو بالرخام، والقسم الأعلي بالرخام البديع .غير أن الرخام الذي كان يكسو الضلع الغربي سقط بفعل العواصف والأمطار وتأثير الزمن ..وهناك في فناء الصخرة قباب اخرى منها : (قبة المعراج) غربي المسجد إلى الشمال .بناها الاسفهلار عز الدين عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي متولي القدس عام (١٢٠٧م) و (محراب النبي) بين مسجد الصخرة وقبة المعراج. أنشاه الأمير محمد بك صاحب لواء غزة والقدس عام (١٥٣٨م) .

و (قبة يوسف) على بعد مئة متر من مسجد الصخرة إلى الجنوب بناها الأسفهلار سيف الدين علي بن أحمد في عهد صلاح الدين عام (١١٩١م) .

و (القبة النحوية) إلى الجنوب من صحن الصخرة عند الدرج المؤدي إلى باب السلسلة، بناها إلى القدس الأمير حسام الدين أبو سعد قمباز بأمر من الملك المعظم عيسى عام (١٢٠٧م) .

و(قبة الشيخ الخليلي) على بعد بضعة أمتار من قبة المعراج إلى الشمال الغربي .

و (قبة الخضر) في الطرف الأخير لصحن الصخرة من الشمال الغربي، وهى قبة صغيرة مرفوعة على ستة أعمدة رفيعة من الرخام ..وفي فناء الصخرة ست عشرة غرفة أنشئت خلال القرن الثاني عشر للهجرة من أجل سدنة المسجد ورجاله من أئمة وخطباء ومؤذنين ومدرسين، ومن أجل الجند الذين تقيمهم السلطة بقصد الحراسة ..وهناك، في أرض الحرم، قباب ومنشآت أخري، نذكر منها : (قبة سليمان) واقعة إلى الجنوب الغربي من الباب المعروف بالدوادارية من أبواب الحرم الشمالية .إنها قبة مثمنة تقوم على أربعة وعشرين عموداً من الرخام، قيل إنها من منشآت بني أمية أقيمت على أنقاض بناء قديم من آثار سليمان ..و (قبة موسى) تجاه باب السلسلة وعلي بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٩م) وكانت على عهده تدعي قبة الشجرة .

قبة السلسلة

تقع "قبة السلسلة" إلى الشرق من مسجد الصخرة .. وعلي بعد أمتار منه إلى الشرق وهى مواجهة لباب النبي داود، وهى مبني مفتوح الجوانب ذو قبة به صفان من الأعمدة في دائرتين : أحد عشر في الدائرة الخارجية، وستة في الداخلية، وهى صورة مصغرة لقبة الصخرة، بنيت معها في عهد عبد الملك بن مروان لتكون بيتا للمال ولذلك تسمى "قبة الخزانة" . في داخلها محراب منقوش عليه قوله تعالى : "ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس

بالعدل ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله "، جدد زخرفة قبة السلسلة الملك الظاهر بيبرس (٦٦١هـ – ١٢٦٢م) . وتجدد القاشاني في عهد السلطان سليمان الأول (القانوني) سنة ٩٦٩ هـ – ١٥٦١م وحولها الصليبيون إلى مصلي أسموه "مصلي الشهيد القديس جيمس" .

وقنطرة الموازين الشرقية تواجه قبة السلسلة، ويعتقد أنها بنيت في حكم الأمير منصور أنوشتكين الغوري (١٠٢٠ – ١٠٣٠م) . وقد جددها المجلس الاسلامي الأعلي لمدينة القدس عندما أنشأ المرقي (الدرج) الذي يتكون من ٢٥ درجة أمامها سنة ١٩٤٥. وعرض قنطرة الموازين الشرقية ١٨,٦٧ متراً، فهى أعرض الموازين جميعاً .

وقبة السلسلة سماها اليهود بمحكمة دواد، وزعموا أنه كان بها سلسلة من الذهب مدلاة من السماء تنقطع عندما يمسها شاهد زور .. وقيل أن القبة بناها القاضي برهان الدين ولم يذكر أغلب المؤرخين في أي سنة بنيت، لكنها بنيت على طراز عربي، وأسفل رصيفها نافورة جميلة سميت بسبيل قايتباي، لأنها تمت في عهده (١٤٦٨م) وفي الجهة الشمالية الغربية أقيمت مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، ومساكن ومبان للسياحة .. وأهم بوابتين في سور الحرم الغربي هما بوابتا السلسلة والمغاربة . وفي السور الجنوبي باب تنحدر منه ٢٠ درجة إلى مدرسة للقرآن بناها الأمير طنجز عام (١٤٨٣م) ولها أقواس مدببة، وفي شرقها خزانات عميقة للمياه على شكل فوهات لآبار عميقة محفورة في الصخر وقطرها بين ١٣– ٢٠ مترا، ووراءها مئذنة جامع المغاربة (البراق) . وعند باب المسجد " القبة الغربي "، نجد سلسلة ترتفع على أعمدة رخامية بها نسخة من القرآن الكريم

من عهد عمر بن الخطاب .وفي أرض الحرم نجد أيضاً قبة سليمان في جنوب غربي باب الدوادارية (المفتي) وهو أحد أبواب الحرم الشمالية، وقبته مثمنة وقائمة على ٢٤عموداً من الرخام، قيل أنها من عهد الأمويين، ثم قبة موسى شرق باب السلسلة، وأنشاها الملك نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٩، وفي الطرف الشمالي لمسجد الصخرة نجد مكانا يحتوي على شعرتين من لحية النبي محمد " وأسفله أثر قدم للنبي.

الكأس

الكأس هو حوض واسع مدور مبني من الرخام يقع بين مسجدي قبة الصخرة والأقصي يستخدم في الضوء، فهو الميضأة للصلوات الخمس كل يوم .. الكأس يقابل المرقي (الدرج) المؤدي من قبة الصخرة إلى المسجد الاقصى في الطرف الجنوبي للحرم الشريف . حول الكأس صف دائري من المقاعد الرخامية أمام كل منها صنبور ماء يجري إلى الكأس في سواق تحت الأرض مغطاة بالحجارة من برك سليمان الثلاث . في الوسط نافورة يخرج منها الماء ويسقط في البحيرة الرخامية التي يحيط بها سياج معدني جميل دقيق الصنع . عمر الكأس الأمير تنكزالناصري سنة ٧٢٨ هـ – ١٣٢٧م .

قناطر ومآذن وقباب صغيرة :

ويزخر الجزء الشمالي من الحرم الشريف بالقناطر والقباب : القناطر الثلاث بالترتيب من إلى مين :

١ – القنطرة الشمالية إلى الشرق : أنشئت سنة ٧٢٦ هـ – ١٣٢٥م في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون . هذا الميزان عرضه ٩,٤٥متر وأمامه ٨ درجات في المرقي، ويواجه باب حطة .

٢ – القنطرة الشمالية إلى الغرب :أنشئت أيضاً في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون في جمادي الآخرة سنة ٧٢١هـ – ١٣٢١م، وعرض هذا الميزان ٩,٨٠ مترا وأمامه ٦ درجات في المرقي ويواجه باب العتم (باب فيصل) .

٣ – القنطرة الغربية إلى الشمال، جددت في عهد السلطان سليمان الأول (القانوني) بين سنتي ٩٢٦ هـ و ٩٧٤ هـ، وكان الملك أشرف شعبان قد أنشأها سنة ٧٧٨ هـ – ١٣٧٦م . عرض هذا الميزان ١٣,٨ مترا وأمامه ٢٤ درجة في المرقي الذي يواجه باب الناظر .

المآذن، مئذنتان : واحدة في الزاوية الشرقية والأخري في الزاوية الغربية للحرم الشريف :

١ – مئذنة باب الغوانمة :

تقع في الزاوية الشمالية الغربية من زوايا الحرم الشريف فوق باب الغوانمة وتسمي أيضاً "منارة قلاوون" . أنشأها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٧٣٠ هـ – ١٣٢٩م . وسميت يومئذ "منارة السرايا" .

٢ – مئذنة باب الأسباط :

تقع شمال الحرم إلى الشرق، بين باب حطة وباب الأسباط وتسمي أيضاً "منارة إسرافيل" أنشئت سنة ٧٦٩ هـ – ١٣٦٧م في عهد السلطان الملك

الأشرف شعبان بن حسن بن سلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . ومن القباب الصغيرة مايلي (والترتيب من إلى سار) :

١ - قبة محراب النبي : تقع غرب قبة الصخرة إلى الشمال تواجه الجدار الشمالي الغربي للمسجد، بينها وبين قبة المعراج .وتعرف أيضاً باسم قبة جبريل . منقوش عليها من الخارج : أنشأ هذا المحراب المبارك مولانا الأمير الكبير محمد بك صاحب لواء غزة وقدس شريف زيد قدرهما بتاريخ سنة ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨م . يقول السيوطي : إن موضع هذا المحراب هو موضع صلاة النبي محمد بالأنبياء والملائكة في ليلة الإسراء . فوق المحراب قبة مفتوحة الجوانب محمولة على ثماني أعمدة من الرخام في دائرة .

٢ - قبة المعراج : تقع غرب مسجد قبة الصخرة إلى الشمال الغربي من باب الجنة (الباب الشمالي)، وهى مبني كبير مثمن الأضلاع تعلوه قبة حجرية مضلعة قائم علىستة عشر عموداً مستديراً من الرخام تعلوها رؤوس رخامية من أنماط مختلفة . كل عمودين متجاورين متلاصقان، وعلي كل من جانبي باب القبة عمود من الرخام ذو رأس رخامية .

بنيت قبة المعراج تذكارا لعروج النبي محمد "صلى الله عليه وسلم " إلى السماء، وفوق محرابها الآية الأولي من سورة الإسراء . تاريخ بناء القبة وإسم بانيها مجهولان . وأعيد بناء القبة في شكلها الحالي سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠م في حكم متولي القدس الأمير الاسفهلار عز الدين سعيد السعداء أبو عمر عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي، ثم أعيد تعميرها سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧م لكن من غير المعروف على وجه الدقة تاريخ بنائها .

٣ – قبة الخليل : بناها الشيخ الخليلي في القرن التاسع عشر الميلادي .

٤ – قبة الأرواح : بنيت في القرن العاشر الهجري، آخر القرن الخامس عشر الميلادي .

ثانياً : المسجد الاقصى :

بعد أن أتم عبد الملك بن مروان بناء مسجد الصخرة .. شرع في بناء المسجد الاقصى إلى الجنوب منه على بعد بضع مئات من الأمتار، وقد تم هذا البناء – على حد قول بعض المؤرخين – عام (٧٤ هـ – ٦٩٣م) وهناك من المؤرخين من يقول أن الملك عهد لابنه الوليد ببناء المسجد وأن المسجد بني في عهد الوليد .. ويدلل هؤلاء على رأيهم بما جاء في الرسائل التي كتبها "قرة بن شريك" عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد إلى أحد حكام الصعيد عام (٧٠٥م) طالبا منه أن يرسل اليه صناعا مهرة لمسجد بيت المقدس.

ويري البعض الآخر أن البناء بدئ فيه في زمن عبد الملك بن مروان عام (٦٩٣ هـ) وقد تم في زمن الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٥م).

ويعتقد أن سيدنا إبراهيم الخليل قد شيده بعد أربعين عاما من بناء الكعبة .. وسمي بالأقصي .. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم قال تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" سورة الاسراء .

ويقع المسجد جنوب الحرم ويبلغ طوله ٨ أمتار وعرضه ٥٥متراً وهو قائم على ٥٣ عمودا من الرخام و ٤٩ سارية مربعة الشكل مبنية من الحجارة ..

وفي صدره قبة خشبية مغطاة من الخارج بصفائح من الرصاص، ومزخرفة من الداخل بالجبس المزخرف بفصوص ذهبية ملونة .. وفي الصدر أيضا محراب كبير وإل يمين المحراب منبر جميل هو الذي عمله نور الدين زنكي وأتي به صلاح الدين من حلب، وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس ويقابل المنبر (دمكة المؤذنين) وهى قائمة على أعمدة من رخام . وفي داخل الجامع في الزاوية القبلية إلى الشرق نجد جامعا مستطيلا آخر متصل به يسمى (جامع عمر) مع ملاحظة أنه يوجد جامع آخر بإسم عمر أيضاً في الضلع الجنوبي لكنيسة القيامة بناه شهاب الدين إبن أخي صلاح الدين عام (١٢١٦م) ولم تتم مأذنته إلا بعد قرن كامل من بنائه عام (١٣١٧م) وهو يقع في المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب عندما دخل القدس خارج كنيسة القيامة .. وإلى الشمال منه إيوان صغير يسمونه (مقام عزيز) أو (مقام الأربعين) وإلى الشمال ملتصق به محراب زكريا وللمسجد أحد عشر باباً : سبعة منها إلى الشمال .. وهى كبيرة .. وكل واحدة من هذه الأبواب ينتهي إلى كور من أكوار المسجد السبعة . وباب إلى الشرق . وآخر إلى الغرب .وهناك في الناحية الغربية أيضاً باب يدخل منه النساء في طريقهن إلى الجامع المسمى بإسمهن : (جامع النساء) . وفي الجدار القبلي باب غير نافذ إلا إلى زاوية، كانت فيما مضى مدرسة .. وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير هو الذي أنشأه الملك المعظم عيسي، وقد جدد من بعده . وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة . كل قنطرة منها تنتهي إلى باب من أبواب المسجد السبعة .

وتحت بناء المسجد الحالي دهليز واسع وطويل . يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة، وهو ما يسمى بـ " الاقصى القديمة ".

وقد طرأ على المسجد الاقصى العديد من التغيرات بسبب الزلازل والعواصف والأمطار، فكانت أبوابه، في زمن الأمويين، ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ولما قدم أبو جعفر المنصور، وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقع بسبب الزلزال عام (٧٤٧م) أمر بقلع هذه الصفائح . فقلعت، وضربت دنانير، وأنفقت عليه حتى فرغت عام (٧٧١م) .

وحدث زلزال آخر عام (٧٧٤م) . فوقع البناء الذي أقامه المنصور فأمر المهدي بتعميره . وعمر عام (٧٨٠م) . إلا أنهم أنقصوا من طوله يومئذ وزادوا في عرضه . وخرب المسجد الذي عمره المهدي إثر زلزال وقع في عام (١٠٣٣م) . فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله عام (١٠٣٤م) حاذفا أربعة أروقة من كل جانب، وإن القبة الحالية والأبواب السبعة التي في شمال المسجد من صنع الظاهر لإعزاز دين الله . وهناك بالخط الكوفي وبالفسيفساء المذهبة منقوشة على واجهة القوس التي تحمل القبة من الشمال، تشير إلى ما فعله الظاهر في ذلك التاريخ . وفي عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عام (١٠٦٦م) جددت واجهة المسجد الشمالية .. ولما احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) استغلوا المسجد لصالحهم، فجعلوا قسما منه كنيسة، واتخذوا قسما آخر مسكنا لفرسان الهيكل، واستعملوا القسم الباقي مستودعا لذخائرهم مضيفين إلى البناء القديم بعض القناطر المعقودة . وكانوا يسمونه Palatium Tempelum Solomones ، وعندما استرد صلاح الدين القدس من الصليبيين عام (١١٨٧م) أمر بإصلاح وترميم المسجد الاقصى فجدد محرابه، وكسا قبته بالفسيفساء، وأزال كل أثر فيه للصليبيين وهناك فوق المحراب كتابة نقشت بالفسيفساء المذهبة تشير إلى ما فعله صلاح الدين .

وقد عني ملوك بني أيوب، بعد موت صلاح الدين، بالمسجد الاقصى . فكانوا يكنسونه بأيديهم، ويغسلونه بماء الورد . وكان أشدهم اهتماما الملك المعظم عيسي، فهو الذي أنشأ عام (١٢١٧م) الرواق الذي يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد . وهذا الرواق مؤلف من سبعة أقواس معقودة . يقابل كل واحد منها باب من أبواب المسجد السبعة . وعلي واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام نقشت عليها كلمات تشير إلى ما فعله هذا الملك . ولم يكن المماليك أقل اهتماماً بالمسجد الاقصى من الأيوبيين، فيذكر المؤرخون أن الذي عمر سقف هذا المسجد من الناحية القبلية مما يلي الغرب عند جامع الأنبياء هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون عام (١٢٨٧)، وأن القبة نفسها جددت في زمن ولده الملك الناصر محمد قلاون عام (١٣٢٧)م وكذلك قل عن الرخام والشبابيك المصنوعة من الفسيفساء في صدر المسجد، ومنها الشباكان اللذان عن يمين المحراب وشماله، والأبواب، والسور القبلي عند محراب داود . فإن هذه الأشياء من صنع الملك الناصر محمد بن قلاوون . وهناك كتابات كثيرة في المسجد تشير إلى ذلك . منها الكتابة التي تجدها في القبة نفسها من الداخل والمكتوبة بأحرف كبيرة تعرف بالثلث، وفوق الشباك الكائن شرقي المحراب، وفي الواجهة الأمامية فوق الأروقة .. وقد اهتم المماليك بعمارة المسجد الاقصى ونذكر من سلاطينهم السلطان شعبان بن الملك الناصر محمد قلاوون، وأخوه السلطان حسن عام (١٣٧٦م) والملك الأشرف اينال عام (١٤٦٠م) . والملك الأشرف قايتباي عام (١٤٧٩م) . وهناك كتابة تشير إلى ما فعله قايتباي نقشت على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الأوسط إلى إلى مين .. أما

سلاطين بني عثمان، فإنه لم يعتل العرش منهم سلطان إلا وفكر في ترميم المسجد الاقصى ، أو تعمير جانب من جوانبه . نذكر منهم السلطان سليمان القانوني عام (١٥٦١م) . فالسلطان محمود الثاني عام (١٨١٧م) وإسمه منقوش على قبة الاقصى من الداخل، وعلي بلاطة تراها إلى يسارك وأنت داخل المسجد من بابه الكبير .. والسلطان عبد العزيز عام (١٨٧٤م) . فإليه يرجع الفضل في عدد كبير من الشبابيك المصنوعة من الفسيفساء . وأما السلطان عبد الحميد الثاني عام (١٨٧٦م) . فإنه هو الذي بعث بالشطر الأكبر من السجاد العجمي، ذلك السجاد الذي نراه في مسجدي الصخرة والأقصي . وبتعاقب الأعوام ..وتقادم الزمن ضعفت بعض أعمدة المسجد وحوائطه عام (١٩٢٢م) فأوفد المجلس الشرعي الإسلامي الأعلي، وهو المسئول عن إدارة الشئون والمعاهد والآثار الإسلامية بالقدس، وفوداً وجهت الدعوة للأقطار العربية والإسلامية للتبرع لترميم المسجد، فجمعوا مبلغا من المال يقدر بنحو (مائة ألف دينار) عام (١٩٢٧م) وقد تم تعمير جزء كبير من المسجد، ولعل أخطر تعمير جرى يومئذ ،هو استبدال الأعمدة القديمة البالية التي تقوم عليها القبة بأعمدة جديدة (عددها ثمانية) . وأقيمت هذه على أساسات متينة من الخراسانة المسلحة .

ولقد تم هذا العمل بإشراف المهندس التركي الشهير الأستاذ كمال الدين .. وما كاد هذا التعمير يتم حتى حدث زلزال (١٩٢٧م) فتضرر المسجد بسببه ولكن القبة سلمت من الأذي بفضل التعمير الذي كان قد تم قبل برهة وجيزة .

وفي عام (١٩٣٧م) حدثت هزة أرضية وإن كانت خفيفة، إلا أنها أظهرت ما كان كامنا من الخراب . فتولى المجلس الإسلامي الأعلي عمارة

المسـجد وترميمـه مـن واردات الأوقـاف العامـة عـام (١٩٤٣م) . ومـن أبـرز الترميمات والإصلاحات التي أجريت وقتها أنهم هدموا الرواق الشرقي وكان قد تصدع تصدعاً خطيراً ، وأعادوا بناءه من جديد وبنوا سقفه من الأسمنت المسلح بالحديد وهدموا أيضاً الرواق الأوسط وأعادوا بناءه واستبدلوا الجملون الخشبي الذي كان يستره بآخر من الحديد الصلب وبنوا تحته سقفا خشبياً بشكل أفقي : أنفق على تذهيبه وزخرفته عشرة آلاف جنيه، تبرعت بها الحكومة المصرية، وأعادوا الرصاص القديم فوق السطح بعد أن أعادوا سبكه واستبدلوا الأعمدة الحجرية القديمة بأعمدة من الرخام أتوا بها من إيطاليا كما استبدلوا الأوتار الخشبية التي كانت تربط العقود بعضها ببعض بأخري حديدية مصفحة بالخشب المدهون .

الحرم الشريف :

الحرم الشريف هو الذي يضم كل الآثار الإسلامية .. مسجد الصخرة والأقصي وما بينهما من منشآت حتى الأسوار ومساحته الشرقية ٤٧٤ متراً ، ومن الناحية الغربية ٤٩٠ مترا ومن الناحية الشمالية ٣٢١ مترا ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ مترا .

وكان موضع الحرم الحالي فيما مضى يدعي (تل المريا) ذلك التل الذي ورد ذكره في سفر التكوين وكان فيه بيدر (أرنان) اليبوسي: فاشتراه الملك داود ليقيم عليه الهيكل، تملكه اليهود حقبة من الدهر ثم عاد إلى حظيرة المسلمين فأسموه (الحرم القدسي) لأنه مقدس في نظر المسلمين كافة إنه هو المسجد الاقصى .. أولي القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وللحرم أبواب عشرة مفتوحة هى من الشمال إلى الغرب :

١ – باب الأسباط .

٢ – باب حطه .

٣ – باب شرف الأنبياء (ويسمونه الباب العتم أو باب الداودية أو باب الملك فيصل) .

٤ – باب الغوانمة (ويسمونه باب الخليل أو باب الوليد) .

٥ – باب الناظر (ويسمونه باب علاء الدين البصير أو باب الحبس أوباب ميكائيل) .

٦ – باب الحديد (ويسمونه باب أرغون) .

٧ – باب القطانين .

٨ – باب المتوضأ (ويسمونه باب المطهرة) .

٩ – باب السلسلة (ويسمونه باب داود) .

١٠ – المغاربة (ويسمونه باب النبي) .

وهناك أربعة أبواب مغلقة هى : من الغرب

١ – باب السكينة (ويسمونه باب السحرة) ومن الشرق :

٢ – باب الرحمة

٣ – باب التوبة

٤ – باب البراق (ويسمونه باب الجنائز) .

وللحرم الشريف أربعة مآذن شهيرة هى :

١- مئذنة باب المغاربة - في الزاوية الجنوبية ويسمونها المنارة الفخرية بناها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي (١٢٧٨م) .

٢ - مئذنة باب السلسلة غربي الحرم وفوق باب الكنيسة بالتمام بناها الأمير سيف الدين تنكز الناصري عام (١٣٢٩م) .

٣ - مئذنة باب الغوانمة في الزاوية الغربية الشمالية : بناها القاضي شرف الدين عبد الرحمن الذي بني المئذنة الأولي وكان ذلك بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين عام (١٢٩٧م) وجددها الأمير تنكز في عهد الملك الناصر محمد قلاوون ولهذا يسمونها أيضاً منارة قلاوون .

٤ - "مئذنة باب الأسباط" بين باب الأسباط وباب حطة في الناحية الشمالية الشرقية من الحرم أنشأها ناظر الحرمين الأمين سيف الدين قطلوبغا في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد قلاوون عام (١٣٦٧م) .

أما أروقة الحرم فتقع في نهاية الحرم من الغرب وترجع نشأتها إلى عهد السلطان محمد بن قلاوون عام (١٣٠٧م - ١٣٣٦م) وبعضها أنشئ في عهد السلطان الأشرف شعبان عام (١٣٦٧م)، وقد سد الأتراك هذه الأروقة في عهدهم فإتخذوها مساكن لإيواء المهاجرين والمحتاجين من فقراء المسلمين إلا أن المجلس الإسلامي الذي تولي الإشراف على الحرم عام (١٩٢٢م) أزال جدرانها الخارجية وأرجعها إلى ما كانت عليه في عهد المماليك .. أما مياه الحرم فيذكر أن بها سبعا وعشرين بئرا كلها عامرة، خلا اثنتين منها وفيها من الماء ما يكفي لسكان

المدينة القديمة كلهم وليس المصلين الذين يفدون إلى الحرم في أوقات الصلوات الخمس فحسب ومنها ثماني آبار في صحن الصخرة وسبع قريبة من المسجد الاقصى وست إلى الغرب من ساحة الحرم وثلاث في الشرق وواحدة في الشمال .

وهناك سبل كثيرة ، نذكر منها :

- (سبيل شعلان) في أسفل الدرج المؤدي إلى صحن الصخرة وعلي بعد بضعة أمتار من باب الناظر أنشأه الملك المعظم عيسى عام (١٢١٦م) وجدده الملك الأشرف برسباي عام (١٤٢٩م)وجدده أيضاً السلطان مراد الرابع عام (١٦٢٧م) .
- (سبيل قايتباي) تجاه باب المتوضأ وعلي بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق وهو من أشهر السبل القائمة في الحرم وأكبرها بناه الملك الأشرف اينال (١٤٥٥م) وجدده الملك الأشرف قايتباي عام ١٤٨٢م ثم جدده السلطان عبد الحميد عام (١٨٨٢م) .
- (سبيل قاسم باشا) ويقع على حافة البركة المعروفة ببركة الرارنج ويسمونها أيضاً الفاغنج على بعد بضعة أمتار من باب السلسلة إلى الشمال الشرقي أنشأه متولي القدس قاسم باشا في أيام السلطان سليمان القانوني عام (١٥٢٧م) .
- (سبيل علاء الدين البصير) ويقع غربي الحرم تجاه باب الناظر لانعرف متي بني وإنما عليه كتابة تقول " إن عمارته جددت من لدن نائب السلطان وناظر

الحرمين المقر الحسامي قبجا وكان ذلك في أيام الملك الأشرف برسباي عام (١٤٣٥م) .

- (حوض الكأس) يقصده المصلون من أجل الوضوء للصلاة ويقع بين مسجدي الصخرة والأقصى بناه الأمير تنكز الناصري عام (١٣٢٧م) وهو حوض مدور مبني من الرخام، يجري اليه الماء من قناة تبدأ عند برك المرجيع الثلاثة المعروفة ببرك سليمان وهى واقعة على بعد عشرة أميال من القدس إلى الجنوب .

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الصهاريج التي تتجمع فيها المياه من الأمطار والتي تزود الحرم بالماء .

الجوامع والمساجد والزوايا بالقدس

تضم القدس عدداً كبيراً من المساجد غير مسجدي الاقصى والصخرة ونذكر أبرزها :

(أ) الجوامع التي في ساحة الحرم :

- "جامع قبة موسى" تجاه باب السلسلة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس.
- "جامع باب حطة" تجاه باب حطة من الجنوب تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع كرسي سليمان" ملاصق للسور الشرقي تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع المغاربة" عند باب المغاربة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع باب الغوانمة" عند باب الغوانمة من الشرق فيه الآن دار الكتب والمتحف الإسلامي .

- "جامع دار الإمام" عند باب المجاهدين .

(ب) الجوامع التي في خارج الحرم وداخل السور :

- "جامع باب خان الزيت" في سوق خان الزيت .
- "جامع الخانقاه" ويقع إلى الشمال الغربي من كنيسة القيامة .
- "جامع قمبر" وهو ملاصق للسور الشمالي عند الباب الجديد .
- "الجامع العمري" في حارة النصارى قبلي كنيسة القيامة له مئذنة .
- "الجامع إلى عقوبي" وهو في إتجاه القلعة من الشرق بباب الخليل .
- " جامع الشيخ لولو" ويقع عند باب العمود على مقربة من السور .
- "الجامع الصغير" ويقع عند مفترق طريقي الواد وباب العمود .
- "جامع حارة اليهود الصغير" ويقع في الطرف الشمالي لحارة اليهود .
- "جامع سويقه علون" ويقع في سويقة علون .
- "جامع القلعة" يقع داخل باب الخليل له مئذنة .
- "جامع حارة النصاري" على طريق باب خان الزيت .
- "جامع البازار" في سوق البازار .
- "جامع الزاوية النفشبندية" في داخل الزاوية النفشبندية على درب الآلام .
- "جامع المولوية" في داخل الزاوية المولوية بحارة السعدية .
- "جامع زاوية الهنود" في داخل زاوية الهنود تجاه باب الساهرة .
- "جامع البراق" وهو ملاصق لحائط البراق في حارة المغاربة .
- "جامع خان السلطان" في خان السلطان بسوق باب السلسلة .

وتوجد جوامع اخرى لكنها مهجورة .

(ج) الجوامع الموجودة في القدس الجديدة خارج السور :

- "جامع النبي داود" في حي النبي داود له مئذنة .
- "جامع الشيخ جراح" ويقع في حي الشيخ جراح على طريق نابلس له مئذنة .
- "الجامع المسعودي" في حي سعد وسعيد على طريق نابلس له مئذنة .
- "جامع عكاشة" ويقع في حي زخرون موشه اليهودي له مئذنة .
- "جامع حجازي" في حي باب الساهرة له مئذنة . وتوجد جوامع اخرى لكنها مهجورة ولاتقام فيها الصلاة .

(د) من أشهر الزوايا :

يوجد في القدس عدد من الزوايا أعدت لإجتماعات ولقاءات الدراويش من مختلف الطرق وأعدت كذلك لنزول الغرباء من المسلمين الذين يهبطون للقدس بغرض الزيارة نذكر منها :

- "زاوية الهنود" واقعة تجاه باب الساهرة من أبواب المدينة على بعد بضع خطوات من سورها الشمالي، أسسها بابا فريد شكركنج من مسلمي الهند، وكان ذلك في أواسط القرن السادس للميلاد ذكرها مجير الدين فقال إنها قديمة العهد كانت بادئ ذي بدء مخصصة لفقراء الطريقة الرفاعية ثم راح الهنود ينزلون بها وللزاوية أملاك موقوفة بباب حطة ، ولقد تبرع لهذه الزاوية بعض أغنياء الهنود فأضافوا إليها بعض العمارات الجديدة .
- "الزاوية الأدهمية" بين باب العمود وباب الساهرة ، خارج السور وعلي بعد مئتي متر منه إلى الشمال ويعتقد البحاثة الأثري كليرمان غانو أنها مغارة ارميا النبي ويقيم فيها الآن جماعة من آل البديري .

- الزاويـة الرفاعيـة "ويسـموها زاويـة ابى السـعود "، واقعـة في داخـل الحـرم تحـت مئذنة باب الغوانمة .

- "زاوية الشيخ جراح" في حي الشيخ جراح على طريق نابلس واقفها هو الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي من أمراء الملك صلاح الدين ام (١٢٠١م) وفي ظاهرها من الناحية القبلية قبور جماعة من آل الجراح وآخرين من المجاهدين .

- "الزاوية اللؤلؤية" بباب العمود في داخل السور وهى وقف بدر الدين لؤلؤ غازي .

- "الزاوية القادرية" ويسموها زاوية الأفغان لأن أكثر المنتمين إليها من بلاد الأفغان. إنها في حارة الواد على بعد بضعة أمتار من الزاوية النقشبندية إلى الجنوب الغربي : هناك على بابها بلاطة نقشت عليها كلمات تدل على أنها زاوية مولانا وسيدنا قطب العارفين وسلطان الأولياء الشيخ عبد القادر "الجيلاني" وكان ذلك عام ١٦٣٣م .

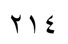
- "الزاوية المولوية" واقعة في حارة السعدية يقيم فيها أشخاص ينتمون إلى الطريقة المولوية تلك الطريقة التي أنشأها مولانا جلال الدين الرومي، أصله من فارس وقد إستقر به المقام بعد أن حج إلى بيت الله الحرام، في قونية من أعمال سلطنة بني عثمان، وكان ذلك في أوائل القرن الثالث عشر وقد دخلت هذه الطريقة بيت المقدس في أوائل الحكم العثماني عام (١٥١٩م) وبعد ذلك بقليل أسس أتباعها في القدس مكانا أسموه (الخانقاه المولوية) .

ويظهر أن الطابق الأرضي لهذه الخانقاة كان في غابر الأزمان ديراً وكان فيه كنيسة للاتين .. وأتخذت بعدئذ مسجداً وقد تم ذلك في العهد الأيوبي وقيل أنه تم فى أوائل حكم المماليك، أما الطابق العلوي والمئذنة التي بجانبه فإنها من عمل الأتراك العثمانيين عام (١٥٨٦م) .

- "الزاوية المجيدية" واقعة في حي النبي داود إلى الشمال من ضريحه شيدت على عهد السلطان عبد المجيد عام (١٨٤٩م) .

- "الزاوية النقشبندية" ويسمونها الأزبكية واقعة في حارة الواد على درب الآلام وعلي مقربة من باب الغوانمة إلى الغرب، بناها مؤسس الطريقة النقشبندية الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخاري (١٦١٦م) لإيواء الغرباء وإطعام الفقراء من مسلمي بخارا وجاوا وتركستان .

حضارة المستوطنات وإرهاب التهويد



المستوطنات : تقويض الهوية العربية الإسلامية

توافرت على إعطاء مدينة " القدس" أهمية خاصة تختلف عن وضعية أي مدينة في العالم .. هذه الأهمية تستند لخلفيات تاريخية ولأسباب دينية ولعوامل جغافية .. جعلتها محط الأنظار .. وتتوفر لها صفة "التقديس" بشكل لا يتوافر لغيرها من المدن، فمثلا مكة المكرمة أو المدينة المنورة لها مكانة للمسلمين .. و" الفاتيكان " محل تقديس بالنسبه للنصاري.. أما القدس فهى مدينة الأديان السماوية الثلاثة – اليهودية والمسيحية والإسلام ..

إنه لأ يوجد في العالم كله مكان تتوافر فيه هذه الكمية من المقدسات بالنسبلهديانات ثلاث، لذا فقد شهدت صراعاً دولياً يكاد أن يكون مستمراً بين القوي الدولية المختلفة التي سادت ثم بادت وظهرت غيرها .. هكذا حتى الآن وما نعرضه يستهدف أن نري المدينة في الوقت الحاضر، فقبل الانتداب البريطاني كانت مدينة "القدس " احدى المدن التي يتكون منها إقليم فلسطين الذيكان جزءاً من الشام الكبير لوقت طويل تحت الحكم العثماني وعندما

هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولي ١٩١٧م، كانت هناك مؤتمرات دولية لتقسيم أسلابها بين الدول المنتصرة في هذه الحرب – دول الحلفاء وعلي رأسها المملكة المتحدة " بريطانيا " وفرنسا – بينما كانت الوعود تقدم للحسين بن على من جانب بريطانيا لمساعدته على تكوين دولة عربية تضم بين ماتضم، الشام الكبير بما فيه فلسطين ويشهد التاريخ على أن بريطانيا لم تف بوعدها وبدلاً من ذلك وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني من الفئة الأولي بما يشهد بأن فلسطين كانت قريبة من الحصول على مركز الدولة المستقلة ، إذ كانت بالقياس إلى معظم الأقاليم التي وضعت تحت الانتداب متقدمة في شئون الإدارة والحكم بما يؤهلها لنيل الاستقلال أوالحكم الذاتى، وهما الهدف الذي يجب أن يتحقق في ظل نظام الانتداب .. علماً بأن الجانب الأكبر في هذه المؤامرة كان الجانب المتصل بالتعهد البريطاني باقامة وطن قومي لليهود، ذلك التعهد الذي قطعته بريطانيا على نفسها لأبناء يهود مقابل قيامهم بمساعدتها في حربها ضد الأعداء،وكان وفاء بريطانيا هنا واضحاً فإن صك الانتداب الذي أبرمته مع عصبة الأمم تضمن الطريق إلى تحقيق وعد بلفور إذ نصت المادة الثانية منه على أنه : " تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي لليهود"، ولم يهمل صك الانتداب النص على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وكذلك .. تسهيل حصولهم على " الرعوية " الفلسطينية عن طريق سن قانون للجنسية يسمح بذلك .

علي أن أن الوفاء البريطاني لليهود كان أوضح في العمل منه في الصكوك أوالوثائق، هذا العمل الذي اختصت مدينة القدس فيه بأكبر قدر من

التدابير والأعمال التي تكفل تحويلها إلى مدينة يهودية قبل قيام الدولة اليهودية بوقت ليس بالقصير.. وقد اتخذت سلطات الاحتلال البريطاني عدة خطوات تمهيداً للوفاء بوعدها لليهود تركت هذه الخطوات حصاداً مازال موجوداً وكائنا حتى اليوم، هذه الخطوات تتمثل في :

- إعادة تخطيط المدينة.
- تدعيم المؤسسات اليهودية في القدس.
- الهجرة إلى المدينة وبناء المستوطنات .

ونعرض لكل خطوة منها :

أولاً : إعادة تخطيط المدينة :

قبل أن يتم " سلفادور اللنبي " سيطرته على الشام إستدعي " مالكين " مهندس الإسكندرية ليضع تخطيطاً للمدينة يحقق الهدف الصهيوني وقام الأخير بذلك خير قيام في مخططه الذي وضعه عام ١٩١٨م فقد قسم المدينة إلى أربعة أقسام : البلدة القديمة وأسوارها .. المناطق المحيطة بالبلدة القديمة، القدس الشرقية (العربية) القدس الغربية "اليهودية" وسمحت هذه الخطة بالبناء في القدس الغربية وجعلها منطقة صالحة للتطوير بينما منعت ذلك تماماً في البلدة القديمة وقيدته بشدة في القدس الشرقية وبذلك سمحت هذه الخطة بتعزيز الوجود الصهيوني في القدس، وإحكام تطويقها واستيطانها، لمنع أي توسع عربي محتمل ومحاولة السيطرة على الحكم البلدي للمدينه، ليتسنى السيطرة تماما على المدينة وتحويلها إلى عاصمة للدولة اليهودية .

ثانياً : تدعيم المؤسسات اليهودية في القدس :

ساعدت حكومة الانتداب البريطاني على جذب الاستثمارات الأوروبية للمساعدة على إقامة وطن قومي لليهود.. وساعدت على إقامة مجموعة من الهيئات والمؤسسات اليهودي ة، لكي يحقق ذلك الهدف في المدينة المقدسة مثل: اللجنه التنفيذية للمنطقة الصهيونية العالمية wzo والوكالة إلى هوية والصندوق التأسيسي والصندوق القومي لليهود والمجلس الوطني " لليشوف" الحاخامية الرئيسية والجامعة العبرية ومستشفي "هداسا" الجامعي .. ولوحظ في إقامة هذه المؤسسات أن تقام على هضبة "سكويس" في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة القديمة وهو الاتجاه الوحيد الذي كان يسمح بالتوسع العربي في المدينة.. مما شكل حصراً كلياً للتوسع العربى فيها.

ومن المفارقات الغريبة أن ذلك قد حدث في الوقت الذي وعدت بريطانيا العرب بتأسيس دولة مستقلة لهم وذلك عام "١٩١٥ - ١٩١٦م " في إطار محادثات "الحسين/ مكماهون "، ومن خلال رسائل اخرى أرسلت إلى الحسين بن على في وقت لاحق عام ١٩١٨، وبعد أن كانت الحكومة البريطانية قد أصدرت وعد بلفور فقدأصدرت بياناً آخر ذكرت فيه أن دول الوفاق عاقدة العزم على منح الجنس العربي فرصة كاملة لتكوين أمة في العالم مرة اخرى وفيما يتعلق بفلسطين، فإننا عقدنا العزم على ألا يكون أي قوم خاضع لقوم آخر .. كذلك أعلنت بريطانيا بعد احتلالها لمدينة القدس عام ١٩١٨ أن رغبة حكومة جلالة الملكة هى: أن يقوم حكم هذه المناطق مستقبلاً على أساس مبدأ موافقة المحكومين . وأعلنت في بيان مشترك مع فرنسا في يونيو من نفس العام : أن

الهدف الرئيسي الذي ترمي اليه فرنسا وبريطانيا العظمي من مواصلتها الحرب حتى النهاية في المشرق .."هو التحرير الكامل الواضح للشعوب العربية وإنشاء حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من مبادرة السكان الأصليين واختيارهم الحر ".

وإذا كانت هذه البيانات هى عن حق الشعوب في تقرير مصيرها فكان الأجدر أن تطبق على فلسطين بما فيها القدس .. ويذكر أن "لجنة كنج – كرين" وهى احدى اللجان المصنفة في تاريخ العلاقات الأمريكية العربية قدمت تقريراً واضحاً ذكرت فيه أن السكان غير اليهود في فلسطين .. وهم تسعة أعشار السكان تقريباً، يرفضون البرنامج الصهيوني رفضا باتاً ، وأن سكان فلسطين لم يجمعوا على شيء مثل إجماعهم على هذا الرفض، واقترحت اللجنة تعيين الولايات المتحدة منتدبة على سوريا، بما فيها فلسطين.. ولكن الحلفاء، أهدروا تقرير اللجنة واعترف وزير خارجيتهم " بلفور" بأن هذا المبدأ – تقرير المصير – لن يطبق على فلسطين، وأن سياسة الحلفاء تتناقض مع نصوص عهد العصبة، وكان مما ذكره : إننا لا ننوي في حالة فلسطين أن نقوم حتى بشكليات إستقصاء رغبات سكان البلاد الحاليين .. إن الدول الكبرى الأربع ملتزمة بالصهيونية سواء أكانت صائبة أوخاطئة، حسنة أو سيئة، تضرب بجذورها في عادات قديمة قدم الدهر، وهى أكبر أهمية بكثير من رغبات السبعمائة ألف عربي الذين يقطنون الآن تلك الأراضي القديمة .

وقال " بلفور ": إنه ينبغي استثناء فلسطين من مبدأ استطلاع آراء السكان فيمن يحكمهم ،" لأن الدول الكبرى قد التزمت بالبرنامج الصهيوني

الذي استثني حتما تقرير المصير العددي، إن فلسطين تمثل حالة فريدة، فنحن لا نبحث رغبات مجتمع موجود، بل نسعي عن وعي إلى إعادة إنشاء مجتمع جديد والعمل على تكوين أغلبية عددية في المستقبل ..فهنا نجد اعترافاً بضرورة استطلاع رغبات المحكومين في الطريقة التي يحكمون بها، وإعتراف صريح بضرورة استثناء فلسطين من هذه القاعدة، وبسبب واضح في ذلك الوقت هو أن الدول الكبرى ملتزمة بالصهيونية وبإقامة وطن لليهود في فلسطين.

وكانت حصيلة فترة الانتداب على فلسطين، بما فيها القدس، تمثلت في السماح بهجرة واسعة لليهود، وفي تمكينهم من إتخاذ التدابير اللازمة لإقامة الوطن القومي، حسبما جاء في وعد بلفور وقرار التقسيم ولكن الأزمات الناتجة عن هذه السياسة جعلت السلطات البريطانية تشعر بسوء ما فعلت، فأصدرت كتابا أبيض عام ١٩٣٩م يعبر عن سياستها الجديدة في فلسطين، والتي تتمثل في الآتي:

١- وقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، إذ أن في السماح باستمرارها تخليداً للعداوة بين الشعبين اليهودي والعربي، وجعل حالة فلسطين مصدرا للاحتكاك الدائم بين جميع شعوب الشرق الأدنى والأوسط.

٢- رفض مبدأ تقسيم فلسطين والسماح بإقامة دولة يهودية فيها، لأنها تعتبر ذلك مما يخالف الإلتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب، والتأكيدات التي أعطيت للشعوب العربية فيما مضى، ألا يجعل سكان فلسطين رعايا دولة يهودية خلافاً لإرادتهم .

٣- تشكيل حكومة فلسطينية مستقلة - خلال عشر سنوات يساهم فيها العرب واليهود على وجه يضمن المصالح الرئيسية لكل من الفريقين.

ويمثل هذا الكتاب الأبيض إعترافا بضرورة مراعاة الإرادة العربية في تشكيل الحكومة التي يجب أن تقوم في فلسطين، ولكن للأسف كانت الأوضاع قد تغيرت تحت الحكم البريطاني الذي استمر عقدين، فقد غيرت الهجرات اليهودية والأفعال التي قامت بها الوكالة اليهودية في فلسطين - في عقدين من الزمان - طبيعة الإقليم، والقدرة على إحتواء العناصر المتصارعة فيه، فضلاً عن أن إضطهاد اليهود في أوروبا في تلك الفترة جعل السلطة البريطانية تتساهل في قبول مزيد من اليهود في فلسطين . وكانت تلك السياسة البريطانية ضربة لأهداف اليهود في إسرائيل، مما جعلهم يتحولون إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لنيل تأييدها لهم ويقومون بإنتفاضات واسعة ضد العرب وضد سلطة الإنتداب، حتى إنه عندما إنتهت الحرب العالمية الثانية كانت هذه السلطة غير قادرة على الإمساك بزمام الأمور في الإقليم، مما جعلها تعرض المشكلة على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ م .

وعندما شكلت الأمم المتحدة لجنة لتقصي الأمور في الأراضي المحتلة في عام ١٩٤٧م كان من الصعب أن تجمع على رأي حاسم في أسلوب حل المشكلة، وظهر إتجاه قوي في ضرورة تقسيم فلسطين إلى دولتين - عربية ويهودية يجمع بينها اتحاد إقتصادي، وتدويل مدينه القدس، واتجاه آخر رأي التقسيم مخالفا للقانون ومن شأنه أن يجعل المشكلة تتفاقم .. ولكن الجمعية العامة وافقت على رأي الأغلبية وأقرت التقسيم مع تحديد حدود كل دولة ..

وقد نص قرار التقسيم على أن تضع الجمعية التأسيسية من كل من الدولتين مشروع دستور ديمقراطي يتضمن المبادئ التي أوردها القرار، وهى مبادئ تتصل بكفالة المساواة وعدم التمييز في الحقوق المدنية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية للجميع، وضرورة التمتع بكافة حقوق الإنسان، إلا أن قرار التقسيم قد صادر بدوره حق تقرير المصير للفلسطينيين، مع أنهم كانوا يمثلون أغلبية السكان وقت صدوره، وكانت الأغلبية تعارض بشدة قرار التقسيم، وإن كان الإنصاف يقتضينا القول : إن قرار التقسيم اعترف بدولة فلسطينية على جزء محدود من أرض فلسطين لهم حقوقهم الكاملة كشعب، ولا يمكن القول بأن رفض العرب له قد أثر على وجوده أو على إستمرار الوضع على النحو الذي سار عليه فيما بعد، إذ كثيراً ما يقال : إن العرب قد أضاعوا الفرصة التي أعطيت لهم، فما أخذوا وما أضاعوا فالسطوة الصهيونية، والشهرة الصهيونية لابتلاع كل فلسطين كانت واضحة، ففي حرب ١٩٤٨ ابتلعت أغلب الأراضي الفلسطينية بما فيها القسم الأكبر من مدينة القدس، ولم يبق من هذه الأراضي سوى الضفة الغربية لنهر الأردن التي وضعت الأردن يدها عليها وقطاع غزة الذي وضعت مصر يدها عليه بصفة مؤقتة حتى تقوم الدولة الفلسطينية .. وقد أنشأت مصر حكومة عموم فلسطين وجعلت مقرها قطاع غزة حتى لا تنتهي القضية الفلسطينية، ولكي يضم إليها ما يتحرر من الأراضي الفلسطينية بعد ذلك، على خلاف الأردن التي ضمت الضفة إلى أراضيها، وإن تخلت عن هذا الضم بعد ذلك .. لقد أقر قرار تقسيم فلسطين وضعاً آخر لمدينة القدس بسبب أهميتها وقداستها يتمثل في تدويلها وقيام مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة بإدارتها لمدةعشر سنوات، يعاد النظر بعدها في النظام الذي يجب أن تحكم به

المدينة بعد ذلك، وقام مجلس الوصاية بوضع معالم النظام الذي يحكم المدينة وان لم يطبق هذا النظام أبداً.

وعندما أعلن قيام إسرائيل في مايو ١٩٤٨ م استولت على الأراضي المخصصة لها في قرار التقسيم، وأخذت أراض اخرى من تلك التي خصصها القرار للعرب ثم قامت بالاستيلاء على الجزء الغربي من مدينة القدس، ومع ذلك تم التأكيد على تدويل القدس بموجب قرارين صدرا من الجمعية العامة .. الأول في عام ١٩٤٨م برقم (١٩٤) الصادر في ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨، وقد نص أن منطقة القدس يجب أن تتمتع بمعاملة خاصة منفصلة عن معاملة مناطق فلسطين الاخرى ويجب أن توضع تحت الرقابة الفعلية للأمم المتحدة.. أما القرار الثاني فكان عام ١٩٤٩ ويحمل رقم (٣٠٣) صادر في ٩ ديسمبر وقد نص على وجوب وضع القدس في ظل نظام دولي دائم، يجسد ضمانات ملائمة لحماية الأماكن المقدسة داخل القدس وخارجها، وأكدعلي ماجاء بقرار التقسيم والقرار اللاحق له من وجوب قيام مجلس الوصاية بإدارة المدينة وحدد حدود مدينة القدس بأنها " بلدية القدس الحالية والمراكز والقري المحيطة بها .

وبعد نكسة يونيو " حزيران" ١٩٦٧ احتلت إسرائيل الضفة الغربية بما فيها الجزء الشرقي من مدينة القدس والذي كان تحت السيطرة الأردنية وقامت على الفور باصدار قانون بضم المدينة لها وجعلها مع المدينة الجديدة السابق لها الاستيلاء عليها – مدينة موحدة – وعاصمة أبدية لها، ثم وضعت خطة كاملة لتهويدها وتغيير المعالم الرئيسية الإسلامية والعربية التي تميزها، وهذه الأعمال كانت موضع اعتراض واستنكار من المجتمع الدولي، إلا أن هذا لم يؤثر على ما تقوم به إسرائيل من تدابير و ممارسات لا يقرها القانون الدولي .

ثالثا : الهجرة إلى المدينة وبناء المستوطنات :

لا شك أن الهجرة والاستيطان الإستعماري يشكلان حجر الزاوية في الفكر الصهيوني، وهو الأساس الذي قامت عليه إسرائيل.. والأساس الذي تعتمده لإضفاء صفة الأمر الواقع الديمغرافي على توسعاتها العسكرية المتتابعة .. والإستيطان الإسرائيلي يختلف عن كل أشكال الإستيطان الإستعماري التي عرفها العالم في العصر الحديث ذلك لأنه يستند في تبرير نفسه إلى فلسفة ذرائعية وحق ديني مزعوم، ويعتمد سياسة الأمر الواقع التي تساندها القوة العسكرية . ويعتبر استيطان القدس أحد أهم ركائز الدعوة الصهيونية، لأن الدعاة الصهاينة كانوا يرددون دائما أمام بسطاء اليهود في العالم أحد المزاعم اليهودية التي تقول: إن أقدامنا كانت تقف عند أبوابك ياقدس .. ياقدس التي بقيت موحدة . إن موضوع العودة إلى القدس وتأسيس دولة يهودية في البلاد المقدسة تمتد من الفرات إلى النيل، حلم اليهود الذين رفضوا الاندماج في المجتمعات التي أقاموا داخلها وقد جرى تنفيذ الاستيطان الإسرائيلي في القدس على عدة مراحل:

المرحلة الأولي (١٨٩٧– ١٩١٧ م) :

وهذه المرحلة بدأت من المؤتمر الصهيوني في مدينة " بازل " السويسرية عام ١٨٩٧م برئاسة تيودور هرتزل وكان محطة رئيسية لتسلل اليهود إلى فلسطين عامة والقدس خاصة وشراء المباني والأراضي فيها ودعم هذه المرحلة وعد بلفور الذي صدر في ٢/١١/ ١٩١٧ .

المرحلة الثانية (١٩١٨ – ١٩٤٨ م) :

وهي مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وفي هذه السنوات بذلت بريطانيا جهودها لتنفيذ وعد بلفور وكانت نتائجها : تدفق الهجرة اليهودية وتدفق المساعدات الألمانية والأمريكية التي تدعمها.. وقد أدت تلك الهجرة إلى إرتفاع عدد السكان اليهود في فلسطين من ٥٦ ألف سنه ١٩١٨ مقابل ٦٤٤ ألف عربي "مسلم ومسيحي" إلى حوالي ٦٥٠ ألفا من اليهود مقابل ١,٤٠٠,٠٠٠عربي " مسلم ومسيحي " في آخر عهد الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨م، كما أدت إلى إرتفاع عدد اليهود في القدس من حوالي عشرة آلاف سنة ١٩١٨م وكانوا يشكلون حوالي ٢٥% مقابل حوالي ثلاثين ألفا من العرب (المسلمين والمسيحيين) .. وكانوا يشكلون حوالي ٧٥ % من سكانها، ثم إرتفع عددهم ما بين عام ١٩٢٠ و١٩٢٥ فأصبحوا يشكلون ٣٣ % من سكان القدس ويمثلون بمجلسها البلدي بأربعة أعضاء مقابل ستة أعضاء مسلمين وإثنين مسيحيين عرب وأصبح عددهم في نهاية الانتداب يقارب مائة ألف ويمثلون في المجلس البلدي بنصف أعضائه مقابل مثلهم من العرب المسلمين والمسيحيين .

كما أدت عمليات الإستيطان الإسرائيلي التي تمت نتيجة للتشريعات المخالفة لصك الانتداب ولحقوق الإنسان إلى رفع نسبه ملكية الأراضي الفلسطينية لليهود فيها من حوالي ٢% سنة ١٩١٨ إلى حوالي ٥,٦٦% في آخر عهد الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨ مقابل ٩٤ % للعرب سنة ١٩١٨ و ٩٢% لهم سنة ١٩٤٨ و ٢ % للأجانب ورفع نسبتها لليهود في القدس من

حوالي ٥٤% سنة ١٩١٨ إلى حوالي ١٤ % في آخر عهد الانتداب البريطاني (١٥ / ٥ / ١٩٤٨) و ٢% للأجانب .

المرحلة الثالثة (١٩٤٨ – ١٩٦٧) :

وقد تم خلال هذه الفترة إنشاء دولة "إسرائيل" وإغتصابها " بمساعدة الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة لمعظم أراضي فلسطين العربية وطرد أكثر من مليون عربي فلسطيني منها، ومصادرتها لجميع أملاكهم المنقولة وغير المنقولة ومنع عودتهم إليها خلافاً لقرارات الأمم المتحدة، وفتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها وقد أدت هذه الاعتداءات إلى رفع عدد السكان اليهود من ٦٥٠ ألفا سنه ١٩٤٨ إلى حوالي ٢,٤٠٠,٠٠٠ في سنه ١٩٦٧، ووضع إلى د الإسرائيلية بالقوة على ما يقرب من ٧٠ % من مساحة أراضي فلسطين .

كما تم خلال هذه المرحلة تقسيم القدس إلى قسمين : قسم ضُم إلى المملكة الأردنية الهاشمية وقسم إحتله الجيش الإسرائيلي سنه ١٩٤٨ ووضع أيديه على مساحة حوالي ٨٠ % من مساحة المدينة وطرد ستين ألفا من أهلها العرب المسلمين والمسيحيين منها، ومصادرة أراضيهم وأملاكهم ومنع عودتهم إليها خلافا لقرارات الأمم المتحدة المتواصلة التي تنص على حقهم في العودة وتقرير المصير وأدت هذه الاعتداءات إلى رفع عدد السكان اليهود في المدينة من حوالي مائة ألف سنة ١٩٤٨ إلى حوالي١٩٠ألفا في سنة ١٩٦٧، وإنخفاض عدد العرب بسبب عدم السماح بعودة اللاجئين منهم من حوالي مائة ألف في أوائل سنة ١٩٤٨ إلى حوالي ٣٥ ألفا بعد حرب ١٩٤٨ ثم إرتفع إلى حوالي ٧٥ ألفا سنة ١٩٦٧، كما أدت إلى إرتفاع الملكية الإسرائيلية على الأراضي

فيها من حوالي ١٤% في أوائل سنه ١٩٤٨ إلى حوالي ٧٣% قبل حزيران "يونيو" ١٩٦٧، مقابل حوالي ٨٤ % كانت للعرب وحوالي ٢% للأجانب .

المرحلة الرابعة (١٩٦٧– ١٩٨٥) :

وهي التي بدأت باحتلال باقي فلسطين وتشمل أجزاء الضفة الغربية وقطاع غزة والقسم الثاني من القدس في أعقاب حرب حزيران " يونيو" ١٩٦٧، ومباشرة سلطاتهم بتنفيذ مراحل التهويد النهائية فيها ضمن عدد من الإجراءات العسكرية والإرهابية والتشريعية والإدارية خلافا لاتفاقيات جنيف وحقوق الإنسان وقرارات الأمم المتحدة، ففي الثامن من حزيران "يونيو" ١٩٦٧كان الحاخام شلومون غورون – حاخام الجيش الإسرائيلي آنذاك – يقف على رأس تلة من الجيش الإسرائيلي بالقرب من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف " حائط المبكي " ويقيم شعائر الصلاة اليهودية معلنا في ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهى عاصمتهم الأبدية .. وبالفعل فقد جاءت كل الإجراءات الإسرائيلية في مدينة القدس منذ ذلك الحين لتكون مصادقة على هذا الكلام ومحققة للحلم الصهيوني بجعل مدينة القدس الموحدة عاصمة للكيان الصهيوني، ففي١١ حزيران ١٩٦٧ عقدت الحكومة الإسرائيلية إجتماعها لبحث ضم القدس إلى إسرائيل وتوالت اجتماعاتها إلى أن تقدمت للكنيست بتاريخ ٢٧حزيران ١٩٦٧بمشروع قرار بضم القدس إلى إسرائيل .. وقد وافق الكنيست في اليوم نفسه على قرار الضم وجرى إلحاق القدس العربية بإسرائيل سياسياً وإداراياً بموجب الأمر رقم ٢٠٦٤ الذي صدر في الصفحة ٢٦٩٠ من نشرة الأنظمة.

وفي اليوم التالي أصدرت الحكومة الإسرائيلية ماسمي بأمر القانون والنظام رقم (١) لسنة ١٩٦٧ وأخضعت بموجبه منطقة تنظيم مدينة القدس للقوانين والنظم الإدارية الإسرائيلية .. وفي الثلاثين من تموز١٩٨٠ وبعد ثلاثة عشر عاما من إجراءات الضم والتهويد أقر الكنيست الإسرائيلي ما سمى بالقانون الأساسي للقدس الموحدة الذي ينص على إعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة لإسرائيل ومقراً لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا و يدعو القانون إلى إتخاذ الإجراءات التي من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون .

وعملية الاستيطان في القدس تمت على مرحلتين :

– **الأولي** : الإستيطان في القدس القديمة وقد باشرتها السلطات الإسرائيلية فور الانتهاء من عمليات المصادرة والهدم داخل البلدة القديمة بإقامة أول حي سكني يهودى فيها .ويضم هذا الحي سوقاً تجارياً وكنيسة للصلاة أقيمت كلها على أنقاض أربعة أحياء عربية هى حي الشرف، حتى الباشورة، حي المغاربة وباب السلسلة .. وقد جاءت عمليات الاستيطان العاجلة داخل البلدة القديمة مصاحبة لإجراءات التهويد الاخرى وعلي رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الإسلامية والشروع في عمليات الحفر تحت الحائطين الغربي والجنوبي للمسجد الاقصى وترحيل العائلات العربية من المناطق المجاورة للحي اليهودي وإصدار مختلف التعليمات والقوانين لتجريد العرب من أملاكهم ووضع إلى د على المزيد من الأراضي والعقارات في البلدة القديمة وخارج الأسوار وفي نطاق حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧.

– **أما المرحلة الثانية** : فهى الاستيطان في حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ وقد بدأت إسرائيل خلال عام ١٩٦٨ بالشروع في إقامة حزام من الأحياء السكنية يحيط بالقدس من الناحيتين الشمالية والجنوبية، وقد تم حتى الآن إقامة عشرة من هذه الأحياء أحاطت القدس العربية بجدران من القلاع الأسمنتية الصماء التي شوهت طابع المدينة الحضاري ومعالمها الجمالية الأمر الذي حدا باليونسكو إلى تشكيل لجنة لدراسة هذه المسألة ومطالبة إسرائيل بالتوقف عن تشويه طابع المدينة الحضاري بهذه السلاسل من القلاع الأسمنتية المدججة . وقد تبين أن هناك طوقا آخر يقع خلف هذا الطريق من القلاع وهو طوق المستوطنات التي أقيمت في نطاق ما يسمى بخطة القدس الكبرى . وتتلخص هذه الخطة في توسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد لتشمل مايقارب ٣٠% من مجمل مساحة الضفة الغربية .. وكانت أول تفاصيل تنشر حول هذا الموضوع ما نشرته جريدة معاريف الإسرائيلية في ٢٦ آذار ١٩٦٩وتحت عنوان " القدس الكبرى عاصمة إسرائيل" وجاء فيها أن لجنه هندسية إسرائيلية بدأت منذ حزيران ١٩٦٧ بوضع المخططات اللازمة لمشروع القدس الكبرى وإنتهت من وضعها خلال عام ١٩٦٨، وفي آذار ١٩٧١ أعلن الدكتور ميرون بنفنستي نائب رئيس بلدية القدس الإسرائيلي عن إنجاز مشروع مشابه عرف بإسمه وفيه يقترح توسيع حدود بلدية القدس لتشمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالا وحتى بيت لحم جنوبا .. وقد أطلق على هذا المشروع اسم "مشروع الأب " وفي إطاره أقيمت أكثر من ١٩ مستوطنة تشكل بحد ذاتها الحزام الذي يحيط بطوق الأحياء السكنية المجاورة للمدينة والتي أقيمت ضمن حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧.. وفي فبراير عام ١٩٧٤ أعلنت الصحف الإسرائيلية عن تفاصيل

مشروع آخر وضعه الدكتور " رافل بنكلر .. وقيل أنه يشبه إلى حد كبير مشروع " بنفنستي " ولكنه يتجاوزه إلى طرح وجهات نظر سياسية وتصورات عامه لمستقبل المدينة ويتضمن مشروع بنكلر النقاط التالية

١- إبقاء مدينة القدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية .

٢- توسيع حدود المدينة وتقسيمها إلى ثمانية أحياء لكل حي مجلس بلدي فرعي وتخضع كلها لهيمنة المجلس البلدي المركزي الذي يضم ٥٥عضواً بينهم ٣٨عضواً من اليهود .

٣ - إعطاء الأحياء العربية نوعا من الحكم الذاتي .

٤- ضمان حرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات .

٥- حدد المشروع نسبة السكان العرب بحيث لا تتجاوز ٢٥ %إبتداءاً من عام ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠١٠ .

٦ - يشتمل التوسع المقترح المناطق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتي رام الله والبيرة وشرقا حتى أبو ديس والعيزرية وغربا حتى اللطرون وجنوبا حتى بيت لحم . وفي هذه الأثناء شكلت الحكومة الإسرائيلية لجنة لوضع مخطط لتوسيع القدس أطلق عليه إسم " لجنة جفني "

وقد أنهت هذه اللجنة توصياتها التي نشرتها جريدة هآرتس الإسرائيلية ١٤ /١٠ / ١٩٧٥، ودعت إلى إقامة ٢٨٦٠٠ وحدة سكنية خلال السنوات الخمس ٧٥ - ١٩٧٩ ولكن اللجنة حصرت عمليات البناء في إطار حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ وذلك في محاولة لإحكام طوق الإستيطان حول البلدة القديمة كخطوة أولي قبل التوسع الإستيطاني في نطاق القدس الكبرى .. وفي

٣٠ أيلول ١٩٧٥ نشرت جريدة دافار الإسرائيلية خبرا نسبت فيه إلى مسئول إسرائيلي كبير قوله أن الموافقة قد تمت على خارطة القدس الموسعة وذلك على النحو التالي : تمتد حدود بلدية القدس مابين الخان الأحمر شرقا واللطرون غربا وديردبوان وبتين شمالاً وضواحي مدينة الخليل " مستوطنة كريات أربع " جنوبا . ويقضي هذا التوسع بضم ٩ مدن و ٦٠ قرية عربية مايقارب ٣٠ % من مجموع المساحة الكلية للضفة الغربية .. وهذا المشروع هو بمثابة التوسع النهائي لحدود مدينة القدس الكبرى، وهو بحد ذاته المشروع الذي تم تنفيذه على الطبيعة بإقامة ١٥ مستوطنة اخرى تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس ويضم هذا الحزام المستوطنات التالية :

أ – في الشمال وهى المستوطنات التي أقيمت حول مدينتي رام الله والبيرة وتضم .. كوخاف هشاجر عفره، بيت ايل، كفاروش، نيفي تسوف، بيت ايل ب.
ب – في الجنوب وهى المستوطنات التي أقيمت في المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل وحتى مناطق بيت لحم وبيت ساحور وتضم .. تكواع، كفار عصيون، تكواع ب، إلى عازر أوب، افرات مجدل عوز، روش تسوريم الون شيفون، متبسي جوبرين. إن الهدف من إقامة هذه الأحزمة الاستيطانية الثلاثة حول مدينة القدس ليس فقط عزل المدينة نهائيا عن الضفة الغربية بأسيجة من القلاع والمستوطنين، ولكن هناك أهدافا اخرى يمكن إيجازها في تجزئة الضفة الغربية وتقطيع أوصالها جغرافيا وديمغرافيا والقضاء على الوجود العربي الكثيف حولها(٢٥٠ ألف نسمة) والذي يشكل رافدا يغذي الوجود العربي فيها باستمرار . إحداث خلخلة سكانية في وسط الضفة الغربية تمهيدا لتمزيقها إلى

منطقتين معزولتين تماما ومحاصرتين بالاستيطان اليهودي وهما منطقة الخليل جنوبا ومنطقة نابلس شمالا .. ضم مساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية تتراوح مابين ٤٠٠ – ٥٠٠ كم بالإضافة إلى المساحات التي جرى إلحاقها بالقدس وفقا للمخططات الهيكلية وكان آخرها إضافة ٦٣كم على حساب الضفة الغربية .

مدينة القدس الكبرى العاصمة التي ترتكز فيها كل عوامل الجذب والإستقطاب للنشاطات الاستثمارية والسياحية والصناعية والزراعية لليهود من جميع أنحاء العالم، فالمساحات الشاسعة من الأراضي التي تقع في نطاق القدس الكبرى ستمكن المخططين اليهود من توفير كل المناخات اللازمة للاستثمار والتوطن اليهودي في هذه المنطقة .

المرحلة الخامسة (١٩٨٥ – ١٩٩٥) :

في تلك المرحلة ركزت إسرائيل على تغيير الطابع العربي للمدينة والعمل على إخلال الميزان السكاني لصالح اليهود .. وقد شكلت السلطات الإسرائيلية لجانا للإشراف على الإستيطان في الأحياء الإسلامية وهى الحي الإسلامي الجنوبي والشرقي والأوسط .. وأطلقت على هذه اللجنة اسم " لجنة التنسيق لإعادة توطين إلى هود" ويشترك فيها ممثلون عن وزارة الداخلية ووزاة العدل والشرطة الإسرائيلية ومدير دائرة الأراضي وتعمل هذه اللجنة منذ عام ١٩٨٥، على إسكان مستوطنين يهود في أحياء الواد والسعدية وباب حطة حيث تدعي وجود أملاك يهودية سابقة في هذه الأحياء، وهناك مخططات إسرائيلية سرية وضعت حديثا وتهدف إلى طرد سكان هذه الأحياء البالغ عددهم حوالي ١٨

ألف عربي والإستيلاء على مساكنهم ومحلاتهم التجارية وتوطين اليهود المهاجرين حديثا فيها وعلل المسئولون الإسرائيليون ذلك بضرورة تخفيف الكثافة السكانية داخل البلدة القديمة " لمصلحة سكانها العرب" .

كما تعمل سلطات الإحتلال بشتى أساليب الضغط على السكان من أجل إجبارهم على بيع منازلهم في البلدة القديمة أو مصادرتها في حالة رفضهم كما فعل الوزير الاسرائيلي " أرئيل شارون " الذي سكن يوم ١٥/ ٢ / ١٩٨٧ في منزل في شارع الواد في الحي الإسلامي بعد إجبار سكانه العرب على إخلائه بإقتحام مبني تملكه بطريركية الروم الأرثوذكس- فندق ماريوحنا - والذي يقع في مكان متوسط من حارة النصارى العربية ومجاور لعدة أماكن إسلامية ومسيحية مقدسة .. وبعد " توحيد " المدينة أصبح السكان العرب يشكلون أقلية حيث تراوحت نسبة العرب مابين ٢٦,٦- ٢٩,٩% كحد أعلي خلال الفترة ٧٢ – ١٩٨٨، وقد أظهرت دراسة أصدرها معهد القدس لأبحاث إسرائيل ونشرت في ٢ / ٥/ ١٩٨٨ أن نسبه تزايد العرب مقابل تزايد اليهود في مطلع التسعينات كانت ٣,٦ % وأصبحت في الثمانينات ٢,٥%، كما أظهرت الدراسة فروقا كبيرة في مستوى المعيشة بين العرب واليهود فالحي اليهودي الوحيد المكتظ بالسكان هو حي " مائة شعاريم " حيث يعيش ١٧ ألف نسمة على مساحة كليو متر واحد بينما يعيش في البلدة القديمة ٣٠ ألف نسمة في الكيلو متر الواحد، أما متوسط الإكتظاظ السكاني لليهود فهو ١,١ شخص للغرفة مقابل ٢,٣ شخص للغرفة لدى العرب، ويبلغ دخل اليهودي ثلاثة أضعاف دخل الفرد العربي كما أشار التقرير إلى إنتقال قطاعات سكانية يهودية شابة في النصف الأول من الثمانينات إلى المستوطنات المحيطة بالقدس

العربيــة ممــا أثــر علــى التــوازن الســكاني في المدينــة .. ويشــير النشــاط العملــي للاستيطان في القدس إلى النية في تطبيق مشروع القدس الكبرى اليهودية أو ما يعرف بخطة الجيش وهى الخطة الأمنية القائلة " بوجوب نقل الحدود إلى ماوراء الجبال المحيطة بالمدينة ما بين منطقة قلندية شمالا ومنطقة بيت لحم جنوبا وبين معالية أدوميم شرقا ومعالية هحمشيا غربا بحيث تكون المساحة الكلية ٢٠٠ ألف دونم، وفي نهاية الأمر جرى تقليص هذا الرقم ليصبح ١١٠ آلاف دونم".

يمكن القول : إن التقليص بقي نظريا ففي السلوك العملي تجاوز له حيث يجري العمل على إستيطان سفوح الجبال المحيطة بالقدس لجهة المدن والقري والتجمعات العربية . ويجري بإستمرار توسيع هذه المستوطنات والأحياء والبناء فيها من قبل مستثمرين أفراد تكمل نشاطاتهم نشاط المؤسسات الرسمية والمنظمات الإستيطانية تحت شعار "تسمين القدس" لتسهيل دفع المزيد من المستوطنين اليها، فحسب إحصاءات صحفية "يروشلايم " الإسرائيلية بلغ عدد سكان القدس في تشرين الأول١٩٩٠(٤٩٣) الفا ٧١,٧ % منهم يهود وحسب وكالة رويتر فإنه حتى عام ١٩٨٩ بلغ عدد المستوطنين في القدس بعد عام ١٩٦٧ – ٢٩٠ ألف مستوطن، وقد أشارت صحيفة " القدس " المقدسية في عددها الصادر يوم ١٢/ ٧/ ١٩٩٠ إلى أن القدس الشرقية تضم ٢١٠ آلاف نسمة بينهم ١٢٠ الف يهودي من مجموع ٥٠٠ ألف هم سكان القدس.

ورغم أن مخططات استيطان القدس كانت تجري على قدم وساق، إلا أن الهجرة الكثيفة لليهود السوفييت لإسرائيل عام ١٩٩٠ شكلت قوة دفع هائلة

لإستيطان القدس، بتوفير المادة البشرية التي تشكل القوام الأساسي للإستيطان، ومنذ بدء هذه الهجرة كان واضحا ان الأوساط الإسرائيلية تعمل على توجيههم لإستيطان القدس، وليستخدم مثل هذا التوجه في إقامة مستوطنات جديدة أو توسيع القائمة منها والسيطرة سيطرة تامة على معابر الطرق المؤدية إلى التجمعات العربية .. سواء داخل المدينة الموسعة أو خارجها وهدفها عزل السكان العرب في القدس عن السكان في الضفة الغربية .

وقد ألغت إسرائيل الحدود الإدارية للقدس الجديدة – خارج الأسوار – القرى العربية التي كانت تقع في ضواحي المدينة، وأصبحت هذه القرى مجرد أحياء متفرقة من أحياء مدينة القدس الموسعة والعديد من القرى العربية إنشطرت وأصبحت أجزاء منها داخل الحدود الإسرائيلية وأخري في الضفة الغربية وفقدت معظم القرى أراضيها الزراعية التي دخلت ضمن الحدود البلدية الأمر الذي أدي إلى مصادرتها فيما بعد وقد نتجت عن السياسة الاستيطانية آثار مدمرة على حياة السكان فيها ويتمثل هذا الخطر في التفوق السكاني لصالح اليهود في المدينة ونتيجة لجملة السياسات الإسرائيلية تجاه سكان البلدة القديمة فقد ازدادت الكثافة السكانية في بعض الأحياء العربية وبصورة خاصة في الحي الإسلامي .. ومن الإحصائيات الحديثة يتضح أن الكثافة السكنية العربية في المناطق التي يتواجد فيها العرب تظل أعلي منها في المناطق اليهودية مما يوضح أيضا سياسة سلطات الإحتلال القائمة على حصر العرب في مناطق محدودة وتضييق الخناق عليهم فيما ينتشر اليهود في مناطق واسعة وقد تم في عام ١٩٩٥ الاستيلاء والمصادرة الإسرائيلية لعدد كبير من الأراضي والممتلكات

العربية في القدس تمهداً لبناء مستعمرات جديدة ولخطط قادمة .. وحين نضع في الإعتبار الخطط الإسكانية التي رافقت مشروع القدس الكبرى والتي تنص على جعل سكانها مع نهاية عام ٢٠٠٠ قرابة المليون نسمة ٧٥ % منهم يهود فإننا نجد مايلي :

- عدد سكان القدس إحصائية عام ١٩٩٥. ٧٥ % منهم يهود والـ ٢٥ % الباقية عرب. - ينص مشروع القدس الكبرى على جعل سكان القدس مليون نسمة عام ٢٠٠٠ شريطة ألا يتجاوز عدد السكان العرب فيها نسبة ٢٥% وذلك يعني أن عدد العرب المسموح به في نطاق القدس الكبرى سيظل محدداً بعدد معين لا يتجاوز ٢٥٠ ألف نسمة فقط.

- وهذا يعني أن خطة القدس الكبرى تستهدف العمل على تهجير آلاف المواطنين العرب حتى بعد عام ٢٠٠٠ إذا وضعنا في الاعتبار التكاثر المتوقع للعرب .

- إن خطة القدس الكبرى كما هو واضح لا تستهدف فقط التهويد النهائي للمدينة وتدمير طابعها الحضاري وتحويل العرب في إطارها إلى أقلية هزيلة، ولكنه يستهدف الإستمرار إلى خلق حقائق بشرية وجغرافية جديدة حول مدينة القدس.

التهويد : طمس المعالم العربية والتاريخية والدينية

منذ احتلال الشطر الشرقي من مدينة القدس في حزيران "يونيو" ١٩٦٧ تبنت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.. العمالية منها والليكودية سياسة منهجية ثابتة إزاء القدس.. تمثلت في توطيد السيطرة اليهودية على المدينة ومحيطها.. وتعزيز وحدتها المادية.. وكان الهدف الواضح لهذه السياسة.. منع إعادة تقسيم القدس..

الأمر الذي شكل ركنا راسخاً في " الإجماعي الحكومي والجماهيري " اليهودي .. وقد تجسدت سياسة التهويد هذه في جملة القرارات والإجراءات التي اتخذتها القيادة السياسية في الخطط والمشاريع الاستيطانية المكثفة داخل القدس وحولها.. وفي الاستيلاء المنظم على الأراضي والعقارات العربية فيها ... وقد بلغ التهويد مبلغاً خطيراً ، ليتعدي المدينة نفسها، ليشمل منطقة واسعة حولها تعرف باسم " القدس الكبرى"

ومن أبرز وسائل عمليات التهويد :

أولاً: الإرهاب وطرد السكان ونسف عقاراتهم :

إن الإرهاب هو أولي وسائل التهويد التي استعملتها السلطات العسكرية الإسرائيلية في إحتلال القدس.. والإرهاب هو نفس الأسلوب الذي اتبعته إسرائيل في دير ياسين (٩ /١٩٤٨/٤) وكفر قاسم (١٩٥٦ /١١/٢٩) والمناطق التي احتلتها، فقد أمطرت القوات الإسرائيلية المدينة وسكانها المدنيين – في اليوم الأول من القتال، وبعد انسحاب القوات الأردنية (في اليومين التاليين) – بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة جواً وأرضاً، وزخّات من رصاص الرشاشات، بحيث أدّي ذلك إلى استشهاد حوالي ٣٠٠ من المدنيين، وكان من بينهم عائلات بكاملها داخل بيوتهم وبعضهم في الطرقات والأزقة، أثناء هروبهم فزعاً من جحيم النيران المسلطة عليهم ..

وقد دمرت القنابل وأحرقت مئات العقارات السكنية والتجارية، خارج السور وداخله، وألحقت اضراراً فادحة بعدد من الكنائس والجوامع والمستشفيات، من جملتها كنيسة القديسة حنة (المعروفة بالصلاحية) وكانت تضم حوالي ثلاثمائة من اللاجئين الوافدين إليها من خارج السور، والكنيسة المقابلة لكلية شميدت خارج باب العمود، والمسجد الاقصى ، ومئذنة باب حُطّة، ومستشفي أوغستا فيكتوريا AugustaVictoria في جبل الزيتون (وكان مكتظاً بالجرحي والمرضي) .. وقد استولي الجيش الإسرائيلي على معظم الأبنية الكبيرة في المدينة، وفي مقدمتها المدارس والفنادق، وقام بنهب الكثير من محتوياتها، ومحتويات الكثير من المتاجر ودور السكن والسيارات بعد اعلان توقف القتال، ولجأت السلطات المحتلة إلى فرض نظام منع التجول لساعات طويلة، وفي فترات

متلاحقة، كانت تقوم خلال ذلك بتجميع سكان الأحياء لساعات طويلة في الليل، وتبقيهم تحت أشعة الشمس المحرقة في النهار وتسوق المئات من السكان إلى معتقلات مجهولة وتحجزهم، دون مراعاة للسن، وتخضعهم لأنواع شتي من التعذيب النفساني والجسدي، ولم يعرف مصير الكثير منهم حتى اليوم .

وأدت هذه المجازر الإرهابية إلى نزوح مايزيد على خمسة آلاف مواطن.. أكثرهم كان قد لجأ إلى القدس .. وبعد احتلال اسرئيل للقدس عام ١٩٦٧ وبالتحديد في ١١/ ٦ من ذات العام أي بعد أربعة أيام فقط من الاحتلال وفي أقل من أسبوع أزيل عن طريق الهدم والنسف حي المغاربة وكان يضم ١٣٥ منزلاً يسكنها ٦٥٠ شخصاً .

- مسجدان في حي المغاربة .
- مصنع للبلاستيك، قرب حي الأرمن، في داخل السور، يعمل فيه ٢٠٠ عامل وعاملة
- ما يقارب مائتي منزل ومخزن في المناطق الحرام .

وتبع ذلك هدم عدد آخر من العقارات ونسفها، من بينها مجموعة متفرقة من الدور بلغت ٢٤ داراً ، نسفها الجيش الإسرائيلي المحتل خلال الأشهر الأولي للاحتلال، بحجة الانتقام من أعمال المقاومة، كما قامت سلطات إسرائيل المدنية في ١٤ / ٦ / ١٩٦٩ بنسف ١٤ داراً من الدور الدينية والأثرية العربية وهدمها وذلك بحجة توسيع كشف امتداد الحائط الغربي للحرم الشريف (حائط البراق الشريف) المعروف بحائط المبكي، وتضم هذه المجموعة من الدور مسجداً إسلامياً ، والزاوية الفخرية التي كانت مقراً لمفتي الشافعية، وكان من نتيجة عمليات الهدم والنسف، تشريد ما يقارب الف شخص آخر من سكان القدس القديمة.

ثانياً : فرض الأمر الواقع بضم القدس ادارياً إلى اسرائيل :

بعد ١٨ يوماً من احتلال القدس عام ١٩٦٧ كانت السلطة الإسرائيلية قد وضعت حجر الأساس للسيطرة على المدينة، باصدارها قانوناً يسري بموجبه " قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها" على القدس.. وآخر يشرع لإلحاقها بمنطقة صلاحية مجلس بلدية القدس اليهودي .. ففي خلال ثلاثة أيام هم : ٢٧،٢٨،٢٩ يونيو ١٩٦٧ أصدرت السلطات الإسرائيلية أربعة قرارات، ففي ٢٧ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر البرلمان الإسرائيلي قراراً على شكل فقرة من قانون الإدارة والنظام لعام ١٩٤٨ تخول لحكومة (إسرائيل) تطبيق ذلك القانون على أية مساحة من الأرض تري حكومة إسرائيل ضمها إلى أرض إسرائيل .. وبتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر سكرتير حكومة (إسرائيل) أمراً أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) أُعلن فيه أَنّ مساحة أرض (إسرائيل) المشمولة في الجدول الملحق بالأمر، هى خاضعة لقانون قضاء الدولة الإسرائيلية وإدارتها وتضم القدس .. وبتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ أيضاً أصدر وزير داخلية سلطات الإحتلال العسكري الإسرائيلي حاييم موشي شابيرا، أمراً آخر، أعلن فيه ضم تلك المناطق لحدود بلدية القدس .. ويقطن ضمن هذه المنطقة التي تم ضمها حوالي مائة ألف من السكان العرب.. وهكذا خضع المواطنون العرب للسيادة الإسرائيلية المباشرة رغم احتجاجهم، وبتاريخ ٢٩/ ١٩٦٧/٦ أصدر جيش الدفاع الإسرائيلي، أمراً يقضي بحل مجلس أمانة القدس العربي المنتخب من سكان القدس، أي بلدية القدس، وبإنهاء خدمة أمين القدس، أي رئيس بلديتها، من عمله وبإلحاق موظفي أمانة القدس وعمالها

ببلديـةالقسـم المحتـل سـابقاً مـن المدينـة، وقـد نفـذت السـلطات العسـكرية الإسرائيلية المحتلة هـذه القـرارات والأوامر بشـدة، فاستولت على جميع ممتلكـات الحكومـة الأردنيـة ودوائرهـا ومحاكمهـا وآثاثهـا وأجهزتهـا وسـجلاتها، واسـتولت كـذلك على جميع ممتلكـات أمانـة القـدس العربيـة وأجهزتها وآثاثهـا وسـجلاتها، وألحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الإسرائيلية، ثم ألغت جميع القوانين والأنظمة الأردنية واستعاضت عنها بالقوانين والأنظمة الإسرائيلية، وفرضت بالقوة جهـازاً عسكرياً إسرائيلياً وأخضعت جميع السكان العرب لحكمه وجبروته .. اعـترض عـرب القـدس وعـرب الضـفة الغربيـة والحكومـة الأردنيـة على هـذه الإجـراءات، وأوصلوا شكواهم إلى الأمم المتحدة فـأصدرت الهيئة القرارين ٢٢٥٣ و ٣٣٥٤ بتـاريخ ١٩٦٧/٧/٤ و ١٤/ ٧ / ١٩٦٧ واعتـبرت بموجبهمـا جميـع إجـراءات (إسرائيل) باطلة وطالبتها بإلغائها والعدول فوراً عن اتخاذ أي اجراء عمل من شـأنه تغيير الوضـع بالقـدس . ولكـن (إسرائيل) لم تـذعن وواصـلت اسـتكمال سلسلة مؤامرتها ضد القدس.. وفي ٣٠ تموز "يوليو"١٩٨٠أقر الكنيست قانوناً أساسياً يعتـبر " القـدس الكاملـة والموحـدة عاصـمة إسـرائيل " وكانـت الحكومـة الإسـرئيلية اتخـذت فيمـا اتخـذت في ١٨ أب "أغسـطس" ١٩٦٧قـراراً يفـوض رئيس الحكومة بتسريع عمليات البناء والاسكان في القدس الكبرى .

ثالثاً : اجراء احصاء عددي لسكان القدس بعد الاحتلال :

بعد شهر واحد من الاحتلال أجرت السلطات الإسرائيلية إحصاء عاماً لسـكان القـدس.. سـجلت بموجبـه أسمـاء جميـع الموجـودين فيهـا مـن مـواطنين وأجبرتهم على الحصول على بطاقات هوية إسرائيلية خلال ثلاثة أشهر (وهذه

الهويات لا تفرض على حاملي الجنسية الإسرائيلية) خلال ثلاثة أشهر.. واستناداً إلى هذا الاجراء اعتبر جميع مواطني القدس الغائبين بحكم النزوح من ويلات الإحتلال أو بحكم العمل في مناطق اخرى قبل نكبة ١٩٤٨ وبعدها، والذين نزحوا مؤقتاً ثناء القتال، اعتبر هؤلاء جميعاً غائبين.. وحرموا من حق العودة لبلادهم.. ويقدر عدد هؤلاء مع عائلاتهم بما لا يقل عن مائة ألف عربي، وقد قضت عملية التهويد والاحتلال والإحصاء الإسرائيلي بإلغاء حقهم الدولي في الانتساب للقدس، فيما منح هذا الحق لكل يهودي في العالم .

رابعاً : نهب أملاك المقيمين والغائبين ومصادرتها :

بعد عمليات حصر سكان القدس من العرب الغائبين والمقيمين وبعد إحكام القبضة على المدينة.. وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي يدها على مساحات واسعة، مماتبقي لعرب القدس من أراضٍ وعلي قسم كبير مما تبقي من عقارات، كما حجزت، ومازالت تحجز، مايصل إلى علمها من أموال منقولة وأسهم وشركات تخص أولئك الغائبين، وحولت ذلك كله إلى أملاك يهودية أو واقعة تحت تصرف إسرائيل لتهويدها تدريجياً ، كما فعلت بأملاك العرب الذين طردوا أو كانوا غائبين في المناطق الفلسطينية سنه ١٩٤٨.

ولم تكتف بما وضعت أيديها عليه من أراضي الغائبين سنه ١٩٤٨ وعقاراتهم أولاً ، وما تلاها بعد حرب سنه ١٩٦٧ثانياً ، ويشكلان معاً حوالي ٨٤% من أملاك عرب القدس، حتى سارعت إلى اغتصاب ما تبقي من أراضٍ وأملاك، قطعة بعد أخري.. مستندة في كل عملية منها إلى قانون من القوانين التي وضعتها هى أو التي وضعتها حكومة الانتداب قبلها، وكلها غير شرعية

ومخالفة للقوانين والقرارات الدولية ولميثاق حقوق الإنسان، وإستناداً إلى قانون وضعته حكومة الانتداب سنه ١٩٤٣ اسمه (قانون الأراضي – استملاك للمصلحة العامة – لسنه ١٩٤٣) بدأت سلطات الاحتلال منذ ١٩٦٨ باغتصاب مساحات كبيرة من الأراضي وأعداد كبيرة من العقارات العربية بحجة لزومها للغايات وللخدمات العامة في المدينة. والغايات العامة، كما يفسرها القانون الذي استندوا إلىه، هى ما كانت ستستعمل لخدمات السكان كالمستشفيات والمدارس والملاعب والحدائق العامة وخزانات المياه وغيرها، وهذه لا تكون مساحتها في بلد مثل القدس أو ما حولها لتزيد على بضع مئات من الدونمات على أكثر تقدير، وليست بالآلاف، كالتي نهبوها واغتصبوها، ومازالوا ينهبون ويغتصبون، لغايات الاستيطان . وإستناداً إلى هذا القانون وتحقيقاً لتلك الغايات، قاموا خلال السنوات من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٤، بعمليات النهب التالية.

– مصادرة العديد من الأراضي العربية خارج أسوار القدس بموجب قانون رقم ١٤٢٥ بتاريخ ١١ / ١/ ١٩٦٨، يملك العرب منها ٩٣ % ويملك ٧ % يهود ماقبل ١٩٤٨.

– مصادرة العديد من الأراضي والأملاك داخل أسوار القدس واستملاكها بموجب قانون رقم ١٤٤٣ بتاريخ ١٤ / ٤/ ١٩٦٨ وتشمل هذه المصادرة أربعة أحياء عربية تقع خلف حائط الحرم القدسي الشريف وهي: حي المغاربة، وحي باب السلسلة، وحي الشرف، وحي الباشورة، وأربع مدارس، وزاويتين إسلاميتين، ويسكنها حوالي ستة آلاف عربي ويعمل فيها حوالي ٧٠٠ صاحب عمل وموظف وعامل . كذلك ضم حدود تنظيم مدينة القدس وإستملاكها

وتخص هذه الأراضي أهالي قرية بيت حنينا الواقعة شمال القدس مابين مدينتي القدس ورام الله..أيضاً تم مصادرة أراضي عرب القدس والقرى المجاورة لها وهى: مكنديا، بيت حنينا، النبي صموئيل، شعفاط، عرب السواحرة، صور باهر، وبيت صفافا طبقاً لقانون أصدرته السلطات الإسرائيلية برقم ١٦٥٦ بتاريخ ٣٠ / ٨ / ١٩٧٠ ونشر بالجريدة الرسمية .. وبعد هذه المصادرات لجأت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى وضع أيديها على مساحات واسعة من أراضي عرب القدس الباقية وأراضي القرى العربية المحيطة بها دون الإعلان عنها بالجريدة الرسمية، ومنع أصحابها من الدخول اليها، وتحويلها إلى مواقع لمستوطنات إسرائيلية جديدة .

ونتيجة لهذه الاجراءات من عمليات اغتصاب الأراضي ومصادرتها تقلصت الملكية العربية للأرض في القدس إلى حوالي ١٤%، بينما كانت في أوائل ١٩٤٨ ٨٤%، وارتفعت الملكية اليهودية للأراضي في القدس إلى حوالي ٨٤ %، بينما لم تزد سنه١٩١٨ عن ٤% وأوائل سنه ١٩٤٨ عن ١٤% .. وفي كل عملية نهب للأراضي العربية، يختار الإسرائيليون المواقع التي تخدم استراتيجيتهم بحيث جاءت مواقع الأراضي المصادرة، مطوقة لماتبقي من ممتلكات عرب القدس وقراها غرباً وشمالاً وشرقاً وجنوباً، وجعلهم محصورين ضمن رقعة صغيرة يطوقها السكان الإسرائيليون بثلاثة أطواق : الأول يطوق منطقة الحرم الشريف، والثاني يطوق من تبقي من عرب القدس، والثالث يطوق القرى العربية المحيطة بالقدس، الأمر الذي يهدد الوجود العربي بالتقلص والتصفية.

خامساً : عزل القدس عن القرى والمدن العربية والسيطرة عليها إقتصادياً.

منذ اليوم الأول للاحتلال الإسرائيلي للقدس أقامت السلطات الإسرائيلية عدداً من مراكز الحدود العسكرية على المنافذ والمخارج والطرق التي تربط القدس بالمدن والقري العربية الملاصقة لها، واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لتلك المدن والقري، ويقتضي الدخول إليها والخروج منها الحصول على تصريح عسكري ولايمنح لطالبه إلا بصعوبة، وبعد مراجعات قد تمتد أياماً . ولما كان الكثير من أهل القدس يعمل في المدينة ويسكن في الضواحي، ولما كان الكثير من أهل الضواحى يعمل في المدينة، فإنهم مرتبطون بحكم أعمالهم وسكناهم بأن يتحركوا باستمرار ما بين المدينه والضواحي، تماماً كما هى الحال في أية مدينة متوسطة أوكبيرة في العالم. وبناء على ذلك فإن اي اجراء للفصل بين الضواحي والمدينة سياسياً يكون بمثابة خلق مآسٍ يومية للسكان، فضلاً عن كونه صراعاً قومياً مصيرياً . وقد لحق بأهل القدس وسكان المناطق المحيطة بها من جراء هذا الاجراء التهويدي العناء والمشقة.

ولم تكد سلطات الاحتلال تعزل القدس، سياسياً وإدارياً، عن المناطق والمدن والقري المجاورة لها حتى فاجأت سكانها بسلسلة من إجراءات أخري، وتهدف من ورائها إلى تصفية الاقتصاد العربي وإذابته تدريجياً في بوتقة الاقتصاد الإسرائيلي. فأغلقت البنوك العربية القائمة وصادرت أموالها، كما أغلقت لفترة البنكين العثماني والبريطاني، واستبدلت العملة الأردنية بالعملة الإسرائيلية، ومنعت إدخال أي إنتاج زراعي أو صناعي أو أية سلعة من القرى والمدن العربية المحيطة بالقدس، والضفة الغربية، إلى أسواق القدس فيما أدخلت جميع أنواع

البضائع والمنتجات الإسرائيلية إليها .. وقد أدي هذا المنع، إلى حرمان سكان القدس العربية من استهلاك الإنتاج العربي، حتى ولو كان من مزارعهم أوصناعتهمهم شخصياً، واضطرارهم إلى شراء حاجياتهم الضرورية من السلع الإسرائيلية والإنتاج الإسرائيلي، وفتح باب التعامل الاجباري بين بعض التجار العرب وبين بعض التجار الإسرائيليين، وحرمان المنتج العربي المجاور من أسواق كانتتستهلك قسماً كبيراً من إنتاجه، وأدي هذا الحرمان إلى تقليص بعض هذا الإنتاج، وبالتالي إلى تخفيض الأيدي العاملة فيه وإضافتها إما إلى طائفة العاطلين عن العمل، أو التحاق بعضها، أمام ضغط الحياة، للعمل لدى السلطات المحتلة أو احدى مؤسساتها أو أماكن العمل فيها، الأمر الذي دفع فريقاً من المنتجين الزراعيين والصناعيين في الضفة الغربية لمراجعة السلطات المحتلة لتسهيل نقل إنتاجهم أو بعضه إلى أسواق الضفة الشرقية من الأردن، كأنما جرى ذلك ضمن تخطيط إسرائيلي واسع، يقصد به التفريج الجزئي عن هذا الإنتاج مقابل تثبيت المنع عن القدس، ومقابل تأكيد فصلها عن الضفة الغربية، وإكراه المواطنين من جهة، والجانب الأردني من جهة أخري، على الرضوخ لهذه الإجراءات وقبول الأمر الواقع الذي فرضه الاحتلال الغاشم .

سادساً: تهويد التعليم العربي :

وضعت السلطات الإسرائيلية منذ احتلالها للقدس قضية التعليم نصب عينيها، فوضعت أيديها على جميع المدارس الحكومية وأعلنت إخضاع المدارس الحكومية لبرامج التعليم التي تطبقها على المدارس العربية في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ .. كما أعلنت إلغاءها لبرامج التعليم الأردني ولجميع الكتب

المدرسية الخاصة بها ونتيجة للرفض الذي وجده هذا القرار اعتقلت سلطات الاحتلال المعارضين من رجال التعليم الأردني والفلسطيني، وأصدرت أوامرها بفتح المدارس في الأوقات المحددة لها، والضغط على أجهزة التعليم وأولياء الأمور والطلاب بشتي الطرق للتعاون واستئناف الدراسة، لإيهام الرأي العام العالمي بأن الأمور تسير طبيعية وعلي مايرام .

وقد اغتنم عرب القدس فرصة إفتتاح باب التعليم في المدارس الطائفية والأهلية فحولوا قسماً كبيراً من الطالبات والطلاب إليها بعد أن تفاهموا مع إدارتها لتوسيعها، وإفساح المجال لاستيعاب أكبر عدد ممكن فيها . وقد أدت هذه الإجراءات إلى تخفيض أعداد الطلاب العرب في المدارس الحكومية وخاصة الثانوية منها، بشكل أقلق السلطات المحتلة، ودفعها إلى إصدار قانون آخر سمته (قانون الإشراف على المدارس لسنه١٩٦٩)، نشر في مجلة القوانين الإسرائيلية العدد رقم ٥٦٤ الصادر بتاريخ ١٧ تموذ "يوليو" ١٩٦٩وتقرر العمل به اعتباراً من ١٧كانون الثاني "يناير"١٩٧٠، والقانون في إجماله، حلقة جديدة من حلقات التهويد الإسرائيلي للقدس، ويستهدف الإشراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والأهلية ويفرض على جميع المدارس والجهاز التعليمي فيها، الحصول على تراخيص إسرائيلية تجيز لها الاستمرار بممارسة المهنة، كما يفرض عليهم الإشراف الإسرائيلي الكامل بالنسبة لبرامج التعليم ومصادر التمويل .

وبرامج التعليم الإسرائيلي، كما حللها رجال التربية العرب، تستبعد كل ما ينمي روح القومية العربية، وتستدرج الطلاب العرب، وبخاصة الجيل الجديد منهم، إلى الابتعاد عن ثقافتهم وقيمهم العربية، بهدف محو شخصيتهم وهويتهم

الأصلية وعندها يسهل صهرهم كلياً في بوتقة الشخصية اليهودية والدولة الإسرائيلية

سابعاً : تهويد الإنسان العربي :

أصدرت السلطات الإسرائيلية في ٢٣/ ٨ / ١٩٦٨ قانوناً يطبق على عرب القدس.. يعرف باسم " قانون التنظيمات القانونية والإدارية " وأعطت السلطات مهلة حتى ٢٢ / ٢/ ١٩٦٩ لتنفيذ بنود هذا القانون الذي يفرض على عرب القدس عدة أمور:

أ – إنه على كل عربي .. سواء كان صاحب عمل أو مهنة، وكان يمارس عمله أو مهنته بموجب رخصة أو إجازة حسب القوانين الأردنية، أن يحصل على رخصة جديدة وبموجب القوانين الإسرائيلية خلال سته أشهر، وتضم هذه الفئات ما يقارب خمسة آلاف شخص، بين أصحاب العمل وأصحاب المهن الحرة والحرف .

ب – على كل شركة عربية، سواء كانت خاصة أوعامة أومحدودة، قائمة في القدس، ومسجلة بموجب القوانين الأردنية، أن تعيد تسجيل نفسها لدى المحاكم الإسرائيلية وبموجب القوانين الإسرائيلية المرعية، وحسبما تقتضيه المصالح الإسرائيلية وأن تقوم بذلك خلال المدة المحددة، ثم مددت لثلاثة أشهر اخرى بحيث انتهت في ٢٢/٥/ ١٩٦٩، وتشمل هذه العملية حوالي ١٨٠ شركة يبلغ رأسمالها المدفوع حوالي خمسة ملايين دينار ويبلغ عدد مساهميها حوالي أربعة آلاف، كما يبلغ عدد موظفيها وعمالها حوالي أربعة آلاف آخرين .

جـ – على كل جمعية تعاونية عربية، قائمة في القدس ومسجلة بموجب القوانين الأردنية أن تعيد تسجيل نفسها لدى السلطات الإسرائيلية وبموجب القوانين والأنظمة الإسرائيلية، خلال المدة المحددة لذلك ويبلغ عدد الجمعيات التي يشملها هذا القانون ٣٢ جمعية، وتضم تحت لوائها ١,٥١٨ عضواً .

د– على كل طبيب أو مهندس أو مدقق حسابات عربي مازال يمارس مهنته في القدس بموجب القوانين الأردنية، أن يتقدم بطلب إلى السلطات الإسرائيلية ليحصل على إجازة تتيح له الاستمرار بمهنته وبموجب القوانين والأنظمة الاسرائيلية، وذلك خلال المدة المحددة لذلك . ويبلغ عدد هذه الفئات من عرب القدس حوالي ثمانين .

هـ – على كل محام يزاول المحاماة في القدس بموجب القوانين والأنظمة الأردنية ويقيم في المدينة أن يسجل اسمه في نقابة المحامين الإسرائيلية بموجب أمر وزير العدل الإسرائيلي، وينشره في الجريدة الرسمية، دون طلب من المحامي نفسه، وذلك خلال المدة المحددة وكان عدد المحامين العرب في القدس آنذاك حوالي ثلاثين محامياً.

و – على كل صاحب امتياز أو علامة تجارية أو اختراع كان مسجلاً لدى الحكومة الاردنية ومازال يستغل امتيازه أو اختراعه أو علامته التجارية في القدس، أن يعيد تسجيل امتيازه أو علامته التجارية أو اختراعه لدى السلطات الإسرائيلية بموجب القوانين والأنظمة والتعليمات الإسرائيلية .

ز – إن أي فئة من الفئات المشمولة من أ –و آنفاً، لم تحصل على ترخيص جديد بموجب القوانين والأنظمة الإسرائيلية، تعتبر مخالفة للقوانين والأنظمة الإسرائيلية، ويعرض أصحابها للعقوبات والغرامات التي تنص عليها القوانين

والأنظمة الإسرائيلية . وفي حالة الاستمرار في المخالفات يمنعون من ممارسة أعمالهم، وبالتالي يتعرضون لتجميد أنفسهم والحيلولة دون كسب رزقهم من المواد التي يعيشون منها، الأمر الذي سيضطرهم فيما بعد إما إلى قبول التسجيل أو النزوح والتشرد .

وضم هذا القانون مواداً بشأن الأملاك اليهودية القائمة في القسم العربي من المدينة، تسمح بعودتها لأصحابها أو لورثتهم من اليهود الذي كانوا يقيمون في القسم العربي بينما لاتسمح هذه المواد أو غيرها للعرب المقيمين في القسم العربي، من استعادة أملاكهم في القسم الذي كانت قد احتلته (إسرائيل) قبل ٥ / ٦ / ١٩٦٧ .. وقد أدي رفض عرب القدس هذا القانون وامتناعهم عن التقدم بطلبات للحصول على أيه رخصة أو إعادة تسجيل أيه شركة، إلى اضطرار سلطات (إسرائيل) لإصدار ملاحق للقانون تمنح أصحاب الاختصاص من وزاراتهم التفويض الكامل بتجديد رخص جميع أصحاب المهن والحرف العرب الموجودين في المدينة تجديداًتلقائياً (بموجب أمر نشرته الوزارة الإسرائيلية في صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ ٢٩ / ٤/ ١٩٦٩)، وكذلك اعتبار جميع الشركات والجمعيات التعاونية وأصحاب العلامات التجارية مسجلين بموجب الأنظمة والقوانين الإسرائيلية. وكان وزير العدل الإسرائيلي جدد رخص المحامين العرب في القدس بموجب أمر أصدره وتم نشره في صحيفة جيروسالم بوست Jerusalem Post بتاريخ ١٩ / ٢/ ١٩٦٩ .

ثامناً : تهويد النظام القضائي الشرعي الاسلامي :

إثر الاحتلال الإسرائيلي للقدس في عام ١٩٦٧ أغلقت اسرائيل جميع المحاكم النظامية في المدينة، واتخذت إجراءات عديدة تهدف لتهويد النظام القضائي، ففصلت القضاء النظامي القائم بالقدس عن شئون الضفة الغربية، والحقته كلياً بالقضاء الاسرائيلي.. كما نقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى مدينة رام الله، وأدمجت محاكم البداية والصلح في القدس بالمحاكم الإسرائيلية – المماثلةالقائمة، بالجزء المحتل سابقاً من المدينة، ونقلت إليها جميع السجلات وطلبت من القضاة والموظفين العرب تقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الإسرائيلية ..ومعني هذه الاجراءات هو تأكيد تهويد القدس بتهويد نظامها القضائي العربي وقد رفض رجال القضاء العربي التعاون مع إسرائيل.. ورفضوا الظهور أمام محاكمها المدنية والعسكرية.. وأعلنوا رفضهم الاعتراف بضم القدس إلى اسرائيل وفصل قضائها عن قضاء الضفة الغربية.. وأكدوا هذا الرفض في عدد من المذكرات والوثائق رفعت إلى الحكومات العربية والهيئات الدولية والسلطات المحتلة نفسها .

أما المحاكم الشرعية الاسلامية، فقد تغاضت إسرائيل في بادئ الأمر عن إغلاقها وحاولت استمالة قضاتها وموظفيها.. تارة بالاغراء وتارة اخرى بالتهديد.. ولكنها لم تنجح في ذلك .. لقد استمر قضاة الشرع الإسلامي في القدس في رفض التعاون مع السلطات المحتلة وتضامن معهم جميع قضاة الشرع، وأجهزة المحاكم الشرعية، ودوائر الأوقاف في الضفة الغربية، ومازالو جميعاً يتمسكون بهذا الرفض حتى الآن . وكان من نتيجة هذا الموقف أن أوعزت

سلطات الاحتلال إلى أجهزتها بعدم تنفيذ أي حكم أو قرار للمحاكم الإسلامية، كما تجاهلت كلياً أيه شكاية ترفعها إليها دوائر الاوقاف أو رئيس الهيئة الإسلامية التي تألفت بعد الاحتلال في القدس لترعي شؤون المسلمين في الضفة الغربية بما فيهاالقدس .. وقد شمل هذا التجاهل لقرارات المحاكم الإسلامية وأعمالها عدم الاعتراف بشهادات الزواج والطلاق والإرث والوصاية والوقف وغيرها مما له علاقة بالأحوال الشخصية اليومية للسكان، ومن ذلك أية ولادة جديدة تنشأ عن زواج جديد، الأمر الذي خلق التعقيدات المتتالية للقضاة الشرعيين وللأوقاف وللسكان المسلمين . وعلي الرغم من كل هذه المتاعب، فقد تحمل الجميع الوضع بصبر وهدوء أقلق السلطات المحتلة واضطرها إلى اتخاذ إجراء معاكس تأمل من ورائه إلى خلق جو من البلبلة والانقسام بين المسلمين، وذلك بتعيين قاضي شرعي ليافا على أن يكون مسؤولاً أيضاً عن القضاء الإسلامي في القدس، والطلب من السكان مراجعته واعتماده في القدس في كل ما يتعلق بشؤونهم الدينية . وقد رفض مسلمو القدس الاعتراف بهذا التعيين ورفضوا التعامل مع القاضي الجديد، معتبرينه غير مؤهل للقضاء الاسلامي، طالما يمارس عمله عن طريق الولاء لحكومة (إسرائيل)فضلاً عن أنه بقبوله ذلك، يعتبر معترفاً بضم القدس، وهذا ما يأبون الاعتراف به .

تاسعاً : استحداث مدن وضواحي إسرائيلية جديدة للقدس :

بعد دراسة استمرت أعوام أقرت لجان التنظيم الإسرائيلي مشروع تنظيم جديد للقدس وضواحيها يهدف إلى تغيير طابع المدينة العربي و التاريخي والديني.. ويحول المدينة إلى مدينة يهودية خالصة، ومن طموحات المشروع،

إنشاء مركز تجاري رئيسي في وسط المدينة، في مساحة تبلغ ٢,٧٠٠ دونم وفي حدود تقع ما بين مقبرة مأمن الله (ماملاّ)الإسلامية غرباً وبين منطقة المستشفي البلدي في طريق يافا شمالاً ، وبين محطة السكك الحديدية جنوباً وسور القدس وحي وادي الجوز شرقاً. والمناطق التي يشملها المشروع، تضم الأحياء العربية التالية :

أ – حي باب الساهرة، ويضم شوارع صلاح الدين وبوسعيد والرشيد وقسماً من شارع الملك حسين، وكلها سكنية وتجارية وسياحية ومدرسية ومكتظة بالسكان .

ب – حي باب العمود – خارج السور –ويضم طريق نابلس وقسماً من شارع الملك حسين، وهى معاً تشكل قسماً آخر من المناطق التجارية والسكنية والمدرسية والدينية، وكلها مكتظة بالسكان.

ج – حي الشيخ جراح، ويضم مناطق سكنية ومدرسية وسياحية وتجارية وكلها مكتظة بالسكان.

د – أجزاء من أحياء المصرارة وسعد وسعيد، وهى مناطق سكنية وتجارية وسياحية ومكتظة بالسكان، وتقع هذه الأحياء ضمن المناطق العربية التي تم احتلالها من قبل (إسرائيل) في حزيران "يونيو" ١٩٦٧، ويسكنها ويعمل فيها أكثر من ثلاثين ألف عربي الآن. ويضم المشروع أيضاً ، أحياء عربية اخرى سبق لإسرائيل أن إحتلتها منذ سنة ١٩٤٨، ومازالت قائمة وهى :

أ – أجزاء اخرى من أحياء المصرارة وسعد وسعيد، وهى مناطق سكنية ومدرسية.

ب – باب الخليل وطريق يافا، وهما منطقتان تجاريتان وسكنيتان ودينيتان .

جـ – ساحة الساعة والمنشية، وهما منطقتان تجاريتان وسكنيتان .

د – مأمن الله (ماملاّ) وتضم مناطق تجارية وسكنيه وسياحية ودينية .

هـ – الشّماعة وتضم مناطق تجارية وسكنية .

و– حي جمعية الشبان المسيحية، ويضم مناطق سكنية وسياحية وتجارية ومدرسية.

ز – المستشفي الطلياني وطريق الأحباش، وتضم مناطق سكنيه وتجارية وصحية.

حـ – المسكوبية، وتضم مراكز خدمات عامة ودينية وسكنية .

والجدير بالذكر أن هذه المناطق تشكل قلب القدس العمراني الحديث وهى أملاك عربية يملكها مسلمون ومسيحيون عرب وأجانب.. إن الهدف من مشروع إعادة تنظيم ضواحي القدس ومدنها، هو التوقف عن النمو العمراني في المدينة كمرحلة أولي .. كذلك تغيير المعالم سواء بالهدم الكلي الفوري أو التدريجي .. وممارسة الضغوط المتواصلة على السكان والملاك وأصحاب المهن العرب، بهدف إجلائهم عنها.. وفي المخطط اعادة التنظيم العمراني داخل الأسوار كمرحلة ثالثة كما فعل في الأحياء العربية من قبل .. أما المرحلة الرابعة فتشيد فيها انشاءات إسرائيلية جديدة ويتبعها إسكان يهودي واسع .. وليس هذا فحسب بل إمعاناً في التهويد تم تغيير الأسماء العربية لهذه الأحياء واستبدالها بأسماء اخرى يهودية كمرحلة خامسة .

ويعد الاعتداء بهدم الممتلكات العربية وسيلة لطمس معالم القدس القديمة. نذكر من أمثلة ذلك إعتداء السلطات الإسرائيلية على واحدة من أكبر

المقابر الإسلامية في القدس الشريف وهى مقبرة مأمن الله والتي تقع غرب المدينة القديمة وتبعد حوالي أقل من كيلو متر واحد عن باب الخليل من سورها، وتبلغ مساحتها حوالي ١٦٨ دونماً. وتضم جثث مئات الآلاف من المسلمين ومن بينهم قادة التحرير والفتح الإسلامي وكبار أهل الحكم ورجال العلم والقضاء الذين روت دماؤهم الزكية أرض الإسراء في سبيل تحريرها أو الدفاع عنها أو نشر الإسلام في ربوعها الطاهرة أو رفع منارات العلم في أرجائها المقدسة . وقد أورد الدكتور كامل العسلي في كتابه " أجدادنا في ثري المقدس " أسماء ١٤٩ من كبار الأجداد الذين تضمهم هذه المقبرة، مع موجز عن تاريخ كل منهم .، وتمكنت قوات الاحتلال – على أنقاض المقابر الإسلامية من انشاء فندق يُعرف باسم "بلازا " وحديقة وموقف للسيارات وسوق تجاري .

ونذكر أيضاً أنه في عام ١٩٨٥ أخذت السلطات الإسرائيلية في تنفيذ مشروع المركز التجاري لوسط المدينة .. ونشرت عنه جريدة " القدس " المقدسية بتاريخ ١٤/٥/١٩٨٦ فقالت : "أنهت بلدية القدس المحتلة مؤخراً وضع اللمسات الأخيرة على مايسمي بمشروع الربط بين شطري القدس الغربية والشرقية من خلال إجراء تنظيم بمنطقة حي المصرارة في القدس . ويشمل هذا التنظيم إقامة موقف جديد للباصات بدلاً من الموقف القديم " باب العامود " وإنشاء مشروع تجاريويشمل هذا التنظيم أيضاً شارعاً رئيسياً جديداً بعرض ٣٠ – ٤٠ متراً يبدأ بالقرب من فندق نوتردام ويمر عبر حي المصرارة حتى الشيخ جراح وذلك كمقدمة لإنشاء الشارع الرئيسي الجديد الذي سيربط بين مدينتي القدس ورام الله وبيت لحم بدلاً من الشارع الحالي، ويتوقع المراقبون أن تغيير

الشارع الحالي الرابط بين شمال الضفة وجنوبها والمار بمدينة القدس سوف يؤثر بشكل خاص على شارعي صلاح الدين ونابلس، وهذا يعني القضاء إقتصادياً وتجارياً على المحلات التجارية الواقعة في هذين الشارعين .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر الصحفية الإسرائيلية كانت قد ذكرت أن الجهة التي تمول المشروع هى منظمة يمينية أمريكية متطرفة في الولايات المتحدة تدعي "الأغلبية الخلوقة " التي يرأسها المدعو جيري فويل JERRY FULLWE المعروف بتأييده غير المشروط لإسرائيل، وعلم أن سبب دعم هذه الجهة للمشروع هو رغبتها في نقل موقف الباصات القديم حتى تستولي على هذا الموقع لتحويله إلى حديقة تكون امتداداً لبستان قبر السيد المسيح المجاور، والجدير بالذكر أيضاً أن الأراضي التي سيقام عليها المشروع الجديد ومن ضمنه الشارع الجديد والذي أطلق عليه رقم ١ هى ملك لمواطنين عرب، وعلم أن من بين العائلات صاحبة الملكية أو التي كان لها محلات تجارية قبل هدمها عام ١٩٦٧ : عائلات الدزدار والعارف والحبشة والنشاشيبي وقليبو والخليلي . والأراضي المشار إليها كانت تعد كمنطقة حرام، قبل العام ١٩٦٧ وتمت مصادرة جزء منها أيضاً . ومن المعروف أن القانون الدولي يعطي الحق لاصحاب الأراضي الشرعيين في التصرف أو في أولوية الاستفادة من الأراضي التي كانت تعتبر منطقة حراماً والتي اصبحت بعد عام ١٩٦٧ تحت سيطرة حارس أملاك الغائبين الإسرائيلي .

هذا، وكان التنظيم الهيكلي لهذا المشروع قد أعلن في آذار الماضي ومنح الأشخاص الذين لهم علاقة بالأمر فترة شهرين لتقديم أي اعتراضات في آخر

الشهر الجاري. وبعد انتهاء فترة الشهرين قررت اللجنة اللوائية للتنظيم في بلدية القدس الموافقة على المشروع بصورته الحالية، وفي حال تنفيذ هذا المشروع فإن مواقف سيارات الأجرة بالضفة وغزة ومواقف الشاحنات الكبيرة ستتعرض للإزالة.

وفي نهاية المطاف أجمع المراقبون على أن هذه الخطوة تأتي في سياق السياسة الإسرائيلية الرامية إلى توحيد مدينة القدس .

عاشراً : قانون أملاك الغائبين الإسرائيلي التعويض عن أملاك العرب المقيمين في القدس

في حزيران / يونيو١٩٧٣ أقر البرلمان الإسرائيلي مشروع قانون يعرف باسم "قانون أملاك الغائبين الإسرائيلي – تعويض – ١٩٧٣) .. ويدعو هذا القانون عرب القدس الغائب منهم والحاضر في المدينة بالتنازل عن املاكهم مقابل تعويضات مالية .. وحدد القانون الاجراءات التي بموجبها يتم النظر في الطلبات المقدمة، ورغم ضآلة القيمة المادية لهذه التعويضات ومدة تسديدها التي تمتد من عام إلى خمسة عشر عاماً ، فإن لهذا القانون أهدافه الخطيرة التي ترمي إلى حرمان الغائبين من عرب القدس الذين طردتهم سلطات الاحتلال بين عام ١٩٤٨و ١٩٦٧ وعدد هؤلاء العرب قد يزيد على مائة ألف مواطن.. من حقهم العودة لمدينتهم واستعادة أملاكهم..أيضاً الضغط على أصحاب الأملاك العرب الموجودين بالمدينة .. وكذلك على وكلاء الغائبين بشتي أنواع الإرهاب للتنازل عما يملكون أو لهم حق التصرف فيه في القسم المحتل من القدس بعد حرب ٩٤٨.. وقد قامت سلطات الاحتلال بحملات إعلامية ضخمة روجت

فيها لفكرة أن عرب القدس باعوا ممتلكاتهم إلى السلطات الإسرائيلية بمحض ارادتهم .. ومن هنا زعموا أن من حقهم دعم إجراءاتهم في تكريس ضم القدس..وأن القدس عاصمة دولة إسرائيل.

حادي عشر: إبعاد المواطنين (النفي، السجن، الاعتقال. العقوبات الجماعية)

لجأت السلطات الإسرائيلية إلى إبعاد عدد كبير من معارضيها الفلسطينيين سواء كانوا من رجال السياسة – وزراء سابقون وأعيان ونواب ومحامون وصحفيون، أو من رجال الدين – شيوخ وعلماء وأصحاب مواقع دينية وعلمية مرموقة، ومن مختلف قطاعات الشعب – أطباء ومعلمون ومزارعون وطلاب. بحجة قيامهم بأعمال تخل بأمن البلاد ..وبأسلوب إرهابي انتهج سياسة إبعاد المواطنين ..وقد كان يتم الابعاد بصورة مفاجئة بحيث يبلغ المُ بعد أمر الإبعاد على الحدود، دون أن تعطي أيه فرصة للإتصال بعائلته أو التزود بشيء من حاجياته الخاصة، مما يترتب عليه فصل المبعد عن عائلته، وقطع سُبل العيش أمامه .. وكان الهدف من وراء سياسة الإبعاد هو التخلص من عدد كبير من المعارضين والقادة السياسيين والشعبيين العرب، مما يضعف روح المقاومة عند المواطنين، مما يضطر عائلات المبعدين للحاق بهم لأسباب قاهرة .. وهذه السياسة تخفض العبء على سلطات الاحتلال، بالتخلص من عدد كبير من الناس.. يشكل بقاؤهم في السجون دون محاكمة أوتهم محددة وصريحة عامل ضغط كبيرا بالنسبة للرأي العام الداخلي والخارجي .. والتوسع في ممارسة الإبعاد يجعل قدرة السجون على الاستيعاب أكبر .

إن سلطات الاحتلال تمارس الإبعاد مستندة، كما تدّعي، إلى قانون للدفاع أيام الانتداب البريطاني وهو قانون قد أُلغي بعد دمج الضفة الغربية بشرق الأردن . وإن إجراءاتها تخالف :

١- ميثاق جنيف، المادة ٤٩، الاتفاقية الرابعة، وقد وقعته " إسرائيل "، وينص على "أن النقل الإجباري للأشخاص المحميين من أراض محتلة إلى أراضي دولة الاحتلال أو أية أرض محتلة أو غير محتلة محظور بغض النظر عن دواعيه ".

٢- قرار مجلس الأمن رقم " ٢٣٧" بتاريخ ١٤حزيران "يونيو"١٩٦٧ الذي ينص على "ضرورة تفادي إلحاق الضرر بالمدنيين وأسري الحرب، ورعاية حقوق الإنسان والتقيد بميثاق چنيف" . وتحرم المادة "٢٢" وما بعدها من اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب المؤرخة ١٢ / ٨ / ١٩٤٩ على السلطات المحتلة تحريماً مطلقاً احتجاز المدنيين في المناطق المحتلة بصفة رهائن أواعتقالهم اعتقالا غير قضائي، أو مسّ كرامتهم الإنسانية أو الوطنية، أو إيقاف تطبيق الحقوق المدنية والداخلية وتحرم المواد ٣١ - ٣٣من الاتفافية ذاتها تحريماً مطلقاً التعذيب أوالتشويه جسدياً ونفسياً ، ورغم ذلك فالمعتقلات والسجون الإسرائيلية تضم في بطونها الآلاف من أهل القدس والمناطق المحتلة الفلسطينية وهم يقاسون أشد أنواع التعذيب، وبعضهم توفى نتيجته، وقد قاموا بالكثير من الإضرابات عن الطعام ولمدد طويلة إحتجاجاً على ما يقاسونه من قسوة وسوء معاملة، وقد لفتت هذه الإضرابات أنظار الهيئات الدولية، وخاصة الصليب الاحمر، وصدرت عنها إدانات متوالية لـ " إسرائيل" .

ولا تجيز المواد ٣ -٥ اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ لسلطات الاحتلال تطبيق أحكام العقوبات المشتركة ضد المدنيين في المناطق المحتلة، ولا إنزال العقوبات على أكثر من الفاعلين الأصليين ذاتهم في كل حادث مقاومة لسلطات الاحتلال . والذي يحصل هو العكس تماماً ، فسلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي دأبت منذ الاحتلال عام ١٩٦٧ وحتى اليوم بإنزال العقوبات الجماعية في كل مدينة وقرية لأبسط حقوق المقاومة.. والأمثلة على هذه العقوبات الجماعية الظالمة التي تنزلها سلطات الاحتلال بالفلسطينيين كثيرة .. وتحدث كل يوم لتضييق الخناق على هؤلاء الصامدين الصابرين في الأرض المحتلة .

ثاني عشر : مشروع إسرائيل " القدس الكبرى ":

سعت اسرائيل بمخططاتها لتكريس احتلالها للأراضي الفلسطينية المحتلة في١٩٦٧ وضمها إلى المناطق الاخرى التي احتلتها في ١٩٤٨ ومابعدها .. وكان "مشروع "القدس الكبرى" من أبرز المخططات التي تهدف إلى تهويد القدس وضمها للاحتلال وليس هذا فحسب بل يمتد المشروع إلى قري محافظتها العربية المحيطة بها أيضاً .. وفضائي رام الله والبيرة من جهة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والقري ومخيمات الشرف فيها وما حولها من جهة اخرى .. وتشكل هذه كلها حوالي٣٠% من مساحة الضفة الغربية التي احتلتها سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي في حزيران "يونيو" ١٩٦٧، وذلك كخطوة أولي لضم باقي المناطق المحتلة التي تشمل محافظتي نابلس والخليل من جهة، وقطاع غزة من جهة أخري، إلى دولة العدوان الإسرائيلي كي تصبح

قاعدة لإسرائيل الكبرى، وتهدد أمن الأقطار العربية واستقرارها وتستنزف ثرواتها، وتحول دون تضامنها وتصديها لهذه المؤامرات، معتمدة في كل ذلك على مساندة الولايات المتحدة الأمريكية المتواصلة وبعض الأقطار المتعاونة معها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، كما كشفته لنا مواقفها العلنية طيلة السنوات والعقود الماضية..

وقد تم الكشف لأول مرة عن مشروع القدس الكبرى وذلك في مقال نشرته جريدة" معاريف " الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ٢٦/ ١٩٦٩/٣، تحت عنوان " القدس الكبرى" كعاصمة لإسرائيل . وقد وردت فيه تفاصيل مشروع كانت تخطط له لجنة هندسية إسرائيلية عليا منذ حزيران "يونيو" ١٩٦٧ لتوسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد إلى رام‌الله شمالاً والى بيت لحم جنوباً، ولم تذكر الجريدة فيه شيئاً عن الحدود الشرقية، ولكنها أضافت أن هذاالمشروع قد صمم وخطط لخمسين سنة قادمة، وعلي أساس أن عدد السكان فيها سيزداد ليبلغ حوالي ٩٠٠ ألف تكون غالبيتهم من اليهود . وقد أطلقت السلطات الإسرائيلية على هذا المشروع اسم مشروع " الأب" وتشترك في التخطيط له اربع مؤسسات إسرائيلية هى : البلدية ووزارة الإسكان ووزارة المواصلات ووزارة الداخلية . ومن جملة أهداف هذا المشروع : هدم قسم كبير من مساكن العرب وعقاراتهم داخل السور، بحجة أن هذه الأماكن مكتظة بالسكان وأنها غير صحية، ويؤدي هذا الهدم بالتالي إلى تشريد أعداد جديدة من السكان العرب بالقدس، وهو ما سيؤدي إلى إزالة معالم الكثير من الأبنية العربية التاريخية والحضارية والدينية التي تربط حاضر العرب بماضيهم في المدينة المقدسة وطمسها كلياً .

وتم الكشف – أيضاً– عن مشروع ثان جاء ضمن خبر نشرته جريدة دافار الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٧٤، وجاء فيه مايلي: قال مسؤول إسرائيلي كبير، إن خارطة القدس الموسعة التي تمت الموافقة عليها مؤخراً بالكنيست والتي رسمت بإيعاز من رئيس الحكومة، وقد شملت الضواحي التالية : الخان الأحمر شرقاً ، وبيت ايل " أي قرية بيتين"والواقعة شمال مدينه البيرة شمالاً ، ومستعمرة كريات أربع، "التي أنشأتها سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي شرق مدينه الخليل بعد عام ١٩٦٨"جنوباً ، ومستعمرة بيت شيمش " قرب اللطرون " غرباً، وقال المسؤول الإسرائيلي إنه "من أجل أن تؤمن القدس موحدة كاملة وعاصمة لإسرائيل ذات أكثرية يهودية، علينا أن نقلل من النقاش حول مشكلتها، كما لا توجد ضرورة لعرض الحلول السياسية المختلفة ووضع المشاريع والمقترحات لحلها، كل ذلك من أجل تخدير العالم لينسي هذه المشكلة " .

وقد كشف هذا المشروع بعض مايطبخ لحاضر الضفة الغربية ومستقبلها من مخططات تقطيع وتمزيق جزء كبير منها لضّمه للسيادة الإسرائيلية المباشرة .. وقد مر مشروع " القدس الكبرى " بعدة مراحل نذكر منها:

– الاحتلال الإسرائيلي للقسم الغربي من القدس في ١٩٤٨، ويشكل هذا القسم حوالي ٨٠% من مساحة المدينة، والاعلان بتاريخ٢٣ / ١/ ١٩٥٠، عن أن الجزء من القدس هو عاصمة لإسرائيل، ونقل البرلمان اليه .

– احتلال إسرائيل للقسم الشرقي من القدس بتاريخ ٧ / ٦ / ١٩٦٧ . وهو القسم الذي كانت المملكة الأردنية الهاشمية قد أنقذته سنه ١٩٤٨، ويضم المدينة القديمة داخل الأسوار ومعظم المقدسات الإسلامية والمسيحية وبعض

لأحياء المحيطة بها شمالاً وشرقاً وجنوباً، وكانت مساحته حوالي ١٢ كم٢، وعدد سكانه حوالي٧٥ألفاً ، وقد أعلنت السلطات الإسرائيلية ضمها لهذا القسم إدارياً بتاريخ ٢٧/ ٦ / ١٩٦٧، بموجب قرار أصدره رئيس الوزراء ليفي اشكول آنذاك، وأعلنت فيه تطبيق قانون دولة " إسرائيل " الخاص بالقضاء والإدارة على كل مساحة "أرض إسرائيل" التي حددتها حكومة العدو بمرسوم، وبمعني آخر اعتبار القسم الشرقي من القدس منذ ذلك التاريخ، جزءاً من دولة سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي .

- توسيع حدود القدس بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ بموجب أمر صادر عن السكرتير العسكري لحكومة إسرائيل يائيل اوزاي، وضم قطاعات في المناطق العربية المحتلة تقع شمالي القسم الشرقي في القدس وشرقيه وجنوبيه، وتبلغ مساحتها حوالي ٥٣ كم٢. وتضم مناطق مطار القدس وأجزاء من قري قلندية وبيت حنينا وضاحية البريد، وقرية شعفاط ومخيم اللاجئين فيها وقري العيساوية والطور وصورباهر وجزءاً من بيت صفافا ويبلغ عدد سكانها حوالي ثلاثين ألف عربي. وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

- الإعلان رسمياً عن ضم هذه المناطق إلى حدود بلدية القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي. وذلك بموجب أمر صدر بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧، عن وزير الداخلية الإسرائيلي حاييم موشي شابيرا، وقد عارض أهل القدس واخوانهم الفلسطينيون في الداخل والخارج، والأقطار العربية والإسلامية كافة هذا الضم، واتخذت الأمم المتحدة قرارات بعدم الاعتراف بهواعتبرته باطلاً ، وطالبت بإلغائه.

- حل مجلس أمانة القدس بتاريخ ٢٩/ ٦ / ١٩٦٧ . وذلك بموجب أمر غير شرعي صادر عن جيش الدفاع الإسرائيلي وموقع من قبل يعقوب سالمان مساعد القائد العسكري الإسرائيلي، ويقضي بضم أملاك أمانة القدس ومحتوياتها إلى بلدية الاحتلال الإسرائيلية .

- منذ أوائل عام ١٩٦٨ نشطت عمليات مصادرة الأراضي والعقارات العربية داخل القدس وماحولها من مدن وقري ومخيمات اللاجئين الواقعة ضمن محافظتها.

- في ٣٠/ ٩/ ١٩٧٤ أعلن عن مشروع باسم " توسيع حدود القدس " والمناطق التي يشملها هذا المشروع تضم (٩)مدن و(٦٠) قرية عربية وهى كالتالي:

- **المدن** : رام الله والبيرة وبيتونيا وديردبوان شمالاً والخليل وحلحول وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور جنوباً.

- **القرى** : بيتين وبرقة وكفر عقب وجبع وحزما ومخماس والقسم الغربي من قلنديا وبير نبالا وبيت حنينا وعناتا سوريك وبدو وقطنة والقبيبة ودير ابزيع وعين عريك وبيت عور التحتا وبيت عور الفوقا وبيت اجزا شمالاً.

مناطق قري يالو وبيت نوبا وعمواس التي هدمت وشرد أهلها خلال أيام حرب حزيران "يونيو" ١٩٦٧ وصفا وصيرا وبيت لقيا وبيت تول واللطرون غرباً .. صور باهر وام طوبي وشرفات وبتير والخضر وحوسان ووادي فوكين وأرطاس ونحالين وصوريف وبيت امر وخراس وبيت اولا وسعير والشيخ وبني نعيم وبيت كاحل وتفوح وترقوميا وبيت سكاريا جنوباً.. والعيزرية وأبو ديس والعبيدية وعرب التعامرة وعرب السواحرة ومنطقة الخان الأحمر شرقاً.

وتقدر مساحة هذه المناطق التي تخطط سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي لاقتطاعها من الضفة الغربية بحوالي ٣٠ % من مساحة الضفة الغربية، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٢٥٠ألف عربي. وقد مهدت سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي لاحتواء هذه المناطق بعدد من الإجراءات، كان أبرزها ما يلي :

أ – إعلان منطقة الخان الأحمر منذ سنة ١٩٧٢منطقة عسكرية، وإقرار الوزارة الإسرائيلية بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٩٧٤، بإنشاء مدينة صناعية فيها ومصادرة سبعين ألف دونم من الأراضي العربية فيها، ومباشرة فتح طرق داخلية فيها " وقد تم فيما بعد إنشاء هذه المدينة واسمها معاليه ادوميم، وأنشئت حولها أربع مستعمرات فيما بعد".

ب – مصادرة سلطات الاحتلال الإسرائيلية ما بين ١٩٧٠و ١٩٨٥ مساحات واسعة من أراضي قري بيت حنينا والرام والنبي صمويل وقلنديا والجيب وبيت اكسا وشعفاط وبيت صفافا وصور باهر وشرفات وبيت جالا وعناتا، والعيزرية وأبو ديس وبيت سكاريا وعرب التعامرة والعبيدية والخليل.

جـ– إنشاء السلطات المحتلة لأحياء سكنية ومناطق صناعية وطلابية وعسكرية على تلك الأراضي العربية المصادرة والتي سبق الاشارة اليها، معتبرة أن القدس والضواحي التي حولها أصبحت تحت السيادة والملكية الاسرائيلية.

– إقرار البرلمان الإسرائيلي بتاريخ ٣٠ /٧ / ١٩٨٠، قانوناً يقضي بجعل القدس الموحدة عاصمة " إسرائيل " إلىالأبد ومقراً لبرلمانها ولرئيس دولتها ولمحكمتها العليا تحدياً للقرارات الدولية ولمبادئ حقوق الإنسان .

– أعلن عن مشروع إسرائيلي في مطلع عام ١٩٨٢ يسمى " نظام المشروع الإسرائيلي لمنطقة المركز" وكان بمثابة أول مشروع متكامل يعلن عنه رسمياً .. وقد سمى بالمشروع التنظيمي الإقليمي الجزئي .. وكرس هذا المشروع بمخططاته وآلياته كل ما تم تنفيذه من مشاريع القدس الكبرى .

ويتضمن المشروع ثمانية فصول وست خرائط، وتبحث في الاسم والموقع والأهداف والتنظيم الحالي والمستقبلي. ولقد أثار هذا المشروع قلق الأهالي في محافظة القدس، وبادروا بتقديم الاعتراضات عليه لكل من رئيس مجلس التنظيم الأعلي وضباط الداخلية ومدير التنظيم والبناء في رام الله التابعين لسلطات الاحتلال العسكري، مطالبين بإلغائه.

إن الهدف الأساسي من تخطيط منطقة المركز هو ربطها بالجزء المحتل من فلسطين سنة ١٩٤٨، دون الأخذ في الاعتبار أياً من العوامل الإجتماعية والظروف المعيشية لسكان هذه المنطقة، ويلاحظ أن عدد اليهود الذين سيسكنون هذه المنطقة سيكونون أضعاف عدد العرب بعد تزايدهم، إن أهمية المركز، كما أطلق عليه، ترجع إلى كونه وسط الضفة الغربية، وحلقة الاتصال بين الشمال والجنوب، وحلقة الاتصال بين فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨ ومنطقة الأغوار على نهر الأردن.. هذافضلاً عن توسيع حدود منطقة القدس بحيث تشمل معظم قري بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور علاوة على قري منطقة رام الله والبيرة.

بعد دراسة هذا المشروع تبين ان المساحات موزعة كالتالي :

- مساحة المناطق الحمراء " المناطق المخصصة للإسكان العربي" حوالي ٥٨,٩٤١ دونماً ويشمل ذلك مدن رام الله والبيرة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، وتبلغ نسبتها١٣% .

- مساحة المناطق الصفراء " المناطق المخصصة للإسكان اليهودي " حوالي ٧٦,٦٠٨ دونمات، نسبتها ١٧% .

- مساحة المناطق الخضراء "حدائق عامة لا يسمح البناء بها " حوالي ٢٨,٨٢٠ دونمات، نسبتها٦,٥% .

- مساحة الطرق "تشمل منطقة المطار " حوالي١٨,٣٤٠دونماً ونسبتها ٤%

- مساحة الأراضي الزراعية ٢٦٣,٥٧٠دونماً ونسبتها ٥٩,٥% .

مجموع مساحة المشروع حوالي ٤٤٦,٢٧٩ دونما

من هذه الإحصائيات يمكن القول بأن عدد السكان المتوقع للعرب سنه ٢٠٠٢هو ٤١٠,٨١٢ نسمة.. بينماعدد السكان المتوقع لليهود سنه ٢٠٠٢ هو ٩١٩,٢٩٦ نسمة .. ويعلق المهندس أبوشلبك على هذا المشروع بأن الأهداف المتوخاه منه هو زيادة عدد السكان إلى هود، ليصبحوا ثلاثة أضعاف السكان العرب .. وتحديد مناطق زراعية بمساحات كبيرة من أجل التخطيط للمستقبل .أيضاً التوسع بعمل شبكة طرق رئيسية تصل الجزء المحتل من فلسطين عام ١٩٤٨ بالأغوار على نهر الأردن المحتلة عام ١٩٦٧ .. وكذلك لربط الشمال بالجنوب.. إلا أن التخطيط للمشروع لم يراع أي عوامل اجتماعية بالنسبة للعرب أو أي ظروف معيشية أو أي ملكيات خاصة ونهب الإنسان الفلسطيني ومحاصرته هو نفسه تدمير البنية التحتية والاستيلاء على مصادر المياه والطاقة لاقتلاعه من جذوره ومن أرضه .. كما أن استباحة حرمة الضفة الغربية

وقطاع غزة تهدف إلى إحكام السيطرة الإسرائيلية على الأرض .. ومنع الشعب الفلسطيني من إنشاء الدولة الفلسطينية.

ثالث عشر : الاعتداء على المقدسات الإسلامية :

اعتدت اسرائيل على المقدسات الإسلامية بالقدس .. بداية من تصريحاتها المعادية لكل مقدس اسلامي، حتى السعي لهدم هذه المقدسات على مراحل مختلفة.. وقد أشار الشيخ عبد الحميد السائح في كتابه " ماذا بعد إحراق المسجد الاقصى " إلى أن وزير الأديان الإسرائيلي" زيراح فيرهافتغ " صرح في عام ١٩٦٧ أثناء اجتماع عقد في القدس لرؤساء حاخامات بعض دول العالم من رجال الدين اليهودي بأن تحرير القدس يعني وضع جميع المقدسات المسيحية فيها وقسماً مهما من المقدسات الإسلامية تحت سلطة إسرائيل.. وإعادة جميع مقدسات اليهود فيها .. الحرم الشريف القدسي هو قدس الأقداس بالنسبة لليهود .. ولايزال مقدساً لدى ديانة اخرى .. وأضاف : " إن الإسرائيليين لاينوون في المرحلة الحاضرة إعادة بناء هيكل سليمان، وأنه من الجميل إرجاء هذه الفكرة في الوقت الحاضر .. ولكن هذا لايعني أن يمتنعوا عن القيام بعمل مايستطيعون" .. وفي مطلع الثلاثينات كان الوزير البريطاني اليهودي اللورد " ميلشيت" قد كشف النوايا الصهيونية تجاه المسجد الاقصى فقال : " إن يوم إعادة بناء هيكل سليمان قد اقترب، وسأصرف بقية حياتي في السعي لإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الاقصى ".

وطرحت دائرة المعارف اليهودية المعروفة باسم " جويش انسيكلوبيديا" Jewish Encyclopedia معنى الصهيونية فقالت " إن اليهود يبغون أن يحزموا أمرهم

وأن يأتو للقدس ويتغلبوا على قوة الأعداء وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الاقصى ويقيمون ملكهم هناك .

وفي ١٦/ ٦/ ١٩٦٨، نشرت جريدة نيويورك تايمز Newyork times بيان لجنة صهيون ومعه خريطة للقدس القديمة أخفي منها المسجد الاقصى ومسجد الصخرة، وكان مكانهما ميدان الهيكل.

والأمثلة على العبث بالمقدسات الإسلامية كثيرة نذكر منها :

- هدم حي المغاربة والعقارات الإسلامية خلف الحائط الغربي للحرم القدس الشريف:

لم تكد تمر أربعة أيام على احتلال الجيش الإسرائيلي للقسم الثاني من القدس الشريف ١٩٦٧/٦/٧، حتى بدأ الإسرائيليون بتنفيذ بعض مخططاتهم لتهويد الحرم القدسي الشريف مبتدئين بهدم الحي المغربي الملاصق للمسجد الاقصى المبارك من الجهة الغربية الجنوبية، وكان يشكل بأوقافه وسكانه من إخواننا من شمال أفريقيا، حصناً منيعاً يفصل الحي اليهودي عن المسجد الاقصى المبارك ويدفع عنه وعن المقدسات الإسلامية أي عدوان يأتي من ناحيتهم، هذا الحي بأهله، كان هو الهدف الأول من مسلسل التهويد . فوجئ أهل هذا الحي في فجر ١٩٦٧/٦/١١، بجرافات الجيش الإسرائيلي تزحف عليهم، وتهدم عقاراتهم ومنازلهم واحداً بعد الآخر، ولم ينفض النهار إلا و١٣٥منزلا ومسجدين صغيرين أصبحت أطلالاً، وتشرد سكانها البالغ عددهم ٦٥٠شخصا، وبوشر بتمهيد أرضها لتضم إلى ساحة البراق الشريف والذي يطلق اليهود عليه اسم " حائط المبكي " وهو جزء من حائط الحرم القدسي الشريف، وقد تساهل السلف الصالح من حكام المسلمين بالسماح لهم بالبكاء

خلفه، وجاء اليوم ليتخذوا منه ذريعة لهدم الحي المغربي بحجة توسيع ساحته ولتكون الخطوة الأولي في تهويد الحرم .

الاعتداءات بواسطة الصلوات اليهودية وإباحتها داخل الحرم القدسي: اتخذت بعض الجماعات الدينية والسياسية والنقابية الإسرائيلية في بعض الأوقات أسلوب التستر بزيارة الحرم القدسي الشريف مدخلاً إلى الاعتداء على حرمته وإقامة الصلوات اليهودية في ساحاته، كخطوة أولي لإثبات حقوقهم الدينية فيه، وكان أول من قام بمثل هذا الاعتداء رئيس حاخامات الجيش الإسرائيلي شلومو غورين في ١٥/٨/١٩٦٧مع حوالي عشرين من جماعته، حيث دخلوا من باب المغاربة وأقاموا أول صلاة لهم في الساحة الداخلية للباب وأعلن يومها أنه سيقوم بصلاة اخرى في كل أسبوع وسيبني كنسية في مكان آخر في ساحات المسجد، وقد احتجت الهيئة الإسلامية في القدس على هذا الاعتداء في حينه وهددت بإغلاق أبواب الحرم، وسارعت سلطات الاحتلال إلى منع رئيس الحاخامات من إقامة هذه الصلاة وأرسلت لرئيس الهيئة الإسلامية الشيخ عبد الحميد السائح آنذاك، (الذي أبعد فيما بعد) بتطمينه بعدم تكرار تلك الصلاة ولم تنفذ وعدها.

في ٢٨/١/١٩٧٦ أصدر قاضي محكمة صلح إسرائيلية في القدس المحتلة قراراً يقضي بإباحة الصلاة لليهود في الحرم القدسي الشريف، ولقد شجع هذا القرار جموع اليهود على القيام باعتداءات إسرائيلية متواصلة لانتهاك حرمة الحرم القدسي الشريف واقتحام أبوابه في معظم ساعات النهار في محاولات لتأدية صلوات يهودية بالقوة، وكانوا في كل مرة يصطدمون بالحرس الاسلامي وبجموع

المصلين المسلمين ويتعاركون معهم وتتدخل الشرطة الإسرائيلية المقيمة في الحرم وتخرجهم بعد أن تعتدي على المسلمين وتعتقل بعضهم .

وقد أثار قرار المحكمة بإباحة الصلاة اليهودية داخل الحرم القدسي غضب المسلمين وإحتجاجهم داخل فلسطين وخارجها .. وعمت المظاهرات والإضرابات المدن والقري ومخيمات اللاجئين، وقدمت الحكومة الأردنية في أعقابها شكوي إلى مجلس الأمن الدولي مطالبة التدخل ووضع حد لهذه الانتهاكات الإسرائيلية لحرمة الأماكن المقدسة ولأهلها، خلافاً وتحدياً للاتفاقيات الدولية ولقرارات هيئة الأمم المتحدة التي تعتبر ضم القدسأصلاً ، عملاً باطلاً وغير قانوني، ولقد نقضت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية باستعمالها حق الفيتو مشروع القرار المناسب آنذاك، استمراراً لمواقفها المتواصلة في تأييد سلطات العدوان الإسرائيلي .

- **اغتصاب سلطات الحكم العسكري لباب المغاربة :**

وهو أحد أبواب الحرم القدسي الشريف الملاصق للمسجد الاقصى المبارك ١٩٦٧/٨/٣١، وأقيم مركز للشرطة العسكرية الإسرائيلية فيه، تم فتحه لجميع الزوار اليهود دون رقابة إسلامية من قبل موظفي الأوقاف الإسلامية على الداخلين منه استمر ذلك على الرغم من معارضة الهيئة الإسلامية ومديرية الوقف الإسلامي بالقدس .

- **إحراق المسجد الاقصى :**

في يوم ١٩٦٩/٨/٢١ اشتعل حريق في المسجد الاقصى المبارك عن طريق مجموعة من الإسرائيليين .. وكان الهدف من هذا الحريق هو هدم هذا المسجد

الشريف والذي له صفه القداسة والاحترام لدى المسلمين .. ولكن فور اندلاع الحريق سارعت الجموع الإسلامية العربية المجاورة واستطاعت إنقاذ القسم الأكبر من المسجد وأفشلت مخطط هدم المسجد .. وفي حينها قدمت الدول العربية شكاوي للهيئات الدولية المعنية .. وعقدت مؤتمرات قمة تناولت هذا الموضوع .. وقد حاولت سلطات (إسرائيل) – في بادئ الأمر – إلصاق تهمة الحريق بشركة كهرباء القدس، إلا أن مبادرة الشركة بإرسال مهندسيها وبقطع التيار الكهربائي عن الموقع فور كشف الحريق، والقيام بإجراء تحقيق فني بسرعة، والإعلان عن سلامة الشبكة الكهربائية الموزعة والموصلة، ونفي وجود أي علاقة بين الكهرباء والحريق، فوتت على تلك السلطات محاولة إلصاق الحريق بها وقد أقلقها هذا ودفعها إلى إلصاق التهمة بشاب إسترالي اسمه مايكل روهان، فألفت له محكمة صورية، ولفقت أدلة جنونه، وانتهت الرواية بوضع المتهم في مستشفى للأمراض العقلية لفترة من الزمن، ثم أخلت سبيله بعد ذلك وأعلنت عن عودته إلى استراليا .

ولقد أعلن رئيس الهيئة الإسلامية بالقدس سماحة الشيخ حلمي المحتسب في مؤتمر صحفي عقده في القدس بعد إطفاء الحريق ما يلي : إن الحريق مفتعل، وغير طبيعي، وليس من جراء التيار الكهربائي، وإن مياه البلدية التابعة لسلطات الاحتلال الإسرائيلي قد قطعت عن منطقة الحرم الشريف فور اندلاع الحريق، وإن سيارات الاطفاء التابعة لبلدية سلطات الاحتلال الإسرائيلي قد تأخر وصولها ومباشرتها عملية الإطفاء وإن الذي ساهم وساعد على إخماد الحريق اطفائيات بلدتي رام الله والخليل .. ولكن من ناحيتهم كشف المهندسون العرب الذين انتدبتهم الهيئة الإسلامية في القدس أن الحريق قد شب في موقعين وليس

في موقع واحد، وكان الأول عند منبر صلاح الدين المشهور بمنبر نور الدين التاريخي فأتي عليه برمته، والثاني عند السطح الشرقي الجنوبي للمسجد فأتي على سقف ثلاثة أروقة وعلي جزء كبير من هذا القسم من المسجد ولئن سلم القسم الأكبر من المسجد من هذا الحريق، فإن الخوف عليه من أي اعتداء إسرائيلي لا يزال قائماً طالماالاحتلال متواجداً .

– محاولات لهدم المسجد الاقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة :

بعد فشل هدم المسجد الاقصى عن طريق الحريق الذي أشعل فيه خططت سلطات الاحتلال الإسرائيلي لهدم المسجدين الاقصى والصخرة المشرفة .. وهذه المخططات –كما سنلاحظ– شارك فيها ودبرها ضباط ورجال دين ورجال أحزاب .. نذكر من هذه المحاولات على سبيل المثال :

في أول شهر أيار / مايو ١٩٨٠، أعلنت السلطات الإسرائيلية أنها اكتشفت كميات من المتفجرات والقنابل والأسلحة على سطح احدى المدارس الدينية في الحي اليهودي داخل سور القدس، التي تبعد عن الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف بحوالي خمسين متراً، وأعلنت أنه لدى التحقيق ظهر لها أن هذه الكميات سرقها ثلاثة من رجال الجيش الإسرائيلي، أحدهم برتبة ضابط، وكانوا يخططون لنسف المقدسات الإسلامية داخل الحرم الشريف .. وبتاريخ ١٩٨١/٨/٩، الذي صادف ذكري "خراب الهيكل " عند اليهود قامت جموع يهودية كبيرة بمحاولات اقتحام الحرم الشريف من جميع أبوابه وتسللوا إلى بعض الأبنية المطلة على ساحات الحرم واعتدوا على أهلها، وحاولوا الدخول إلى

ساحات الحرم بالقوة، واشتبكوا مع المسلمين وكالعادة تدخلت الشرطة الإسرائيلية وفصلت بينهم واعتقلت بعض العرب، ومنعت اليهود من الدخول .

وفي صباح ١٩٨٢/٤/١١ اقتحم جندي إسرائيلي باب الغوانمة، الواقع في الشمال الغربي من الحرم، وكان يقف على مدخله أحد رجال الحرس الإسلامي ورجل شرطة، وأطلق الجندي الاسرائيلي عليهما النار من بندقيته الرشاشة التي يحملها وواصل مسيرته إلى سطح مسجد الصخرة المشرفة يطلق النار منها بغزارة على المسلمين الموجودين هناك، فقتل حارس المسجد، ثم اقتحم المسجد وواصل إطلاق النار داخله، وفي الوقت نفسه، كانت تطلق نيران إسرائيلية مماثلة من مكان غربي على المسلمين الذين هرعوا للاستطلاع واستشهد نتيجتها رجل واحد وجرح ٤٤ ولما تدفق المسلمون من الأحياء المجاورة صدتهم القوات الإسرائيلية التي هرعت للتدخل، واعتقلت المجرم الذي تبين أنه يحمل الجنسية الأمريكية، واعتقلت معه عشرات من المعتدي عليهم، وقد أسفرت محاكمة المعتدي بالحكم عليه مدة سنة فقط بحجة أن يعاني من مرض عصبي .. وبتاريخ ١٩٨٣/٣/١١، حاول ٤٦ من الإسرائيليين التسلل إلى الحرم القدسي الشريف من المسجد الاقصى المبارك عن طريق الحفريات التي كانوا يقومون بها، وكانوا يحملون صناديق تحتوي على مواد متفجرة تكفي لنسف جميع الأماكن المقدسة داخل الحرم . وقد اكتشفهم حراس الأوقاف الإسلامية وأبلغوا عنهم قوات الأمن الإسرائيلية التي اعتقلتهم مع معداتهم، وأقامت لهم محاكمة صورية كما اقامت لمن سبق من المعتدين، وأفرج عنهم فيما بعد .

وفي شهر نيسان "أبريل" ١٩٨٤، اكتشفت سلطات الأمن الإسرائيلية تنظيماً سرياً من رجال الجيش الإسرائيلي، كان يخطط لنسف الحرم القدسي من الجو، واعتقلت رجاله وأجرت لهم محاكمة استغرقت حوالي العام، وحكمت على بعضهم بالسجن أحكاماً تتراوح بين ثلاث وسبع سنوات .. في ١٩٨٦/١/٨ قام وفد من البرلمان الإسرائيلي باقتحام الحرم القدسي واستمرت المحاولات على مدار أسبوع، وقد أثارت العرب والمسلمين، فتقدموا بشكوي إلى مجلس الأمن، وانتهي مصير الشكوي باستعمال أمريكا حق الفيتو ضد أي قرار ضد إسرائيل.. كان هناك تمهيد لوضع إلى د الإسرائيلية على مقبرتي باب الرحمة واليوسفية الملاصقتين للحرم القدسي الشريف من الجهة الشرقية وضمهما لمتنزه إسرائيل الوطني : وقد مهد لذلك على مرحلتين :

الأولي : أقرت لجنة التنظيم المركزية الإسرائيلية تخطيط منطقة القدس في ١٩٧٠/٨/١٩ مخطط تصميم للبلدة القديمة بالقدس ولضواحيها، وصادقتها على خطة المتنزه حول أسوار المدينة ويسمونه " المتنزه الوطني الإسرائيلي " .

الثانية :أصدر وزير الداخلية الإسرائيلي أمراً نشر في جريدة القدس بتاريخ ١٩٧٤/٣/٦، اعتبر بموجبه المنطقة المحيطة بسور البلدة القديمة من القدس، حديقة عامة . والمقبرتان المشمولتان بهذه المؤامرة الجديدة، هما أقدم المقابر الإسلامية في القدس، وتعتبران جزءاً حياً من تاريخ الإسلام بالقدس، وذلك بما تضمناه من رفات كبار رجال الفتح الإسلامي والمجاهدين الأوائل ورجال الحكم والقضاء والعلم على مدي أجيال، وفي مقدمتهم الصحابيان الجليلان عبادة بن الصامت البدري المتوفي سنة ٣٣ هـ ٦٥٣ م وشداد بن أوس الأنصاري المتوفي

سنة ٥٨ هـ /٦٧٧ م وهو ما سبقت الإشارة إلى ه، وعلاوة على الأهمية التاريخية، فإن مجرد ملاصقة المقبرتين للحرم الشريف شرقاً، ووضع إلى د الإسرائيلية عليهما، يطوق الحرم بالحفريات جنوباً وشرقاً ويعرض الحرم بكامله لأخطار مقلقة .. وقد قامت بلدية الاحتلال العسكري الإسرائيلي بالقدس في أول سنة ١٩٨٠ باغتصاب جزء من المقبرة إلى وسفية، يلاصق الجزء الشرقي من سور القدس من زاويته المالية وعلي امتداد حوالي ٣٠٠ متر جنوباً حتى باب الأسود (والمعروف باسم باب الأسباط) وبعمق يتراوح ما بين ١٥ – ٢٥ مترا، وأنشأت عليه حديقة وطريقاً حجريا وأنارتهما بالكهرباء، كمرحلة تنفيذية للمشروع الذي سموه" المتنزه الوطني الإسرائيلي " .

– **الحفريات حول وأسفل الحرم القدسي** :

في مرحلة سابقة قبل الشروع في مخطط الحفريات تمكنت السلطات الإسرائيلية من مصادرة الكثير من الأحياء العربية الملاصقة للحرم القدسي .. وأن الهدف من وراء عملية الحفريات –كما تدعي اسرائيل – هو الكشف عن التاريخ اليهودي القديم وهيكل سليمان .. ولكن الهدف الحقيقي هو تصدع المقدسات الاسلامية، نتيجة لأعمال الحفر والتنقيب وبالتالي هدمها وطمس الهوية الإسلامية، ففي عام ١٩٦٩/٧/١٥ نقلت وكالات الانباء " أن حائط المبكي سيكشف قريباً .. وأعلن في القدس أن امتداد حائط المبكي (حائط البراق الشريف)سيظهر عارياً وكاملاً ولأول مرة بعد ألفي سنة، ويعتبر هذا الحائط أقدس مكان لدى اليهودي ة، وهذا الحائط هو جزء من بقايا الحائط الغربي لساحة الهيكل الذي بني في عهد الملك هيرودس ودمر من قبل الكتائب

الرومانية سنة ٧٠ بعد الميلاد، وعندما احتلت إسرائيل القدس لم يكن ظاهراً منه سوى ٣٠ ياردة ثم أظهرت سلطات إسرائيل بعد ذلك ما طوله ٥٠ ياردة اخرى وعندما تنتهي العملية المخطط لها، سيكشف ويظهر منه مائتا ياردة أو أكثر .
نشرت صحيفة (دافار) الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧١/٨/٢ خبراً عن زيارة الجنرال دايان (وكان وقتها وزيراً للدفاع) إلى منطقة الحفريات وحائط المبكي وهناك رداً على سؤال أحد الصحفيين له قال : إنه لا ضرورة – حسب رأيه – للتأخير بسبب العثور على آثارات قديمة من عهود متأخرة والتي عثر عليها في منطقة الحفريات، ويجب الكشف والعمل على إعادة ترميم جميع ما يتعلق بأيام الهيكل الثاني، وأفضل أن أرى السور كما كان في عهد الهيكل الثاني، ويمكن تصوير بقية الآثارات وتخليدها وإزالتها لأنها تخفي عنا رؤية الصورة كاملة كما كانت في حينها.

ونشرت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧٧/٢/٢٧ خبراً مفاده أن الحاخام الأكبر لإسرائيل إسحق نسيم قام برفقة عدد من كبار الاسرائيليين بزيارة لقسم من الحائط الغربي للحرم القدسي (ويقع في منتصف الحائط داخل رباط الكرد قرب مثوي المرحوم الملك حسين بن على) وبعد أن قاموا بصلاة يهودية أصدروا البيان التالي: حائط المبكي الصغير (في داخل رباط الكرد) واستمرار الكشف عنه واجب ديني كبير :سيظل صراخنا مستمراً ونضالنا مستمراً ومتواصلاً حتى اكتشاف طوله وارتفاعه من زاويته الجنوبية إلى زاويته الشمالية القريبة من باب الأسباط، نريد تنظيف المنطقة من جميع المباني التي ألصقت بقصد وبإقرار رؤساء الدين المسلمين المتعاقبين .. وقد بدأت الحفريات

حول الحرم القدسي في أعقاب احتلال إسرائيل للقسم الثاني من القدس بعد حرب يونيو ١٩٦٧ خلافاً للمادة ٣٢ من ميثاق لاهاي التي تحرم اجراء أي حفريات أثرية في المناطق المحتلة .. وقد مرت الحفريات التي أقدمت عليها إسرائيل بعدة مراحل .

المرحلة الأولي : وقد بدأت في أواخر سنة ١٩٦٧ وتمت سنة ١٩٦٨، وقد جرت على امتداد ٧٠متراً من أسفل الحائط الجنوبي للحرم الإسلامي القدسي خلف قسم من جنوب المسجد الاقصى وأبنية جامع النساء والمتحف الاسلامي والمئذنة الفخرية الملاصقة له، ووصل عمق هذه الحفريات إلى ١٤متراً ، وهى تشكل باستمرار، ومع مرور الوقت، عامل خطر يهدد باحداث تصدعات لهذا الحائط والأبنية الدينية والأثرية الملاصقة له .

المرحلة الثانية : وقد تمت سنة ١٩٦٩، وقد جرت على امتداد ٨٠ متراً اخرى من سور الحرم الإسلامي القدسي، بدأت من حيث انتهت المرحلة الأولي، واتجهت شمالاً حتى وصلت (باب المغاربة) أحد أبواب الحرم الشريف، مارة تحت مجموعة من الأبنية الاسلامية الدينية التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعي) وعددها ١٤ صدعتها جميعها وتسببت في إزالتها بالجرافات الإسرائيلية بتاريخ ١٩٦٩/٦/١٤، وإجلاء سكانها .

المرحلة الثالثة : وقد بدأت سنة ١٩٧٠، وتوقفت سنة ١٩٧٤ ثم استؤنفت ثانية من سنة ١٩٧٥، إلى سنة ١٩٨٨ وقد امتدت من مكان يقع أسفل عمارة المحكمة الشرعية القديمة (وتعتبر من أقدم الأبنية التاريخية الإسلامية في القدس)مارة شمالاً بأسفل خمسة من أبواب الحرم القدسي هى : باب السلسلة

وباب المطهرة وباب القطانين وباب الحديد وباب علاء الدين البصير (المسمى باب المجلس الإسلامي) وعلي إمتداد ١٨٠ متراً وفوق مجموعة من الأبنية الدينية والحضارية والسكنية والتجارية تضم أربعة مساجد ومئذنة قايتباي الأثرية وسوق القطانين (أقدم سوق أثري عربي إسلامي في القدس)وعدداً من المدارس الأثرية ومساكن يقطنها حوالي ٣٠٠٠ عربي من أهل القدس، وقد وصلت هذه الحفريات إلى أعماق تتراوح بين ١٠ و ١٤متراً ، وقامت السلطات الدينية اليهودية بتحويل الجزء الأول منها تحت المحكمة الشرعية إلى كنيس يهودي، كما تسببت أيضا في تصديع عدد من الأبنية، منها الجامع العثماني ورباط الكرد والمدرسة الجوهرية، وكلها عقارات دينية وحضارية .

المرحلتان الرابعة والخامسة : بدئ بهما سنة ١٩٧٣ واستمرتا حتى سنة ١٩٧٤، في المنطقة التي تقع خلف الحائط الجنوبي الممتد من أسفل القسم الجنوبي الشرقي للمسجد الاقصى وسور الحرم القدسي الشريف، وتمتد شرقاً على مسافة تقارب الثمانين متراً، وقد اخترقت هذه الحفريات في شهر يوليو ١٩٧٤ الحائط الجنوبي للحرم القدسي والمدخل إلى الأروقة السفلية للمسجد الاقصى المبارك وللحرم في أربعة مواقع هى :

الأول : أسفل محراب المسجد الاقصى وبعمق ٢٠ متراً إلى الداخل .

الثاني : أسفل جامع عمر – الجناح الجنوبي الشرقي للمسجد الاقصى .

الثالث : تحت الأبواب الثلاثة للأروقة الواقعة أسفل المسجد الاقصى المبارك .

الرابع : تحت الأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الاقصى المبارك . وقد وصلت أعماق هذه الحفريات إلى أكثر من ١٣متراً ، وأصبحت تعرض السور والمسجد الاقصى إلى خطر الانهيار آخذين بعين الاعتبار –كما يقول مهندسو الأوقاف

الإسلامية بالقدس – الأمور التالية : قدم البناء، تفريغ التراب الملاصق للحائط من الخارج إلى أعماق كبيرة، العوامل المناخية، الضغط الجوي الناتج عن الطائرات الحربية، وما ينطبق على هذه الناحية من الحفريات ينطبق على النواحي التي سبق الكلام عنها .

المرحلة السادسة : بدأت في أوائل سنة ١٩٧٥في مكان قرب منتصف الحائط الشرقي لسور المدينة ولسور الحرم الشريف، يقع بين باب السيدة مريم والزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة، وتهدد أعمال الحفر فيها بإزالة القبور الإسلامية التي تضمها أقدم مقبرة إسلامية في المدينة، وفيها رفات الكثير من رجال الدين والعلم والحكم المسلمين وفي مقدمتهم الصحابيان عبادة بن الصامت البدري وشداد بن أوس الأنصاري، وقد نتج عن هذه الحفريات مصادرة الأرض الملاصقة لإحدي هذه المقابر وإنشاء جانب من متنزه إسرائيل الوطني فيها .

المرحلة السابعة : مشروع تعميق ساحة البراق الشريف والتي تسمى أيضا بساحة المبكي، وهى الملاصقة للحائط الغربي للمسجد الاقصى المبارك وللحرم القدسي الشريف وهو مشروع وضع سنة ١٩٧٥ وتمت الموافقة عليه –كما تقول جريدة " القدس " المقدسية في عددها بتاريخ ١٥ / ١٩٧٧/٦ – من قبل اللجنة الوزارية الإسرائيلية مع بعض التعديلات ويقضي المشروع بضم أقسام اخرى من الأراضي العربية المجاورة للساحة وهدم ما عليها وحفرها بعمق تسعة أمتار، وكانت هذه الساحة حتى ١٩٦٧/٦/٧ تضم حوالي ٢٠٠ عقار عربي إسلامي تشكل القسم الأكبر من الحي المغربي، جرفتها الجرافات الإسرائيلية ما

بين سنتي ١٩٦٧ و ١٩٧٧ وشردت جميع أهلها، ويقدر عددهم بثمانمائة، وأن المشروع الجديد عرض الأبنية الملاصقة والمجاورة لخطر التصدع والانهيار ثم الهدم وتضم هذه الأبنية : عمارة المحكمة الشرعية القديمة المعروفة بالمدرسة التنكزية، عمارة المكتبة الخالدية وهى من أقدم المكتبات الإسلامية في القدس زاوية ومسجد أبو مدين الغوث وكلاهما من الأوقاف الإسلامية القديمة، بالإضافة إلى عدد من العقارات السكنية يتجاوز ٥٠ عقاراً.

المرحلة الثامنة : وقد بدأت سنة ١٩٦٧ تحت شعار " كشف مدافن ملوك إسرائيل في مدينة داود " .. وتقع الحفريات خلف جدارن المسجد الاقصى وجنوبها .. وهى استكمال للمرحلتين الرابعة والخامسة .. والخطر فيها أنها عملت على تصدع الجدارن الجنوبية للمسجد الاقصى .

المرحلة التاسعة : بدأت في ١٩٨١/٨/٢٨ عندما اخترقت الحفريات الحائط الغربي للحرم القدس .. وأعيد فتح نفق كان قد اكتشفه الضابط البريطاني " تشارلز وارن " سنة ١٨٨٠ وسمى باسمه .. ويقع ما بين باب السلسلة وباب القطانين في الحرم، ونفق المطهرة في أسفل جانب من الحرم، وتوغلت الحفريات أسفل ساحة الحرم من الداخل على امتداد ٢٥متراً شرقاً وبعرض ٦ أمتار ووصلت أسفل سبيل قايتباي التاريخي، وقد أدت هذه الحفريات إلى تصدع في الأروقة الغربية الواقعة ما بين بابي السلسلة والقطانين للحرم القدسي، كما جاء في تقرير المهندس المقيم لإعمار المسجد الاقصى المبارك في ١٩٨١/٨/٣٠ .

المرحلة العاشرة : وانتهت فيها إسرائيل إلى افتتاح نفق الاقصى أسفل الحرم الشريف في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦، والذي يمتد بمحاذاة الجدار الغربي للمسجد وصولاً إلى حائط البراق بطول ٣٥٠ مترا .

وقد بدأ العمل في النفق منذ أغسطس ١٩٧٤، وسبقت ٣ محاولات لافتتاحه في أعوام ١٩٨١، و ١٩٨٨، و ١٩٩٥، لكن وقوف هيئة الأوقاف الإسلامية بالقدس ضد هذه المحاولات حال دون افتتاح النفق، إلى أن أعلنت السلطات الإسرائيلية عن افتتاحه رسمياً بمساندة الجيش الاسرائيلي في صبيحة ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦ .

وإلي جانب النفق، كانت أعمال الحفر الإسرائيلية أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي مستمرة منذ عام ١٩٧٤ أيضا، إلى أن اخترقت الأروقة السفلية للمسجد في مواقع بعمق ٢٠ مترا إلى الداخل، ومن الناحية التاريخية، سبق افتتاح النفق الإسرائيلي، محاولة لوزارة الأديان الإسرائيلية عام ١٩٨٧ لترميم نفق صغير كان قد اكتشف في القرن التاسع عشر كبقية لقناة مائية بمنطقة الاقصى ، مع توصيله بالنفق الجديد، ليمتد في مجموعة بطول ٥٠٠ متر، ومعروف أن افتتاح النفق –وما سبقه من حفريات إسرائيلية – يهدف إلى اكتشاف هيكل سليمان وإعادة بنائه في نفس المكان الذي يقوم عليه المسجد الاقصى المبارك ومسجد القبة المشرفة .

رابع عشر : الاعتداء على المقدسات المسيحية :

تعرضت المقدسات المسيحية ورجال الدين المسيحي في القدس للاعتداء على حرماتهم ومقدساتهم، وإجبارهم على التنازل عن مساحات كبيرة من عقاراتهم وممتلكاتهم بشتي الطرق تارة عن طريق الإرهاب وتارة اخرى عن طريق البيع أو التنازل، مما حدا بالكثيرين منهم بالهجرة خارج المدينة .. ومن أبرز صور الاعتداءات الصارخة على المقدسات المسيحية .

سرقة أماكن العبادة واغتصاب الأملاك : وأشهر الحوادث ما تعرضت له كنسية القيامة – كبري كنائس العالم – من سرقات، فقد سرق تاج السيدة العذراء في أواخر عام ١٩٦٧ من قبل بعض الإسرائيليين .. وبتاريخ ٢٤ /٣/ ١٩٧١ حطمت قناديل الزيت والشموع التي فوق القبر المقدس في مدخل الكنسية من قبل إسرائيليين .. أعقبها محاولة سرقة إكليل مرصع بالماس قائم قرب صليب الجلجلة داخل كنيسة القيامة من قبل ثلاثة إسرائيليين ليلاً ، واعتدائهم على راهب فرنسيسكاني، والتسبب في إلحاق أضرار بالغة فيه.. كذلك تعرض دير الأقباط ليلة عيد الفصح المجيد في ٢٥ /١٩٧٠/٤ إلى اعتداء على ممتلكاته ورهبانه من قبل عدد كبير من رجال الشرطة الإسرائيلية .

وأقدم بعض الاسرائيليين المتعصبين في ١٩٧٣/٢/٦ على إحراق المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون .. كما أحرقت أربعة مراكز مسيحية في القدس في ١٩٧٤/٢/١١ ، ومن ناحية اخرى اغتصبت السلطات الإسرائيلية الكثير من العقارات ودور العبادة المسيحية في القدس .. ووضعتها تحت سيطرتها نذكر من ذلك، استيلاء سلطات الاحتلال على أراضي أحياء المصلبة والقطمون وكرم الرهبان الواقع بين محطة السكة الحديد وفندق الملك داود بالقدس .. ويضم مساحات واسعة من أراضي غرب القدس .. وقد استولت عليها عن طريق إجبار البطريركية الرومية الارثوذكسية لتأجيرها لهم لمدة مائة عام .. وقد شيدت على هذه الأراضي أحياء يهودية .. كذلك استولت على عقارات متعددة ومن بينها عمارة فندق فاست في وسط القدس، كانت تملكها بطريركية الأرمن بالقدس، باعتها للسلطات الإسرائيلية تحت التهديد أيضاً

أيضاً استولت على مدرسة شنلر الألمانية والمعروفة باسم مدرسة الأيتام السورية، ومعها مساحة واسعة من الأرض وعدد كبير من الأبنية تقع شمال القدس، كانت تملكها جمعية خيرية ألمانية، اضطرت لبيعها لسلطات الاحتلال الإسرائيلية تحت التهديد. كذلك اغتصبت أراضي الكنيسة الروسية البيضاء والمعروفة بـ (المسكوبية) وأبنيتها وتقع في وسط القدس وتضم مساحة واسعة من الأرض وعدداً من العمارات الضخمة ومنها المستشفي الحكومي وعمارات المحاكم النظامية وقيادة البوليس والسجن المركزي، وجميعها تنازلت عنها الكنيسة الروسية البيضاء للسلطات الإسرائيلية تحت التهديد والإرهاب .

– **الاعتداء على رجال الدين المسيحي** : لم تتوان سلطات الاحتلال في التحقير من شأن أفراد ورجال الدين المسيحي، واعتدت عليهم داخل أديرتهم وكنائسهم بهدف إبعادهم عن المدينة ومن هذه الاعتداءات على سبيل المثال : اعتقال القس إيليا خوري، راعي الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية في رام الله في ١٩٦٩/٣/٢، وتعريضه لتعذيب نفساني متواصل لمدة (٤٥) يوماً، ثم إبعاده إلى عمان بتاريخ ١٩٦٩/٤/١٦، وقدأصبح فيما بعد مطراناً للطائفة الإنجيلية العربية في عمان بالأردن .. اعتداء فوج من رجال الشرطة الإسرائيلية على رهبان دير الأقباط بالقدس بالضرب ليلة عيد الفصح المجيد في (١٩٧٠/٤/٢٥) .

في ١٩٧٣/٢/٦ اعتدي إسرائيليون بالضرب الشديد للمطران "فاسيلوس " الذي يعد الرجل الثاني في بطريركية الروم الأرثوذكس بالقدس .

اعتقال المطران إيلاريون كبوشي، مطران القدس للروم الكوثوليك في ١٩٧٤/٨/٨، وتوجيه ثلاث تهم له هى حيازة أسلحة والقيام بخدمة لمنظمة غير

مشروعة والاتصال بعملاء أجانب، ثم الحكم عليه في ١٩٧٤/١٢/٩ بالسجن لمدة اثني عشر عاماً ، أمضي منها حوالي ثلاث سنوات وأربعة أشهر في السجن، ثم أفرج عنه بتاريخ ١٩٧٧/١١/٦ بعد تدخل الفاتيكان، وجري إبعاده في اليوم نفسه .. ونتيجة لهذا الاضطهاد والإرهاب اضطر المئات بل الآلاف من المسيحيين للنزوح خارج القدس .. وتشير الاحصائيات إلى تناقص عدد لطوائف المسيحية في القدس بشكل كبير جداً .. وأبرز هذه الطوائف الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والأرمن .. وطوائف مسيحية أخري، ويقف وراء الهدف من نزوح المسيحيين عن القدس هو نزوح المسيحية معهم وترك المقدسات المسيحية نهباً لليهود الإسرائيليين .. ولم يتوان رؤساء وأسقف ومطارنة الطوائف المسيحية عن مناشدة الحكومات والهيئات الدولية لمناصرتهم ضد ارهاب الإسرائيليين المتواصل، إن ما عانته " القدس " المدينة وأبناؤها المقدسيين طوال ٣٠ عاما من الاحتلال الصهيوني وما قدموه من تضحيات وفداء في سبيل الحفاظ على الهوية والعقيدة وحماية المقدسات هو سجل مشرف لكل عربي ومسلم ومسيحي وسجل خذي وعار لأبناء صهيون.. سيرة هذه المدينة هى دعوة صريحة لكل عربي مسلم أو مسيحي، للنهوض لفداء المدينة المقدسة بالمال والدماء، فلا سبيل لنصرتها غير تحريرها كما حررها الناصر صلاح الدين الأيوبي منذ ٨٠٠ عام من أيدي الصليبيين، ليعود إليها الأمن والسلام ولترتفع الآذان وتدق الأجراس بالدعاء والصلوات .



المراجع

أولاً : الكتب :

- القرآن الكريم .

- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت ٥٧١ هـ)-التاريخ الكبير - دمشق - د.ت ٠

- أبو جعفر بن جرير الطبري (ت ٢٨٤هـ) - تاريخ الأمم والملوك - لندن - ١٨٨٣م.

- أبو عبد الله العماد الأصبهاني (ت ٥٩٧ هـ) - الفتح القسي في الفتح القدسي - القاهرة .

- ادوارد سعيد - الاستشراق - المعرفة ، السلطة ، الإنشاء - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت - ١٩٨١ .

- أسعد رزق - إسرائيل الكبرى - مركز الأبحاث / منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٨ .

- أسفار العهد القديم .

- الأمير جمال الدين بن تغري بردي - النجوم الزاهرة في أخبار مصر القاهرة - طبعت الأجزاء التسعة منه في القاهرة ما بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٢ .

- باسيل نقولا خاتروفو (ترجمة حنا سمارة) - كلام في وصف الأرض المقدسة - د . ت - د . ط .

- تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) - السلوك لمعرفة دول الملوك - ط القاهرة .

- توفيق الانصاري - مناسك القدس الشريف - المطبعة العثمانية - إستنبول ١٣٣٢ هـ .
- حسين عمر حمادة - آثار فلسطين - الطبعة الأولي - دار قتيبة - دمشق - ١٩٨٣ .
- حكومة فلسطين - الكتاب الأبيض رقم (٣٢٢٩) - د. ت .
- انه خليل بن خطار سركيس - تاريخ أورشليم - ط بيروت - ١٨٧٤ م.
- خليل طوطح - تاريخ فلسطين - مطبعة بيت المقدس - القدس- ١٩٢٣.
- روحي الخطيب : تهويد القدس - أمانة القدس - مطبعة التوفيق عمان - الاردن - ١٩٧١ .
- روحي الخطيب : المسجد الأقصى تحت الحظر - فلسطين الثورة (العدد السنوي) بيروت - ١٩٨٢ .
- روحي الخطيب - تهويد القدس — أمانة القدس — مطبعة التوفيق عمان- الاردن ١٩٧١ .
- روحى الخطيب : المسجد الأقصى تحت الحظر — فلسطين الثورة (العدد السنوى) بيروت - ١٩٨٢ .
روحى الخطيب — تهويد القدس — (بحث) — موسوعة فلسطين — ط منظمة التحرير الفلسطينية .
- د . سالم الكسواني - وضع القدس في المحافل العربية والإسلامية - (بحث)
- موسوعة فلسطين - ط منظمة التحرير الفلسطينية .
- سعيد عمارة - النظام الاقتصادي في فلسطين - ط بيروت - ١٩٣٩ .

- د . سيد فرج راشد – القدس عربية إسلامية – دار المريخ للنشر – الرياض – ١٩٨٦.

- عارف باشا العارف – تاريخ القدس – الطبعة الثانية – دار المعارف – القاهرة ١٩٩٤.

- عباس محمود العقاد – الثقافة العربية من ثقافة إلى ونان والعبريين – المكتبة الثقافية – العدد رقم (١) – القاهرة ١٩٥٩ .

- عبد الحميد السايح – ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى ؟ – دار الشعب – القاهرة – ١٩٧٠ .

- د . عبد الفتاح أبو عليه ، د. عبد الحليم عويس – بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ – دار المريخ – القاهرة – ١٩٨١ .

- كامل العسلي – أجدادنا في ثري بيت المقدس – المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية – عمان – ١٩٨١ .

- كامل العسلي – معاهد العلم في بيت المقدس – جمعية عمان – المطابع التعاونية بعمان – الأردن – ١٩٨١ .

- كامل العسلي –القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ (بحث) – موسوعة فلسطين– ط منظمة التحرير الفلسطينية .

- كيث ماجواير – تهويد القدس (الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس) مركز الدراسات العربية لندن ودار الآفاق الجديدة – بيروت –١٩٨١ .

- محمد العامري – عروبة فلسطين في التاريخ – المكتبة العصرية – صيدا – ١٩٧٢.

- محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) – فتوح الشام – القاهرة – د .ت .

- محمد فريد وجدي - دائرة معارف وجدي - دائرة معارف القرن العشرين - القاهرة -١٣٤١ هـ .
- مجموعة باحثين - الدولة الفلسطينية : حدودها ومعطياتها وسكانها - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - د. ت.
- نقولا وشحاده خوري - تاريخ كنيسة أورشليم الارثوذكسية - بيت المقدس ١٩٥٢.
- وليم أولبرايت - آثار فلسطين - المجلس الاعلي للشئون الإسلامية - القاهرة- ١٩٧١.
- ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) - معجم البلدان - ط ألمانيا ١٨٦٦ م .
- يوسف الحاج - هيكل سليمان - ط بيروت - ١٩٣٤ .

ثانياً : المجلات والصحف

(١) المجلات :

- " الهلال " - القاهرية - ع فبراير ١٩٩٦.
- " الفيصل"- السعودية - ع فبراير / مارس ١٩٩٦ .
- " صامد " - عَمان / لبنان - ع آذار / نيسان ١٩٨٤ ، ع آب / أيلول ١٩٩١ .
- " العربي " - الكويت - ع أيار / مايو ١٩٨٢.
- " الموقف العربي " قبرص - ع ١٩ / ١٠ / ١٩٨١ .

- " شؤون عربية " - جامعة الدول العربية - ديسمبر ١٩٨٦.
- " منبر الاسلام " - القاهرة - أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٦ .
- " الدراسات الفلسطينية " - بيروت - ربيع ١٩٩٤.
- " الوسط " - لندن - ع ٢/ ٥ /٩٤ ، ٤/٩/٤ / ٤ / ٩٤
- " الوحدة" - المغرب - ع ديسمبر ١٩٩١.

(ب) الصحف :

- " العالم الاسلامي " رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة - ع ١٤٧٥ ، ١٤٧٦، ١٤٤٧، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ .
- " السفير " - لبنان - ع ٢٦ / ٨ / ١٩٨١ ، ٢ / ٩ / ١٩٨١ .
- " النهار " - لبنان - ع ٢٢ /٨ / ٢٨٩١ .
- " القدس " - لندن - ع ٣/ ١٠ / ١٩٩٦ .
- " القدس " - القدس - ع ٦ / ٣/ ١٩٧٤ ، ٤١ /٥ /١٩٨٦ .
- " الاتحاد " - الإمارات العربية المتحدة - ع ١/١٠ / ١٩٩٦ ، ٥ / ١٠ /١٩٩٦ .
- " الشرق الأوسط " - لندن - ع ١٦ /١١ /١٩٩٦ .
- " الطليعة " - القدس - ع ١٧ /٦ / ١٩٨٢ .
- " صوت الأرض المقدسة " - القدس - ع ٣٠ ، ٣٢ ، ٧٧ ، ٩٨ .
- " الأخبار " - مصر - ع ٢٦ / ٣ / ١٩٦٩
- " الأهرام " - مصر

ثالثا : تقارير ووثائق وقرارات :

- قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي - الإسرائيلي ١٩٤٧- ١٩٧٤ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ، ومركز الوثائق والدراسات - أبو ظبي ، بيروت ١٩٧٥ .

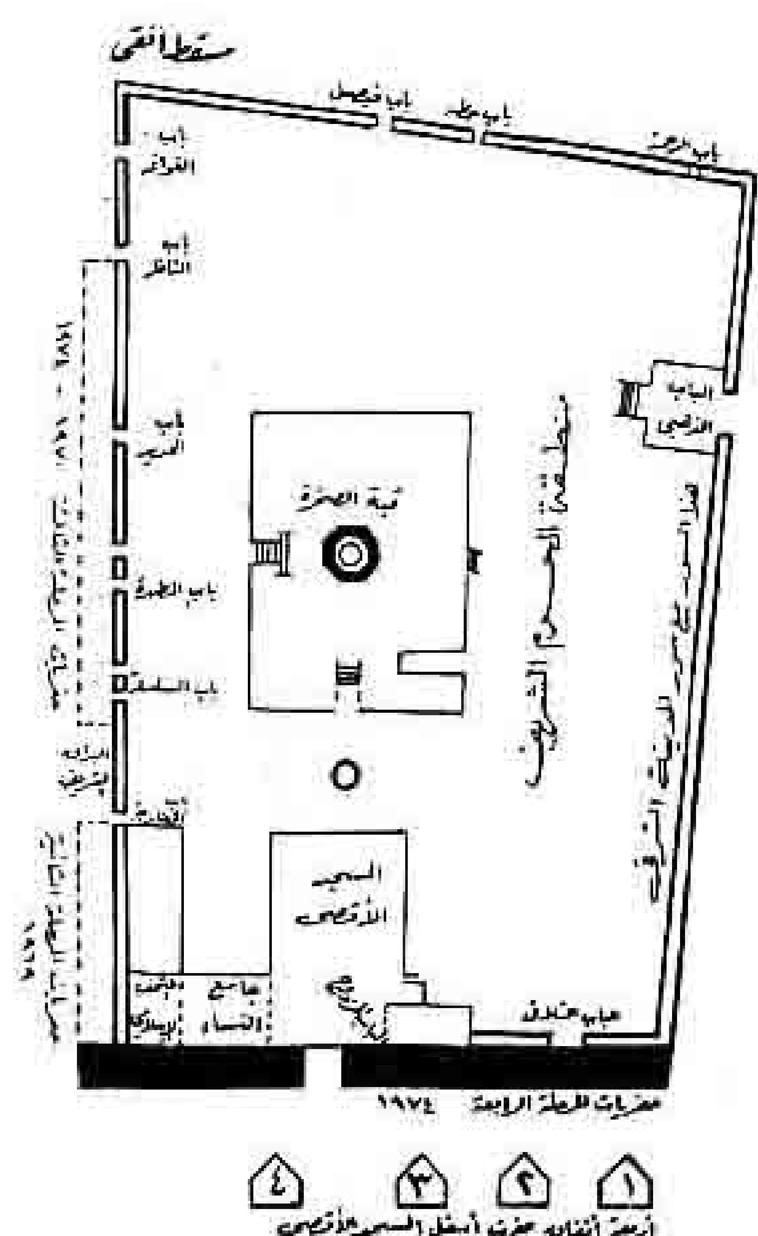
- الأرض المقدسة : موسوعة تبحث في القضية الفلسطينية منذ أقدم عصورها حتى الوقت الحاضر ، منشورات رابطة المدرسين بدمشق ، المكتبة الهاشمية بدمشق .

- ملف القدس ١٩٧٧ : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) .

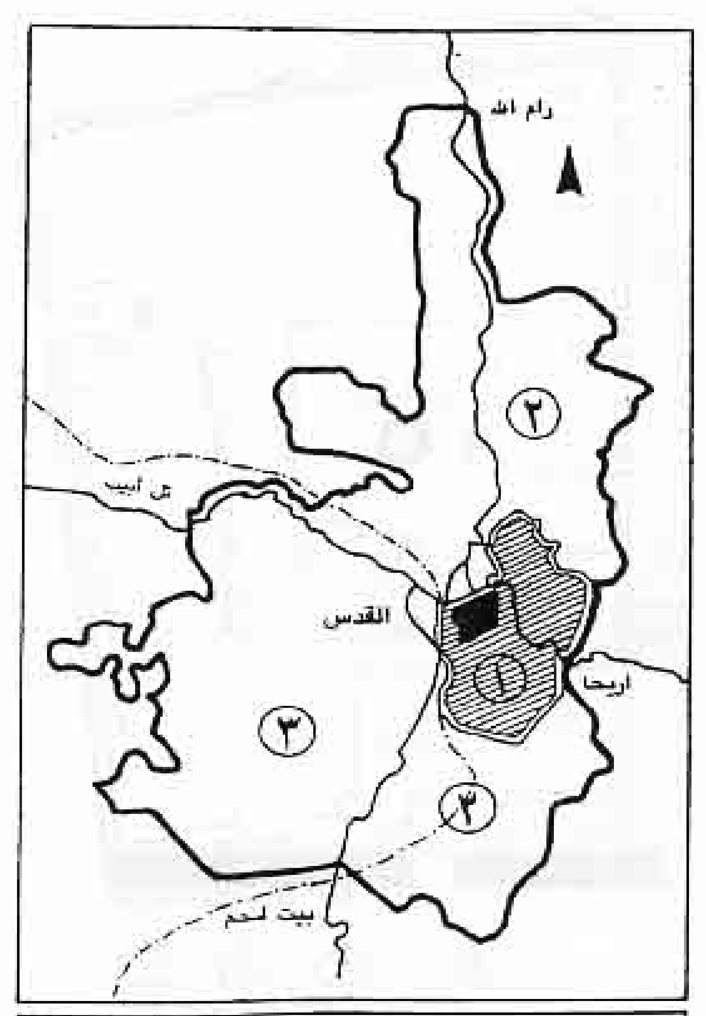
- الوقائع الفلسطينية : جدول المواقع التاريخية والأبنية الأثرية ، حكومة الانتداب الإنجليزي ، القدس ١٩٤٤ .

- تقرير أمانة القدس حول مواصلة سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي اعتداءاتها لتغير أوضاع مدينة القدس خلافاً لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ومنظمة إلى ونسكو ، اعداد روحي الخطيب ، أمين القدس ، عمان ١٩٧٦.

الملاحق

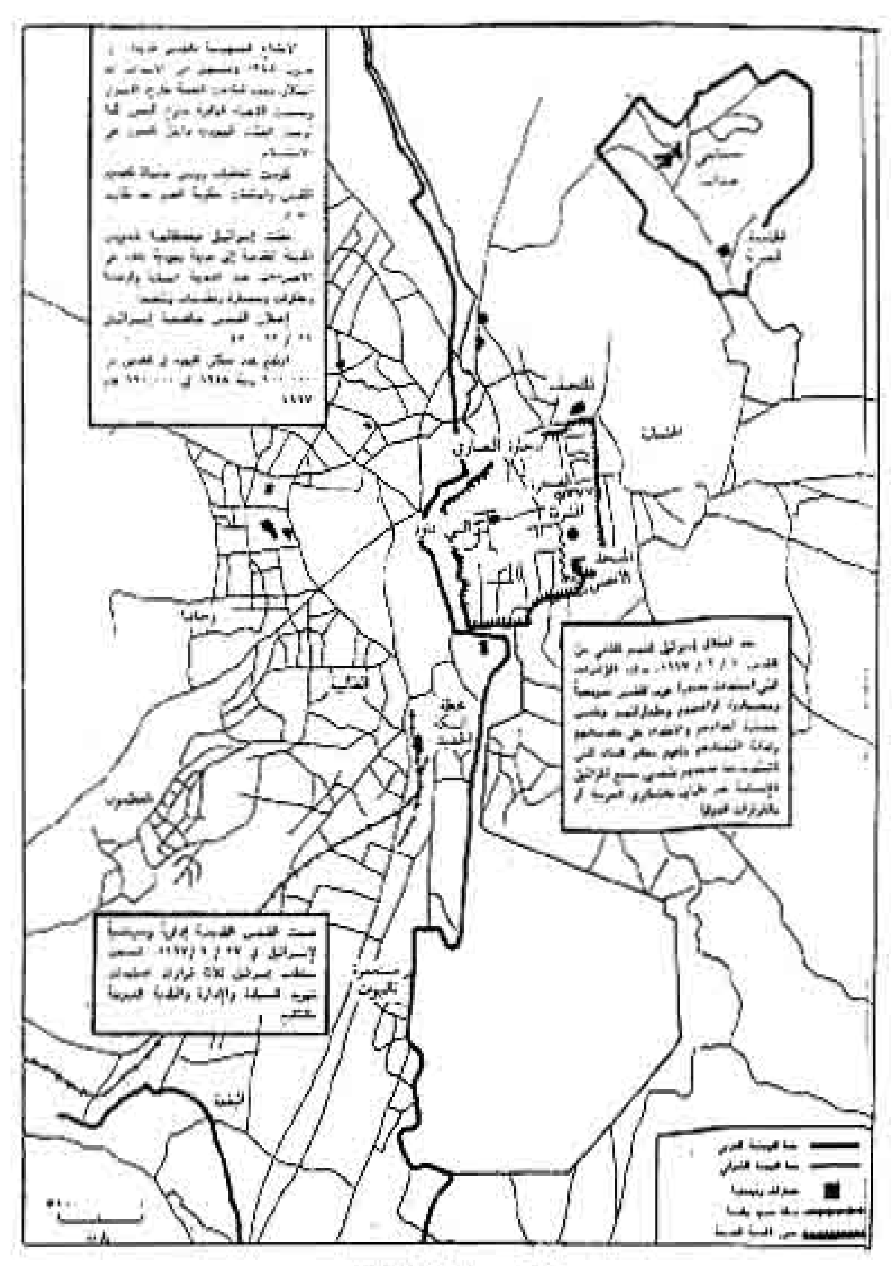


القدس: الحفريات الإسرائيلية بمنطقة الحرم الشريف

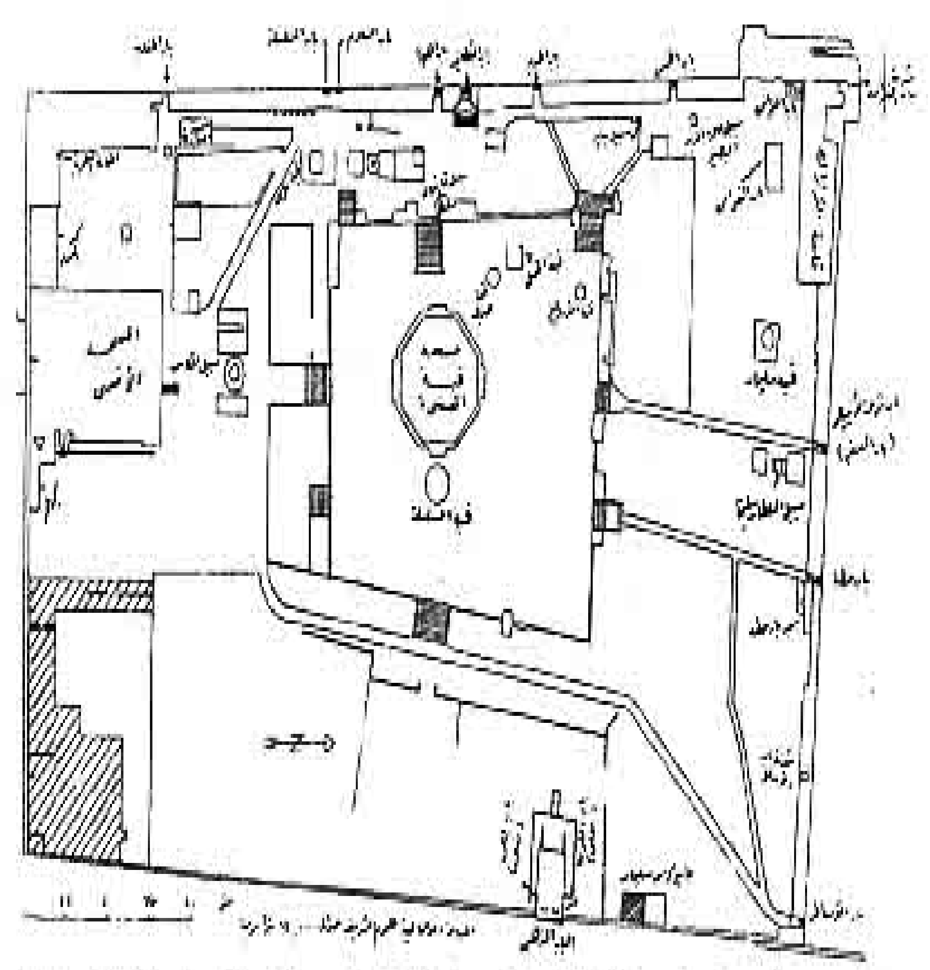


١ ـــ القدس التي احتلتها سلطات الحكم العسكري الإسرائيلي عام ١٩٤٨
٢ ـــ حدود أمانة القدس حتى عام ١٩٦٧
٣ ـــ المناطق التي ضمتها سلطات الحكم العسكري الإسرائيلي في ٢٨/٦/١٩٦٧

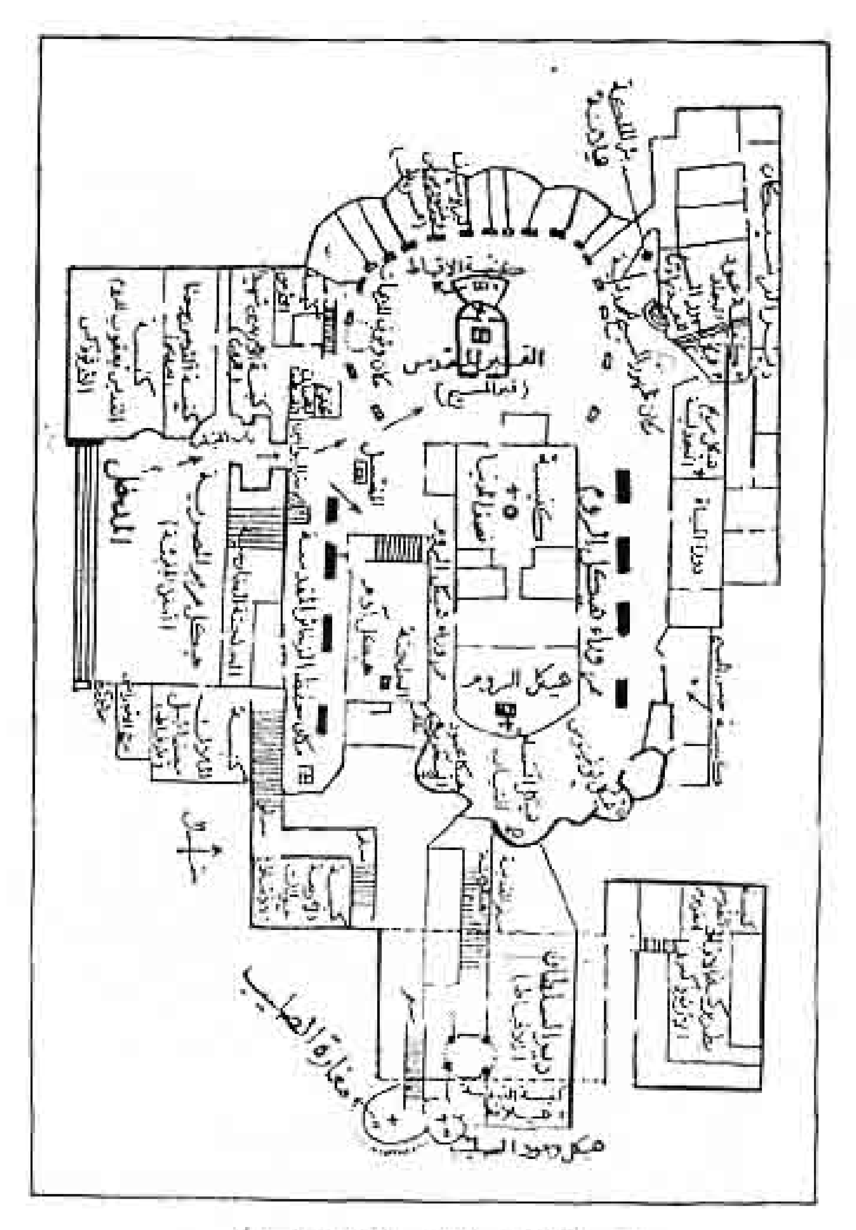
القدس من احتلال ١٩٤٨ إلى احتلال ١٩٦٧



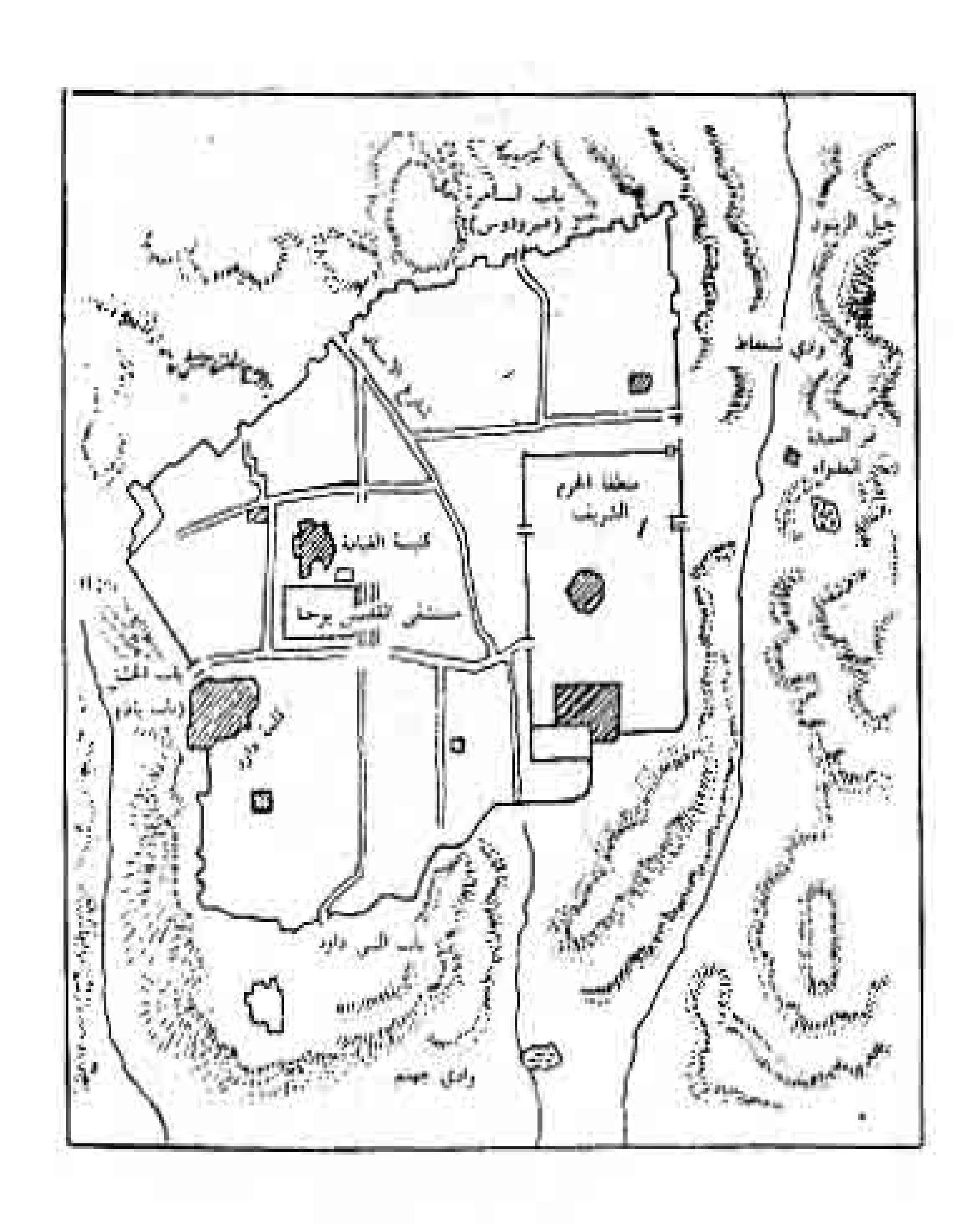
القدس بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧



مخطط توضيحي للحرم الشريف يبين الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى كما يوضح المآذن والبوابات ومصادر المياه داخل سور الحرم الشريف . وهذا المخطط من عمل عبد الرحمن الرسلي من الأردن بإشراف حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين نقلاً عن كتاب : The Noble Sanctuary by Alistair Duncan



كنيسة القيامة (رسم توضيحي)



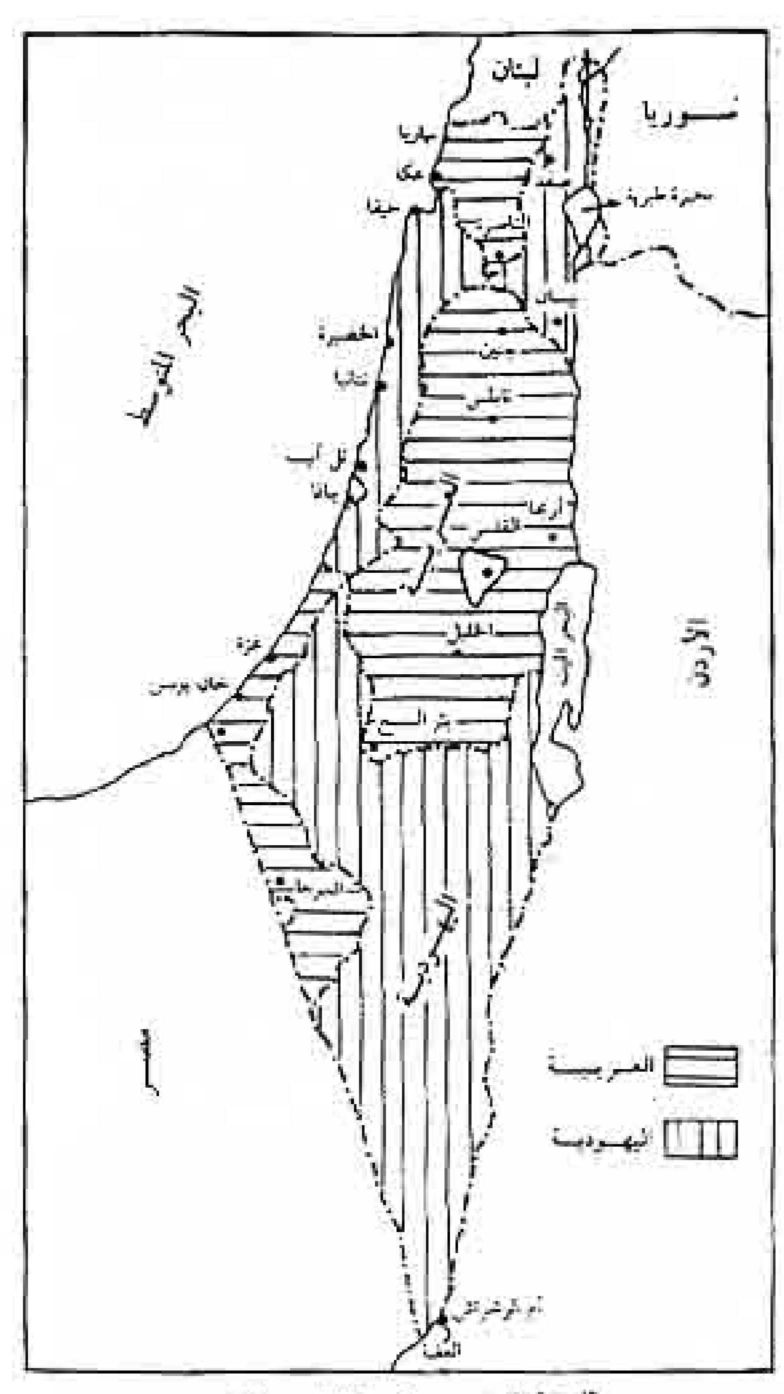
القدس فى القرن الثانى عشر الميلادى



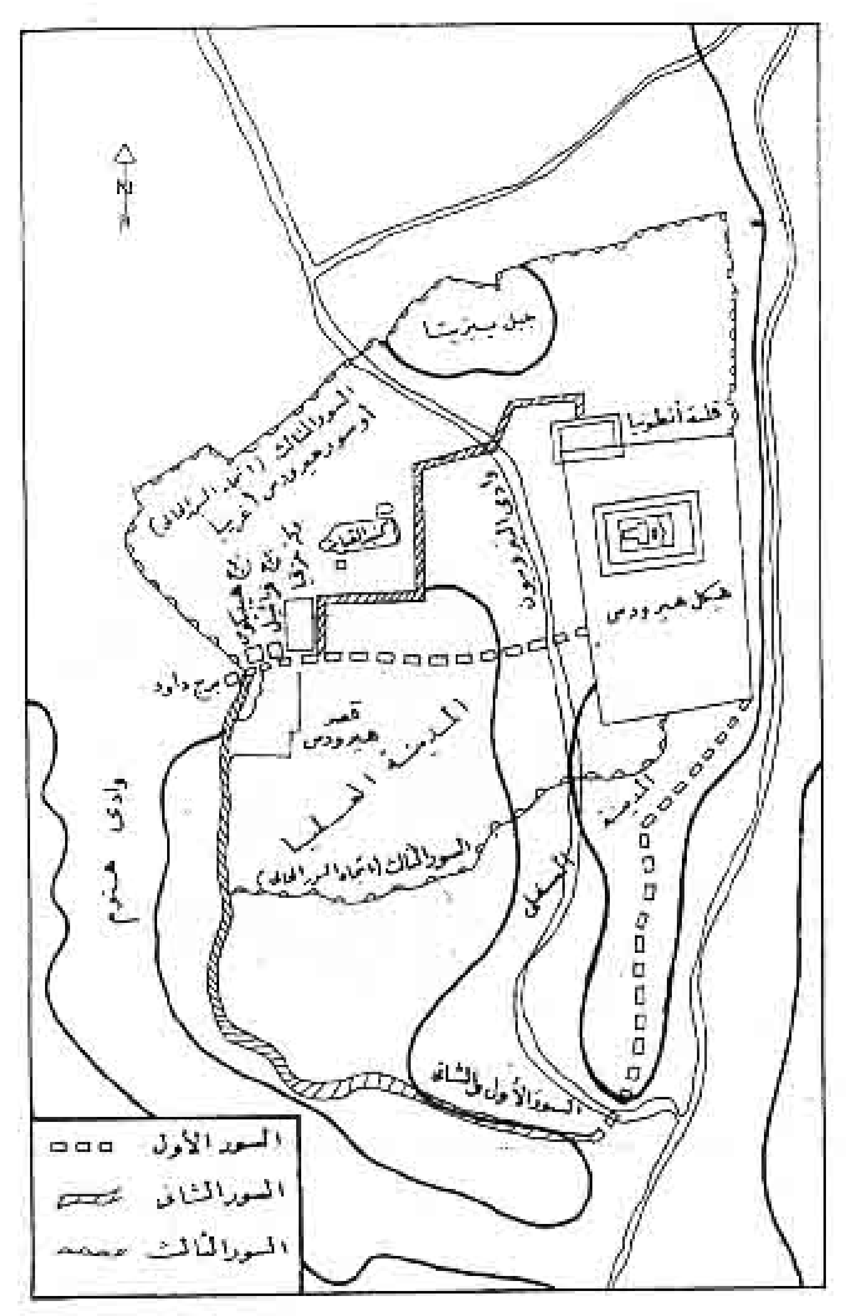
الطريق بين القدس وبيت لحم (خريطة من القرن ١٧)



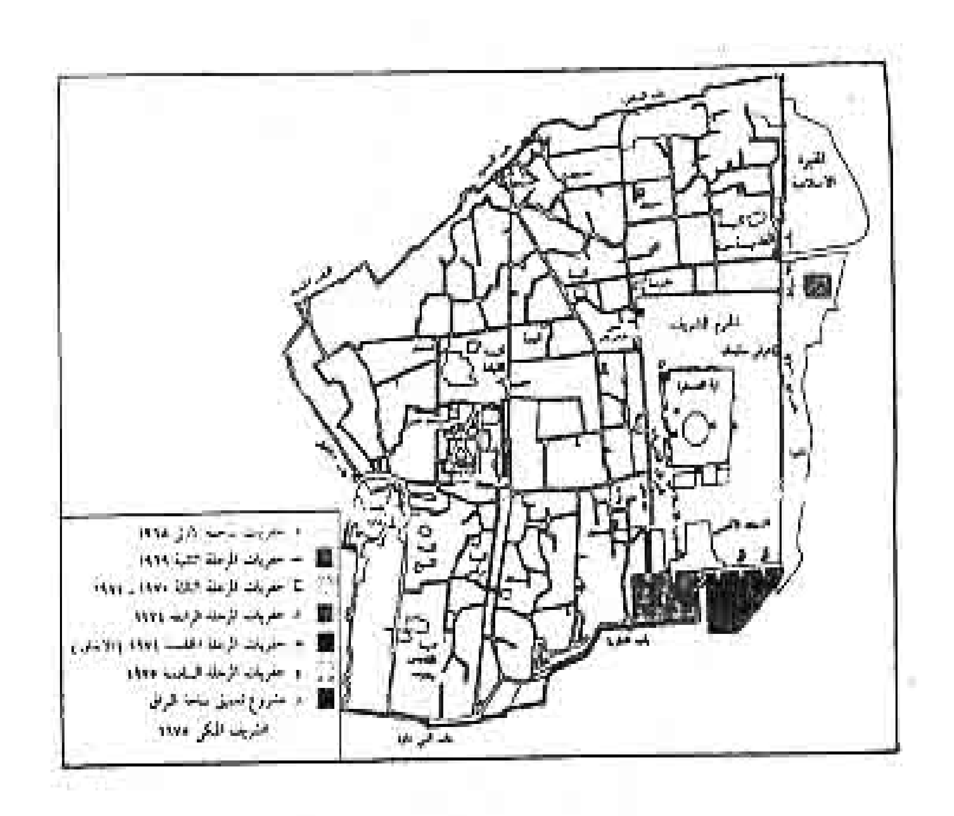
منظر عام للقدس - جبل الزيتون (خريطة من القرن ١٧)



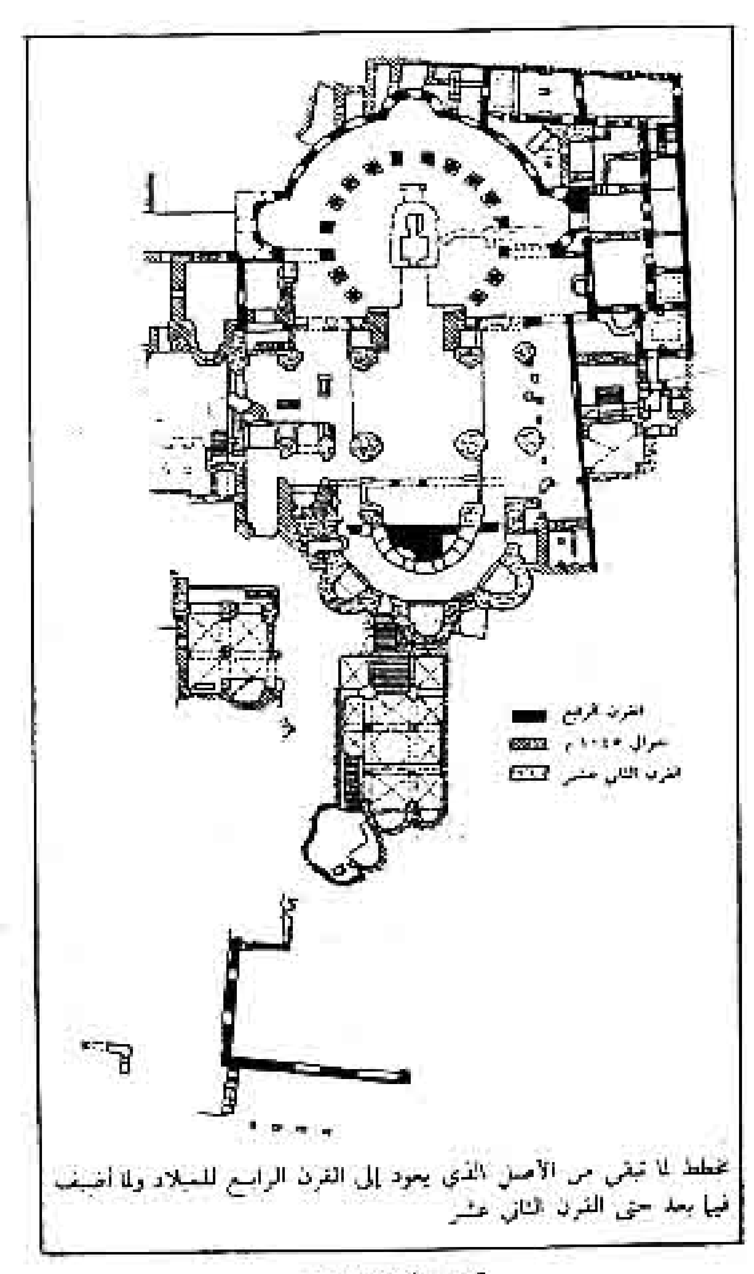
فلسطين حسب مشروع تقسيم ١٩٤٧



أسوار القدس وقلاعها وأبراجها عام ٧٠ م



الحفريات الإسرائيلية حول الحرم الشريف وتحت المسجد الأقصى

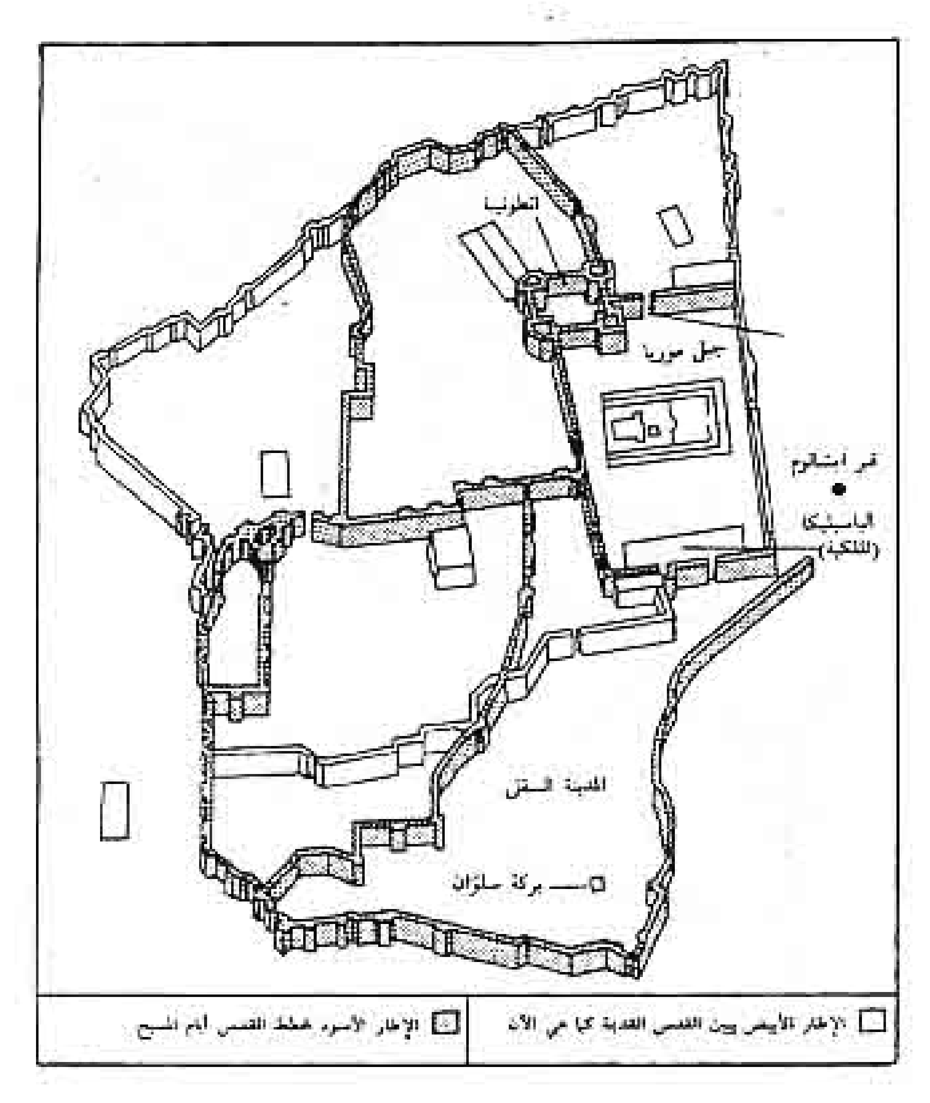


مخطط لما تبقى من الأصل الذي يعود إلى القرن الرابع للميلاد وما أضيف فيما بعد حتى القرن الثاني عشر

كنيسة القيامة



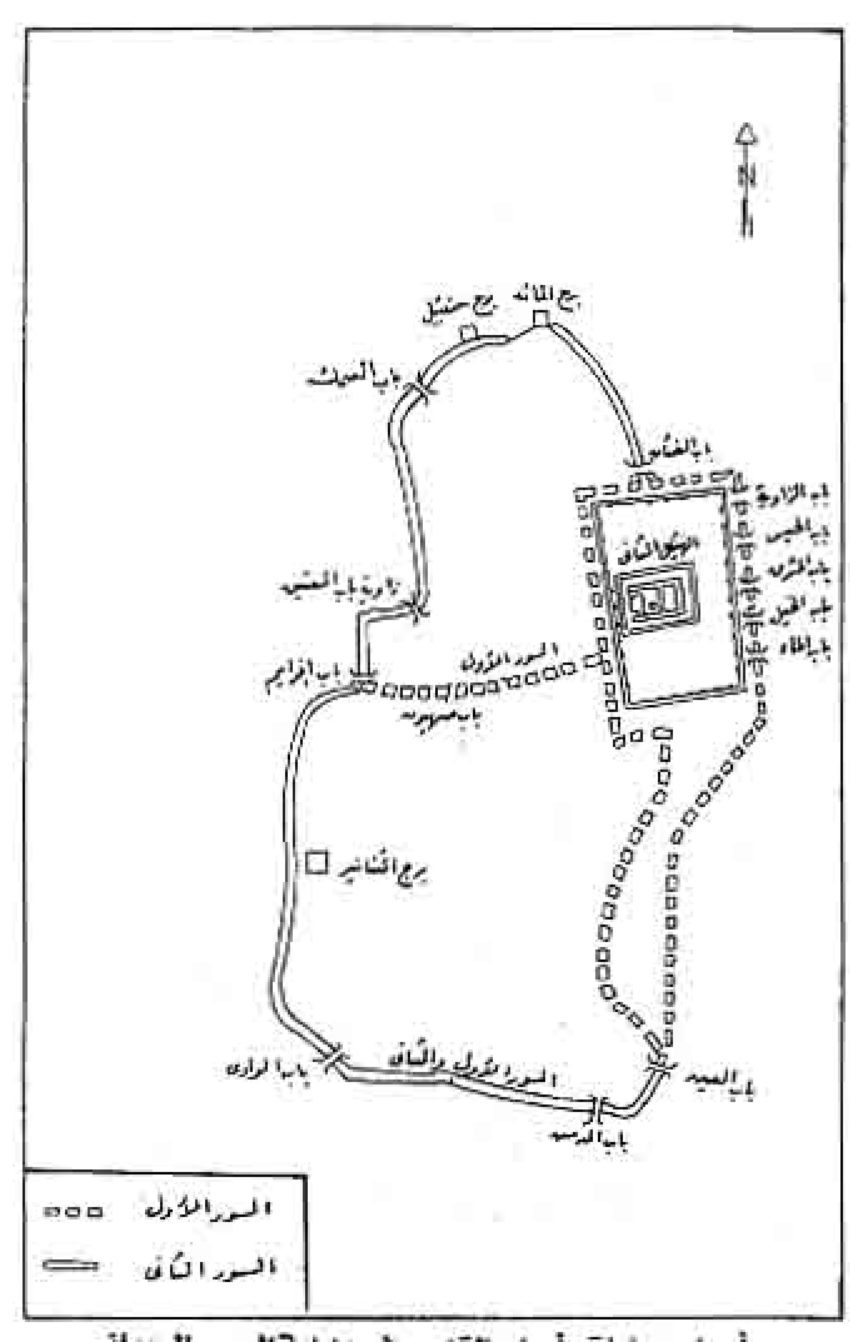
أهم المدن الفلسطينية فى القرن الثامن ق.م



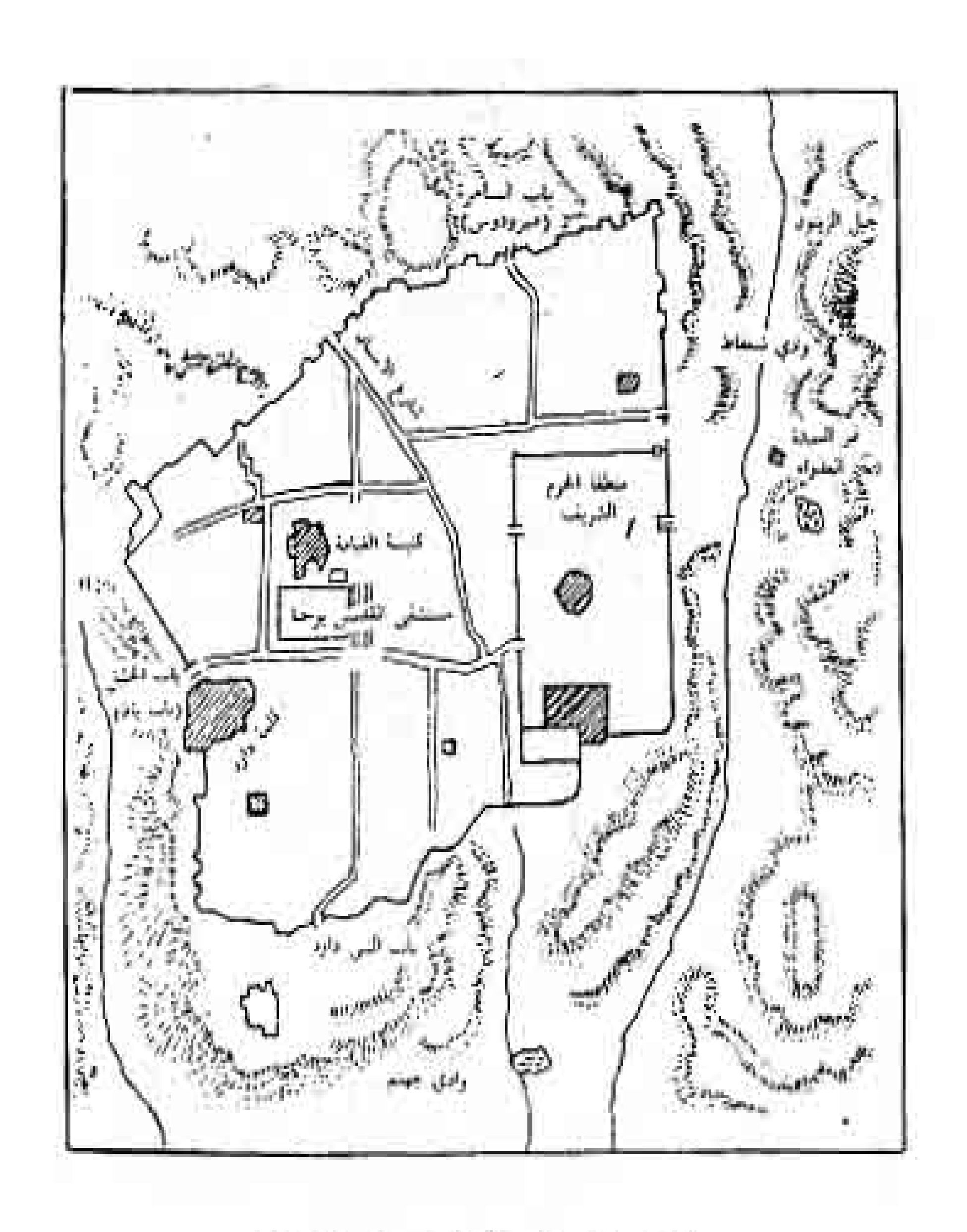
القدس فى عهد السيد المسيح



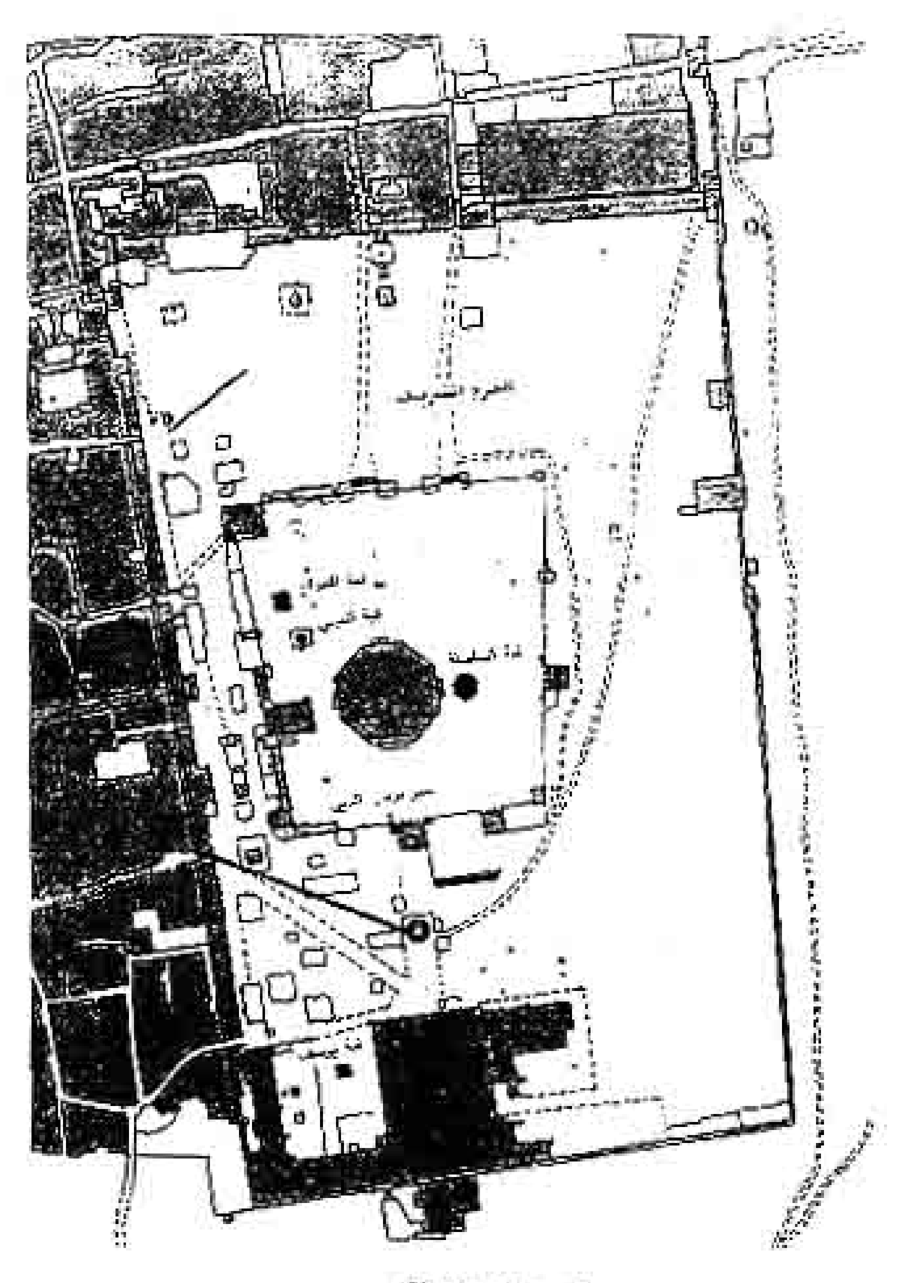
الأماكن المقدسة فى القدس القديمة



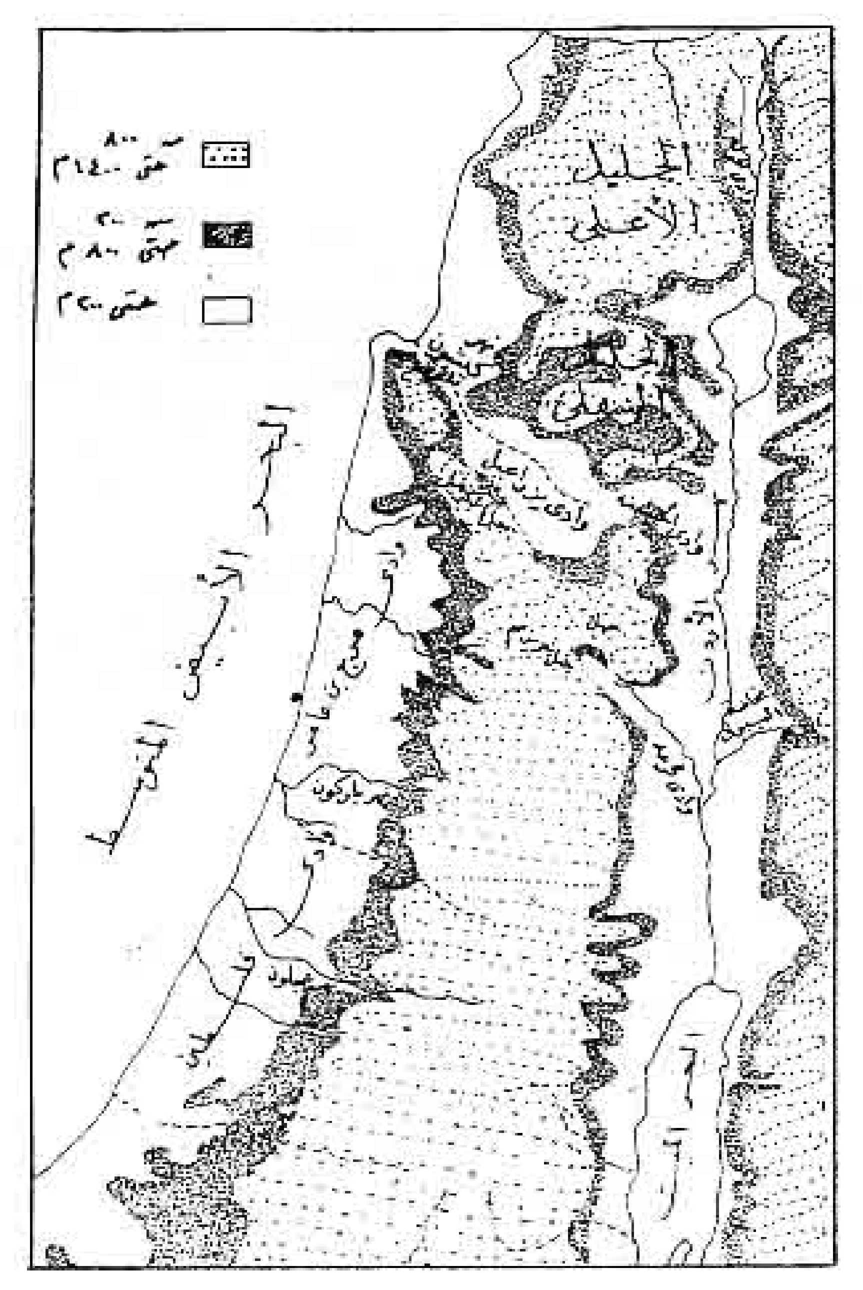
أسوار وبوابات وأبراج القدس في بداية العصر الروماني



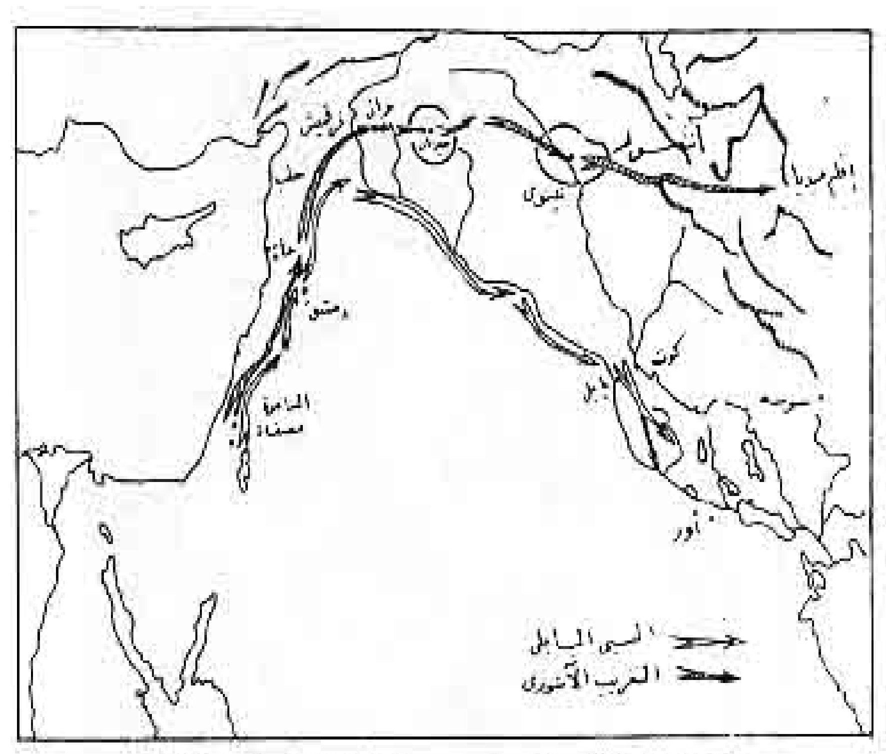
القدس فى القرن الثانى عشر الميلادى



الحرم الشريف المقدسي



تضاريس فلسطين



التغريب الآشوري لمملكة اسرائيل . ٧٢٢ ق.م والسبي البابلي لمملكة يهوذا

التغريب الآشوري والسبي البابلي لمملكة يهوذا ٧٢٢ ق.م



الأماكن الأثرية فى فلسطين المحتلة

الفهرس